

كِتَابُ الْأَدَبِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ تَأْلِيفُ

﴿ العالم العلامة * الجبر الفهامة * الامام الكبير * المحقق ﴾

﴿ الشهير * اقضى القضاة ابى الحسن على بن محمد بن ﴾

﴿ حبيب البصرى الماوردى ﴾

﴿ رحمه الله تعالى ﴾

﴿ الطبعة الاولى ﴾

﴿ طبع فى مطبعة الجواب ﴾

﴿ قسطنطينية ﴾

سنة

١٢٩٩

OL 26438.79.2

HARVARD
UNIVERSITY
LIBRARY
DEC 8 1960

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قال القاضي ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ﴾

﴿ رحمه الله تعالى ﴾

الحمد لله ذي الطول والآلاء * وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الرسل والانبياء *
وعلى آله واصحابه الاتقياء * اما بعد فان شرف المطلوب بشرف نتائجه وعظم
خطره بكثرة منافعه وبحسب منافعه تجب العناية به وعلى قدر العناية به يكون
اجتناء ثمرته واعظم الامور خطرا وقدر اوعمها نفعا ورفدا ما استقام به الدين
والدنيا وانتظم به صلاح الآخرة والاولى لان باستقامة الدين تصح العبادة *
وبصلاح الدنيا تتم السعادة * وقد توخيت بهذا الكتاب الاشارة الى آدابهما *
وتفصيل ما اجل من احوالهما * على اعدل الامر من ايجاز وبسط اجع
فيه بين تحقيق الفقهاء * وترقيق الادباء * فلا ينبو عن فهمهم * ولا يدق في
وهمهم * مستشهدا من كتاب الله جل اسمه بما يقتضيه * ومن سنن رسول الله
صلوات الله عليه بما يضاويه * ثم متبعا ذلك بامثال الحكماء * وآداب البلغاء *
واقوال الشعراء * لان القلوب تراح الى القنون المختلفة وتسام من الفن الواحد

وقد

وقد قال علي بن ابي طالب رضى الله عنه ان القلوب تمل كما تمل الابدان فأهدوا اليها طرائف الحكمة فكان هذا الاسلوب * يحب التنقل في المطلوب * من مكان الى مكان وكان المؤمن رحمه الله تعالى ينقل كثيرا في داره من مكان الى مكان وينشد قول ابي العتاهية رحمه الله

* لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة * الا التنقل من حال الى حال * وجعلت ما تضمنه هذا الكتاب خمسة ابواب ﴿ الباب الاول ﴾ في فضل العقل وذم الهوى ﴿ الباب الثانى ﴾ في ادب العلم ﴿ الباب الثالث ﴾ في ادب الدين ﴿ الباب الرابع ﴾ في ادب الدنيا ﴿ الباب الخامس ﴾ في ادب النفس وانما استمد من الله تعالى حسن معونته * واستودعه حفاظ موهبته * بحوله ومشيتته * وهو حسبي من معين وحفيظ

﴿ باب فضل العقل وذم الهوى ﴾

اعلم ان لكل فضيلة اسما ولكل ادب ينبوعا واس الفضائل وينبوع الآداب هو العقل الذى جعله الله تعالى للدين اصلا وللدنيا عمادا فاجب الدين بكماله وجعل الدنيا مدبرة باحكامه والى به بين خلقه مع اختلاف همهم وما ربهم * وتباين اغراضهم ومقاصدهم * وجعل ما تعبدهم به قسما وجب بالعقل فوكده الشرع وقسما جاز فى العقل فواجبه الشرع فكان العقل لهما عمادا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما اكتسب المرء مثل عقل يهدى صاحبه الى هدى * او يرد عنه ردى * وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شئ عمل دعامة ودعامة عمل المرء عقله فبقدر عقله تكون عبادته لربه أما سمعتم قول الفقار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اصل الرجل عقله وحسبه دينه ومروته خلقه وقال الحسن البصرى رحمه الله ما استودع الله احدا عقلا الا استنقذه به يوما ما وقال بعض الحكماء العقل افضل مرجو * والجهل انكى عدو * وقال بعض الادباء صديق كل امرء عقله * وعدوه جهله * وقال بعض البلغاء خير

المواهب العقل * وشر المصائب الجهل * وقال بعض الشعراء وهو ابراهيم ابن حسان

- * يزبن الفتى في الناس صحة عقله * وان كان محظورا عليه مكاسبه *
- * يشين الفتى في الناس قلة عقله * وان كرمته اعراقه ومناسبه *
- * يعيش الفتى بالعقل في الناس انه * على العقل يجري علمه ونجاربه *
- * وافضل قسم الله للمرء عقله * فليس من الاشياء شئ يقاربه *
- * اذا اكل الرجن للمرء عقله * فقد كسب اخلاقه وما ربه *

واعلم ان بالعقل تعرف حقائق الامور ويفصل بين الحسنات والسيئات وقد ينقسم قسمين غريزي ومكتسب فالغريزي هو العقل الحقيقي وله حد يتعلق به التكليف لا يجاوزه الى زيادة ولا يقصر عنه الى نقصان وبه يمتاز الانسان عن سائر الحيوان فاذا تم في الانسان سمي عاقلا وخرج به الى حد الكمال كما قال صالح ابن عبد القدوس

- * اذا تم عقل المرء تمت اموره * وتمت امانيه وتم بناءؤه *
- وروى الضحاك في قوله تعالى لينذر من كان حيا اي من كان عاقلا واختلف الناس فيه وفي صفته على مذاهب شتى فقال قوم هو جوهر لطيف يفصل به بين حقائق المعلومات ومن قال بهذا القول اختلفوا في محله فقالت طائفة منهم محله الدماغ لان الدماغ محل الحس وقالت طائفة اخرى منهم محله القلب لان القلب معدن الحياة ومادة الحواس وهذا القول في العقل بانه جوهر لطيف فاسد من وجهين ❖ احدهما ❖ ان الجواهر متماثلة فلا يصح ان يوجب بعضها ما لا يوجب ساثرها ولو اوجب ساثرها ما يوجب بعضها لاستغنى العاقل بوجود نفسه عن وجود عقله ❖ والثاني ❖ ان الجوهر يصح قيامه بذاته فلو كان العقل جوهرًا لجاز ان يكون عقل بغير عاقل كما جاز ان يكون جسم بغير عقل فامنع بهذين ان يكون العقل جوهرًا وقال آخرون العقل هو المدرك للاشياء على ما هي عليه من حقائق المعنى وهذا القول وان كان اقرب مما قبله

فبعيد من الصواب من وجه واحد وهو ان الادراك من صفات الحى والعقل
عرض يستحيل ذلك منه كما يستحيل ان يكون مثلذا او آلا او مشتيا وقال
آخرون من المتكلمين العقل هو جملة علوم ضرورية وهذا الحد غير محصور
لما تضمنه من الاجال * ويتأوله من الاحتمال * والحدانما هو بيان المحدود
بما ينق عنه الاجال والاحتمال وقال آخرون وهو القول الصحيح ان العقل
هو العلم بالمدركات الضرورية وذلك نوعان احدهما ما وقع عن درك
الحواس والثانى ما كان مبتدئا فى النفوس فاما ما كان واقعا عن درك
الحواس فمثل المراتب المدركة بالنظر والاصوات المدركة بالسمع والطعوم المدركة
بالذوق والروائح المدركة بالشم والاجسام المدركة باللمس فاذا كان الانسان
ممن لو ادرك بحواسه هذه الاشياء ثبت له هذا النوع من العلم لان خروجه
فى حال تقيض عينيه من ان يدرك بهما ويعلم لا يخرجـ من ان يكون كاملا
العقل من حيث علم من حاله انه لو ادرك لعلم واما ما كان مبتدئا فى النفوس فكالعلم
بان الشئ لا يخلو من وجود او عدم وان الموجود لا يخلو من حدوث او قدم
وان من المحال اجتماع الضدين وان الواحد اقل من الاثنين وهذا النوع من
العلم لا يجوز ان ينتفى عن العاقل مع سلامة حاله وكال عقله فاذا صار عالما
بالمدركات الضرورية من هذين النوعين فهو كامل العقل وسمى بذلك تشبيها
بعقل الناقة لان العقل يمنع الانسان من الاقدام على شهواته اذا قبحت كما يمنع
العقل الناقة من الشرود اذا نفرت ولذلك قال عامر بن قيس اذا عقلك عقلك
عما لا ينبغي فانت عاقل وقد جاءت السنة بما يؤيد هذا القول فى العقل وهو ما
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العقل نور فى القلب يفرق بين الحق
والباطل وكل من نفى ان يكون العقل جوهر ا ثبت محله فى القلب لان القلب محل
العلوم كلها قال الله تعالى أفم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون
بها فدلّت هذه الآية على امرين احدهما ان العقل علم والثانى ان محله القلب
وفى قوله تعالى يعقلون بها تأويلان احدهما يعلمون بها والثانى يعتبرون بها

فهذه جملة القول في العقل الفريزى واما العقل المكتسب فهو نتيجة العقل الفريزى وهو نهاية المعرفة وصحة السياسة واصابة الفكرة وليس لهذا حد لانه ينمى ان يستعمل وينقص ان اهل ونامؤه يكون باحد وجهين اما بكثرة الاستعمال اذا لم يعارضه مانع من هوى ولا صاد عن شهوة كالذى يحصل لذوى الانسان من الخنكة وصحة الروية بكثرة التجارب وممارسة الامور ولذلك جدت العرب آراء الشيوخ حتى قال بعضهم المشايخ اشجار الوقار * ومناجع الاخبار * لا يطيش لهم سهم * ولا يستط لهم وهم * ان رأوك في قبيح صدوك * وان ابصرك على جيل امدوك * وقيل عليكم بأراء الشيوخ فانهم ان فقدوا ذكاء الطمع فقد مرت على عيونهم وجوه العبر * وتصدت لاسماعهم آثار الغير * وقيل في منشور الحكم من طال عمره نقصت قوة بدنه وزادت قوة عقله وقيل فيه لا تدع الايام جاهلا الا ادبته وقال بعض الحكماء كنى بالتجارب تأدبا وبقلب الايام عظة وقال بعض البلغاء التجربة مرآة العقل * والفرعة ثمرة الجهل * وقال بعض الادباء كنى مخبرا عما بقى ما مضى وكفى عبرا لاولى الالباب ما جربوا وقال بعض الشعراء .

* ألم تر ان العقل زين لاهله * ولكن تمام العقل طول التجارب *

❖ وقال آخر ❖

* اذا طال عمر المرء في غير آفة * افانت له الايام في كرها عقلا *

واما الوجه الثانى فقد يكون بفرط الذكاء وحسن الفطنة وذلك جودة الحدس فى زمان غير مهمل للحدس فاذا امتزج بالعقل الفريزى صارت نتيجتهما نمو العقل المكتسب كالذى يكون فى الاحداث من وفور العقل وجودة رأى حتى قال هرم بن قطبة حين تنافر اليه عامر بن الطفيل وعلمته بن علاثة عليكم بالحديث السن * الحديد الذهن * ولعل هرما اراد ان يدفعهما عن نفسه فاعتذر بما قال لكن لم ينكرا قوله ادعانا للحق فصارا الى ابى جهل لحداثة سنه *

وحدة ذهنه * فابى ان يحكم بينهما فرجعا الى هرم فحكم بينهما وفيه قال لبيد يا هرم ابن الاكرمين منصبا * انك قد اوتيت حكما مجبا *

وقد قالت العرب عليكم بمشاورة الشباب فانهم ينتجون رأيا لم ينله طول القدم *
ولا استولت عليه رطوبة الهرم * وقد قال الشاعر

* رأيت العقل لم يكن انهابا * ولم يقسم على عدد السنين *
* ولو ان السنين تقاسمت * حوى الالباء انصبه البنينا *

وحكى الاصمعي رحمه الله قال قلت لفلان حدث من اولاد العرب ~~كل~~ كان يحادثني
فامتنعني بفصاحة وملاحة أسرك ان يكون لك مائة الف درهم وانت احق
قال لا والله قال فقلت ولم قال اخلف ان يحني على حق جناية تذهب بمالي ويبقى
علي حق فانظر الى هذا الصبي كيف استخرج بفرط ذكائه واستنبط بجودة
قريحته ما لعله يدق على من هو اكبر منه سنا واكثر تجربة واحسن من هذا
الذكاء والفطنة ما حكى ابن قتيبة ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بصبيان
يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير فهرّبوا منه الا عبد الله فقال له عمر رضى الله
عنه ما لك لم لا تهرب مع اصحابك فقال يا امير المؤمنين لم اكن على رية فالاخافك
ولم يكن الطريق ضيقا فافوسع لك فانظر ما تضمنه هذا الجواب من الفطنة وقوة
المنة وحسن البديهة كيف نفى عنه اللوم واثبت له الحجة فليس للذكاء غايه *
ولا لجودة القريحة نهايه * وحكى ان سليمان بن عبد الملك امر الفرزدق
بضرب اعناق اسارى من الروم فاستغفاه الفرزدق فلم يفعل واعطاه سيفا لا يقطع
شيئا فقال الفرزدق بل اضربهم بسيف ابى رغو ان مجاشع يعنى سيف نفسه فقام
فضرب به عنق رومي منهم فنبأ السيف عنه فضحك سليمان ومن حوله فقال
الفرزدق

* أيعجب الناس ان اضحكت سيدهم * خليفة الله يستحق به المطر *
* لم ينب سيفي من رعب ولا دهش * عن الاسير ولكن آخر القدر *
* ولن يقدم نفسا قبل ميتها * جمع اليدين ولا الصمصامة الذكر *
ثم غمد سيفه وهو يقول

* ما ان يعاب سيد اذا صبا * ولا يعاب صارم اذا نبا *
* ولا يعاب شاعر اذا كبا *

ثم جلس وهو يقول كأنى بآبن القين قد هجمانى فقال

* بسيف ابى رغوان سيف مجاشع * ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم *

ثم قام فأنصرف وحضر جرير وخبر بالخبر ولم ينشد له الشعر فأنشأ يقول

* بسيف ابى رغوان سيف مجاشع * ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم *

ثم قال يا امير المؤمنين كانى بآبن المراغة وقد اجابنى فقال

* ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا ثقل الاعناق حمل المغارم *

فاستحسن سليمان حدس الفرزدق على جرير ثم اخبر الفرزدق بشعر جرير ولم يخبره بمحدثه فقال الفرزدق

* كذلك سيوف الهند تنبو طباتها * وتقطع احيانا مناط التمام *

* ولن نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا ثقل الاعناق حمل المغارم *

* وهل ضربة الرومى جاعلة لكم * اباحن كليب او اخا مثل دارم *

فشاع حديث الفرزدق بهذا حتى حكي ان المهدي اتى باسرى من الروم فامر بقتلهم وكان عنده شبيب بن شبة فقال له اضرب عنق هذا العليج فقال يا امير قد علمت ما ابتلى به الفرزدق فغير به قوم الى اليوم فقال انما اردت تشريفك وقد اعفيتك وكان ابو الهول الشاعر حاضرا فقال

* جزعت من الرومى وهو مقيد * فكيف ولو لاقيته وهو مطلق *

* دعاك امير المؤمنين لقتله * فكاد شبيب عند ذلك يفرق *

* تمنح شبيبا عن قراع كتيبة * وأدن شبيبا من كلام يلفق *

وليس العجب من كلام الفرزدق ان صح من جودة القريحتين ولكن من اتفاق الخاطرين ولثل ذلك قالت الحكماء آية العقل سرعة الفهم * وغايته اصابة الوهم * وليس لمن منح جودة القريحة وسرعة الخاطر عجز عن جواب وان اعضل كما قيل لعلى رضى الله عنه كيف يحسب الله العباد على كثرة عددهم قال كما يرزقهم على كثرة عددهم وقيل لعبس الله بن عباس ابن تذهب الارواح اذا فارقت الاجساد قال ابن تذهب نار المصابيح

عند فناء الادهان وهذان الجوابان جوابا اسكات تضمننا دليل اذعان وحجتى قهر
ومن غير هذا الفن وان كان مسكتا ما حكى عن ابلّيس لعنه الله انه حين ظهر لعيسى
ابن مريم عليه السلام فقال ألسنت تقول انه لن يصيبك الا ما كتبه الله عليك قال
نعم قال فارم نفسك من ذروة هذا الجبل فانه ان يقدر لك السلامة تسلم فقال له
يا ملعون ان لله ان يختبر عباده وليس للعبد ان يختبر ربه ومثل هذا الجواب لا يستغرب
من انبياء الله تعالى الذين امدهم بوحية وايدهم بنصره وانما يستغرب من يلجأ الى
خاطره ويعول على يديهته وروى رقم بن العباس رضى الله عنهما قال قيل لعلى
ابن ابى طالب رضى الله عنه كم بين السماء والارض قال دعوة مستجابة قيل فكم بين
المشرق والمغرب قال مسيرة يوم للشمس فكان هذا السؤال من سألته اما اختبارا
واما استبصارا فصدر عنه من الجواب ما اسكت فاما اذا اجتمع هذان الوجهان
فى العقل المكتسب وهو ما ينميه فرط الذكاء بمجودة الحدس وصحة التريخية بحسن
البدية مع ما ينميه الاستعمال بطول التجارب ومرور الزمان بكثرة الاختبار
فهو العقل الكامل على الاطلاق فى الرجل المفاضل الاستهتاق روى انس بن
مالك رضى الله عنه قال اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير
فقال كيف عقله قالوا يا رسول الله ان من عبادته ان من خلعه ان من فضله ان
من ادبه فقال كيف عقله قالوا يا رسول الله نثنى عليه بالعبادة واصناف الخير
وتسألنا عن عقله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاحق العابد يصيب
بجهله اعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس من ربهم بالزلف على قدر عقولهم
واخاف الناس فى العقل المكتسب اذا تناهى وزاد هل يكون فضيلة ام لا فقال قوم
لا يكون فضيلة لان الفضائل هيئات متوسطة بين فضيلتين ناقصتين كما ان الخير
توسط بين رذيلتين فما جاوز التوسط خرج عن حد الفضيلة وقد قالت الحكماء
للاسكندر ايها الملك عليك بالاعتدال فى كل الامور فان ازيادة عيب والنقصان
عجز هذا مع ما وردت به السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خير
الامور اوسطها وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه خير الامور النمط الاوسط
اليه يرجع العالى ومنه يلحق التالى وقال الشاعر لا تذهبن فى الامور فرطاً *
لا تسألن ان سأل شططاً * وكن من الناس جيعاً وسطاً * قالوا لان زيادة العقل

تفضي بصاحبها الى الدهاء والمكر وذلك مذموم وصاحبه ملوم وقد امر عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه ابا موسى الاشعري ان يعزل زيادا عن ولايته فقال زياد
يا امير المؤمنين اعن مودة او خيانة فقال لا عن واحدة منهما ولكن خفت ان احل
على الناس فضل عقلك ولاجل هذا المحكي عن عمر ما قيل قديما افراط
العقل مضر بالجسد وقال بعض الحكماء كفاك من عقلك ما ذلك على سبيل
رشدك وقال بعض البلغاء قليل يكفي خيرا من كثير يطغي وقال آخرون وهو
اصح القولين زيادة العقل فضيلة لان المكتسب غير محدود وانما تكون زيادة الفضائل
المحمودة نقصا مذموما لان ما جاوز الحد لا يسمى فضيلة كالشجاعة اذا زاد على
حد الشجاعة نسب الى التهور والسخى اذا زاد على حد السخى نسب الى التبذير
وليس كذلك حال العقل المكتسب لان الزيادة فيه زيادة علم بالامور وحسن
اصابة بالظنون ومعرفة ما لم يكن الى ما يكون وذلك فضيلة لا نقص وقد روى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الناس اعقل الناس وروى عنه صلى
الله عليه وسلم انه قال العقل حيث كان مألوف وقد قيل في تأويل قوله تعالى قل
كل يعمل على شاكلته اى بحسب عقله وقال القاسم بن محمد كانت العرب تقول
من لم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه كان حظه في اغلب خصال الخير عليه
وقيل في منشور الحكم كل شيء اذا اكثر رخص الا العقل فانه اذا اكثر غلا وقال
بعض البلغاء ان الصاقل من عقله في ارشاد * ومن رأيه في امداد * فقوله
سديد * وفعله حيد * والجاهل من جهله في اغواء * ومن هواه في اغراء
* فقوله سقيم * وفعله ذميم * وانشدني ابن لكك لايه

* من لم يكن اكثره عقله * اهلكه اكثر ما فيه *

فاما الدهاء والمكر فهو مذموم لان صاحبه صرف فضل عقله الى الشر ولو
صرفه الى الخير لكان محمودا وقد ذكر المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب فقال
كان والله افضل من ان يخدع واعقل من ان يخدع وقال عمر لست بالخب
ولا يخدعني الخب واختلف الناس فيمن صرف فضل عقله الى الشر كزياد
واشبايه من الدهاة هل يسمى الداهية منهم عاقلا ام لا فقال بعضهم اسميه
عاقلا لوجود العقل منه وقال آخرون لا اسميه عاقلا حتى يكون خيرا دينا لان

الخير و الدين من موجبات العقل فاما الشرير فلا اسمه عاقلا و انما اسمه صاحب روية و فكر و قد قيل العاقل من عقل عن الله امره و نهيه حتى قال اصحاب الشافعي رضي الله عنه فيمن اوصى بثلاث ماله ليعقل الناس انه يكون معسروفا في الزهاد لانهم انقادوا للعقل و لم يفتروا بالامل و روى لقمان بن ابي عامر عن ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا عويمر ازدد عقلا تزدد من ربك قربا قلت بآبي انت و ابي و من لي بالعقل قال اجنب محارم الله و اد فرائض الله تكن عاقلا ثم تغل بصالحات الاعمال تزدد في الدنيا عقلا و تزدد من ربك قربا و به عزا و انشدني بعض اهل الادب هذه الايات و ذكر انها لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه

* ان المكارم اخلاق مطهرة * فالعقل اولها و الدين ثانيها *
 * و العلم ثالثها و الحلم رابعها * و الجود خامسها و العرف سادسها *
 * و البر سابعها و الصبر ثامنها * و الشكر تاسعها و اللين عاشيها *
 * و النفس تعلم اني لا اصدقها * و لست ارشد الا حين اعصمها *
 * و العين تعلم في عيني محدثها * من كان من حزبها او من اعادها *
 * عينك قد دلتنا عيني منك على * اشياء لولاها ما كنت تبديها *

و اعلم ان العقل المكتسب لا ينفك عن العقل الفريزي لانه نتيجة منه و قد ينفك العقل الفريزي عن العقل المكتسب فيكون صاحبه مسلوب الفضائل *
 * موفور الرذائل * كالانوك الذي لا يحدله فضيله * و الاحق الذي قل ما يخلو من رذيله * و قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاحق كالنخار لا يرقع ولا يشعب و روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاحق انقض خلق الله اليه * اذ حرمه اعز الاشياء عليه * و قال بعض الحكماء الحاجة الى العقل اقبح من الحاجة الى المال و قال بعض البلغاء دولة الجاهل عبرة العاقل و قال انوشروان لبرزجره اي الاشياء خير للمرء قال عقل يعش به قال فان لم يكن قال فاخوان يسترون عيبه قال فان لم يكن قال فقال يعجب به الى الناس قال فان لم يكن قال فصي صامت قال فان لم يكن قال فموت جارف و قال سابور بن ازدشير العقل نوعان احدهما مطبوع * و الآخر

مسموع ولا يصلح واحد منهما الا بصاحبه فاخذ ذلك بعض الشعراء فقال
 * رأيت العقل نوعين * مسموع ومطبوع *
 * ولا ينفع مسموع * اذا لم يك مطبوع *
 * كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع *
 وقد وصف بعض الادباء العاقل بما فيه من الفضائل * والاحق بما فيه من
 الرذائل * فقال العاقل اذا والى بذل في المودة نصره * واذا عانى زفع عن
 الظلم قدره * فيسعد مواليه بعقله * ويعتصم معاديه بعدله * ان احسن
 الى احد ترك المطالبة بالشكر * وان اساء اليه مسمى سبب له اسباب
 العذر * او منحه الصفيح والعفو والاحق ضال مضل ان اونس تكبر *
 و ان اوحش تكدر * و ان استنطق تخلف * و ان ترك تكلف * مجالسته
 مهينه * ومعايته محنه * ومحاورته تعر * وموالاته تضر * ومقاربه عى
 ومقارنه شقا وكانت ملوك الفرس اذا غضبت على عاقل حبسته مع جاهل والاحق
 يسى الى غيره و يظن انه قد احسن اليه فيطالبه بالشكر * ويحسن اليه
 فيظن انه قد اساء فيطالبه بالوتر * فساوى الاحق لا تنقضى و عيوبه لا تنهاى
 ولا يقف النظر منها الى غاية الا لوحث ما وراءها مما هو ادنى منها واردى
 و امر وادهى فما اكثر العبر لمن نظر * وانفعها لمن اعتبر * وقال الاخنف
 ابن قيس من كل شئ يحفظ الاحق الا من نفسه وقال بعض البلغاء ان الدنيا
 ربما اقبلت على الجاهل بالاتفاق * وادبرت عن العاقل بالاستحقاق * فان
 اتت منها سهمة مع جهل * او فانتك منها بغية مع عقل * فلا يحملك ذلك
 على الرغبة في الجهل * و الزهد في العقل * فدولة الجاهل من الممكنات *
 ودولة العاقل من الواجبات * وليس من امكنه شئ من ذاته * كمن استوجبه
 بآلته و ادواته * وبعد فدولة الجاهل كالعريب الذى يحن الى النقلة *
 ودولة العاقل كالنسيب الذى يحن الى الوصله * فلا يفرح المرء بحالة جليلة
 نالها بغير عقل * ومنزلة رفيعة حلها بغير فضل * فان الجهل ينزله منها * ويزيله
 عنها * ويحطه الى رتبته * ويرده الى قيمته * بعد ان تظهر عيوبه * وتكثر
 ذنوبه * و يصير مادحه هاجيا * ووليه معاديا * واعلم * انه

بحسب ما ينشر من فضائل العاقل * كذلك يظهر من رذائل الجاهل *
 حتى يصير مثلاً في الغابرين * وحديثاً في الآخرين * مع هتكه في عصره *
 وقبح ذكره في دهره * كالذي رواه عطاء عن جابر قال كان في بني
 إسرائيل رجل له حمار فقال يارب لو كان لك حمار لعلته مع جاري فهم به نبي
 من انبياء الله فابوحي الله اليه انما ائيب كل انسان على قدر عقله واستعمل معاوية
 رجلاً من كلب فذكر المجوس يوماً عنده فقال لعن الله المجوس ينكبون امهاتهم
 والله لو اعطيت عشرة آلاف درهم ما نكحت امي فبلغ ذلك معاوية فقال
 قبحه الله أتونه لو زادوه فعل وعزله وولى الربيع العامري وكان من النوى
 سائر اليمامة فاقد كلبا بكب فقال فيه الشاعر

* شهدت بان الله حقاً لقاءه * وان الربيع العامري رقيق *
 * افاد لنا كلباً بكب ولم يدع * دماء كلاب المسلمين تضع *
 وليس لمعار الجبل غايه * ولا لمضار الحق نهايه * قال الشاعر
 * لكل داء دواء يستطب * الا الجماقة اعيت من يداويها *

❖ فصل ❖ واما الهوى فهو عن الخير صائد * وللعقل مضاد * لانه يتج
 من الاخلاق قبايحها * ويظهر من الافعال فضايحها * ويجعل ستر المروءة
 مهتوكا * ومدخل الشر مسلوكا * قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
 الهوى اله يعبد من دون الله ثم تلا أفرأيت من اتخذ الهه هواه وقال
 عكرمة في قوله تعالى ولكنكم فتنم انفسكم يعني بالشهوات وتربصتم
 يعني بالتوبة واربتنم يعني في امر الله وغرتكم الاماني يعني بالتسويق
 حتى جاء امر الله يعني الموت وغرتكم بالله الغرور يعني الشيطان وروى
 عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طاعة الشهوة داء * وعصيانها دواء *
 وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقدعوا هذه النفوس عن شهواتها
 فانها طلاعة تنزع الى شر غاية ان هذا الحق ثقيل مرى وان الباطل
 خفيف وبني وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة ورب نظرة زرعت شهوة
 وشهوة ساعة اورثت حزناً طويلاً وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
 اخاف عليكم اثنين اتباع الهوى وطول الأمل فان اتباع الهوى يصد عن الحق

وطول الامل ينسب الآخرة وقال الشعبي انما سمي الهوى هوى لانه يهوى بصاحبه
وقال اعرابي الهوى هوان ولكن غلط باسمه فاحذه الشاعر وقال

* ان الهوان هو الهوى قلب اسمه * فاذا هويت فقد لقيت هوانا *
وقيل في منشور الحكم من اطاع هواه * اعطى عدوه منه * وقال بعض الحكماء
العقل صديق مقطوع * والهوى عدو متبوع * وقال بعض الباطن افضل
الناس من عصي هواه * وافضل منه من رفض ديناه * وقال هشام بن عبد الملك
ابن مروان

* اذا انت لم تعص الهوى فانك الهوى * الى كل ما فيه عليك مقال *
قال ابن المعتز رحمه الله لم يقل هشام بن عبد الملك سوى هذا البيت وقال الشاعر
* اذا ما رأيت المرء يعتاده الهوى * فقد شكلته عند ذاك ثواكله *
* وقد اشتهت الاعداء جهلا بنفسه * وقد وجدت فيه مقالا عواذله *
* وما يردع النفس الموجع عن الهوى * من الناس الا حازم الراى كامله *
فلما كان الهوى غالبا والى سبيل المهالك موردا جعل العقل عليه رقيباً
مجاهداً يلاحظ عثرة غفلته * ويدفع بانرة سطوته * ويدفع خداع
حيلته * لان سلطان الهوى قوى * ومدخل مكره خفى * ومن
هذين الوجهين يؤتى العاقل حتى تنفذ احكام الهوى عليه اعنى باحد الوجهين
قوة سلطانه وبالاخر خفاء مكره فاما الوجه الاول فهو ان يقوى سلطان
الهوى بكثرة دواعيه حتى يستولى عليه مغالبة الشهوات فيكل العقل عن
دفعها * ويضعف عن منعها * مع وضوح قبورها في العقل المقهور بهما
وهذا يكون في الاحداث اكثر وعلى الشباب اغلب لقوة شهواتهم وكثرة دواعي
الهوى المتسلط عليهم وانيزم ربما جعلوا الشباب عذرا لهم كما قال محمد بن بشير
* كل يرى ان الشباب له * في كل مبلغ لذة عذرا *
ولذلك قال بعض الحكماء الهوى ملك غشوم * ومتسلط ظلوم * وقال
بعض الادباء الهوى عسوف * والعدل مألوف * وقال بعض الشعراء
* يا عاقلا اردى الهوى عقله * مالك قد سدت عليك الامور *
* أتعجل العقل اسير الهوى * وانما العقل عليه امير *

وحسم ذلك ان يستعين بالعقل على النفس النفورة فيشعرها ما في عواقب
الهوى من شدة الضرر * وقبح الاثر * وكثرة الاجرام * وتراكم الآثام * فقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات اخبر
ان الطريق الى الجنة احتمال المكاره والحريق الى النار اتباع الشهوات اخبر
قال علي بن ابي طالب رضى الله عنه اياكم وتحكميم الشهوات على انفسكم
فان عاجلها ذميم * وآجلها وخيم * فان لم ترها تنقاد بالتحذير والارهاب *
فسوفها بالتأميل والارغاب * فان الرغبة والرغبة اذا اجتمعا على النفس ذلت لهما
وانقادت وقد قال ابن السماك كن لهواك مسوقا * واعقلك مسعفا *
وانظر الى ما تسوء عاقبه فوطن نفسك على مجانبته فان ترك النفس وما تهوى
داؤها * وترك ما تهوى دواؤها * فاصبر على الدواء * كما تخاف من الداء * وقال
الشاعر

* صبرت على الايام حتى تولت * والزمت نفسي صبرها فاستمرت *
* وما النفس الا حيث يجعلها الفتى * فان طمعت تأقت والاتسلت *
فاذا انقادت النفس للعقل بما قد اشعرت من عواقب الهوى لم يلبث الهوى
ان يصير بالعقل مدحورا * وبالنفس مقهورا * ثم له الخط الاوفى في ثواب
الخالق وثناء المخلوقين قال الله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس
عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال الحسن البصري افضل الجهاد جهاد
الهوى وقال بعض الحكماء اعز العز الامتناع من ملك الهوى وقال بعض
البلغاء خير الناس من اخرج الشهوة من قلبه * وعدى هواه في طاعة ربه
وقال بعض الادباء من انات شهوته * فقد احى مروءته * وقال بعض العلماء
ركب الله الملائكة من عقل بلا شهوة وركب البهائم من شهوة بلا عقل وركب
ابن آدم من كليهما فن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلبت
شهوته على عقله فهو شر من البهائم وقيل لبعض الحكماء من اشجع الناس
واحراهم بالغفر في مجاهدته قل من جاهد الهوى طاعة لربه * واحترس
في مجاهدته من ورود خواطر الهوى على قلبه * وقال بعض الشعراء
* قد يدرك الحازم ذوالرأى انى * بطاعة الحزم وعصيان الهوى *

واما الوجه، الثاني فهو ان يخفى الهوى بكره حتى تتوه افعاله على العقل فيتصور
القيح حسنا والضرر نفعا وهذا يدعو اليه احد شينين اما ان يكون للنفس ميل
الى ذلك الشيء فيخفى عنها التبع لحسن ظنها وتتصوره حسنا لشدة ميلها ولذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم اي يعمي عن الرشد ويصم
عن الموعظة وقال علي رضي الله عنه الهوى عمى قال الشاعر

* حسن في كل عين من تود *

وقال عبيد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه
* ولست براء عيب ذي الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا *
* فعين الرضى عن كل عيب كائلة * ولكن عين السخط تبدى المساويا *
واما السبب الثاني فهو اشتغال الفكر في تمييز ما اشتبه فيطلب الراحة في اتباع
ما استسهل حتى يظن ان ذلك اوفق امره واحدا حاله اغترار بان الاسهل
محمود والاعسر مذموم فان يعدم ان يتورط بخدع الهوى وريّة المكر في كل
مخوف حذر * ومكره عسر * ولذلك قال عامر بن الظرب الهوى يقظان
والعقل راقد فن ثم غلب وقال سليمان بن وهب 'الهوى امنع * والرأى
انفع * وقيل في المثل العقل وزير ناصح * والهوى وكييل فاضح *
وقال الشاعر

* اذا المرء اعطى نفسه كلما اشتتهت * ولم يتهبها تافت الى كل باطل *
* وسأقت اليه الاثم والعار بالذي * دعت اليه من حلاوة عاجل *
وحسم السبب الاول ان يجعل فكر قلبه حكما على نظر عينه فان العين رائد
الشهوة والشهوة من دواعي الهوى والقلب رائد الحق والحق من دواعي العقل *
وقال بعض الحكماء نظر الجاهل بعينه وناظره * ونظر العاقل بقلبه وخاطره * ثم
يتهم نفسه في صواب ما احبت وتحسين ما اشتتهت ليصح له الصواب ويتبين له
الحق فان الحق اثقل محملا واصعب مر كبا فان اشكل عليه امر ان اجتنب
اجبهما اليه * وترك اسملهما عليه * فان النفس عن الحق انفر * وللهوى
آثر * وقد قال العباس بن عبد المطلب اذا اشتبه عليك امران فدع اجبهما
اليك * وخذ اقلهما عليك * ودلة هذا القول هو ان الثقل يبطئ النفس

عن التسرع اليه فيفتح مع الابطاء وتطاول الزمان صواب ما استعجم *
 وظهور ما استبههم * وقد قال علي بن ابي طالب من تفكر ابصر والمحجوب اسهل
 شيء تسرع النفس اليه * وتجل بالاقدام عليه * فيقصر الزمان عن تصفحه
 ويفوت استدراكه لتقصير فعله فلا ينفع التصفيح بعد العمل ولا الاستبانة بعد
 القوت وقال بعض الحكماء ما كان عنك معرضا * فلا تكن به معرضا * وقال
 الشاعر

* أليس طلاب ما قد فات جهلا * وذكر المرء ما لا يستطيع *
 ولقد وصف بعض البلغاء حال الهوى وما يقارنه من محن الدنيا فقال الهوى
 مطية الفتنة * والدنيا دار المحنة * فانزل عن الهوى تسلم * واعرض
 عن الدنيا تغنم * ولا يغرنك هوائك بطيب الملاهي ولا تفتك ذنبك بحسن
 العواري فخذ اللهو تهطع وعارية الدهر ترجع ويبق عليك ما تتركه من
 المحارم * وتكتسبه من المائيم * وقال علي بن عبد الله الجعفرى سمعتنى امرأة
 بالطواف وانا انشد

* اهوى هوى الدين والذات تعجبنى * فكيف لى بهوى الذات والدين *
 فقالت هما ضربتان فذر ايهما شئت وخذ الاخرى فلما فرق ما بين الهوى
 والشهوة مع اجتماعهما فى العلة والمعلول * واتفاقهما فى الدلالة والمدلول * فهو
 ان الهوى مختص بالآراء والاعتقادات والشهوة مختصة بذيل اللذة فصارت الشهوة
 من نتائج الهوى وهى اخص والهوى اصل هو اعم ونحن نسأل الله تعالى ان
 يكفينا دواعى الهوى * ويصرف عنا سبل الردى * ويجعل التوفيق لنا قائدا *
 والعقل لنا مرشدا * فقد روى ان الله تعالى اوحى الى عيسى عليه السلام عظ
 نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي منى وقال محمد بن كناسة

* ما من روى ادبا فلم يعمل به * وكيف عن زيف الهوى ياديب *
 * حتى يكون بما تعلم عاملا * من صالح فيكون غير معيب *
 * ولقما تغنى اصابة قائل * افعاله افعال غير مصيب *

❖ ❖

❖ وقال آخر ❖

* يا ايها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم *
 * تصف الدواء الذي السقام وذى الضنى * كيما يصح به وانت سقيم *
 * ابدأ بنفسك فانها عن غيها * فاذا انتهت عنه فانت حكيم *
 * فهناك تعذر ان وعظت ويقتدى * بالقول منك ويقبل التعليم *
 * لانه عن خلق وثأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم *
 حكي ابو فروة ان طارقا صاحب شرطة خالد القسرى مر بابن شبرمة وطارق
 في موكب فقال ابن شبرمة

* اراها وان كانت تحب كآنها * سحابة صيف عن قريب تقشم *
 اللهم لي ديني ولهم دنياهم فاستعمل ابن شبرمة بعد ذلك على القضاء فقال له ابنه
 ابو بكر أتذكر قولك يوم كذا اذ مر بك طارق في موكب فقال يا بني انهم يجدون
 مثليك ولا يجد ابوك مثلهم ان اباك اكل من حلاوتهم * خط في اهوائهم * أما ترى
 هذا الدين الفاضل كيف عوجل بالتفريع وقوبل بالتوبيخ من اخص ذويه * ولعله
 من ابرئيه * فكيف بنا ونحن اطلق منه عنا * واقلق منه جنا * اذا رمقنا
 عين المتبعين * وتناولتنا السن المتبعين * هل نجد غير توفيق الله تعالى ملاذا *
 وسوى عصيته معاذنا *

❖ باب ادب العالم ❖

اعلم ان العلم اشرف ما رغب فيه الراغب * وافضل ما طلب وجد فيه الطالب *
 وانفع ما كسبه واقتناه الكاسب * لان شرفه يثر على صاحبه * وفضله ينمي على
 طالبه * قال الله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فنع المساواة
 بين العالم والجاهل لما قد خص به العالم من فضيلة العلم وقال تعالى وما يعقلها
 الا العالمون فنفى ان يكون غير العالم يعقل عنه امرا * او يفهم منه زجرا *
 وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اوحى الى ابراهيم عليه السلام
 اني اعلم احب كل عليم وروى ابو امامة قال سئل رسول الله صلى الله عليه

وسلم عن رجلين احدهما عالم والاخر عابد فقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم رجلا وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الناس ابناء ما يحسنون وقال مصعب بن الزبير تعلم العلم فان يكن لك مال كان لك جالا وان لم يكن لك مال كان لك مالا وقال عبد الملك بن مروان لبنيه يا بني تعلموا العلم فان كنتم سادة فتمم * وان كنتم وسطا سدتم * وان كنتم سوقة عشتم * وقال بعض الحكماء العلم شرف لا قدر له والادب مال لا خوف عليه وقال بعض الادباء العلم افضل خلف * والعمل به اكل شرف * وقال بعض البلغاء تعلم العلم فانه يقومك ويسدك صغيرا * ويقدمك ويسودك كبيرا * ويصلح زيفك وفاسدك * ويرغم عدوك وحاسدك * ويقوم عوجك وميلك * ويصحح هيئتكم وامالك * وقال علي رضي الله تعالى عنه قيمة كل امرئ ما يحسن فاخذته الخليل فنظمه شعرا فقال

* لا يكون العلي مثل الدني * لا ولا ذو الذكاء مثل الغبي *
* قيمة المرء قدر ما يحسن المرء * قضاء من الامام علي *

وليس يجهل فضل العلم الا اهل الجهل لان فضل العلم انما يعرف بالعلم وهذا ابلغ في فضله لان فضله لا يعلم الا به فلما عزم الجهال العلم الذي به يتوصلون الى فضل العلم جهلوا فضله * واستخذلوا اهله * وتوهموا ان ما تميل اليه نفوسهم من الاموال المتناه * والطرف المشتهى * اولى ان يكون اقبالهم عليها واحرى ان يكون اشتغالهم بها وقد قال ابن المعتز في منشور الحكم العالم يعرف الجاهل لانه كان جاهلا والجاهل لا يعرف العالم لانه لم يكن عالما وهذا صحيح ولا جله انصرفوا عن العلم واهله انصرفوا عن الزاهدين * وانحرفوا عنه وعنهم انحرفوا المعاندين * لان من جهل شيئا عاناه وانشدني ابن لنكك لابي بكر بن دريد

* جهلت فعاديت العلوم واهلها * كذلك يعادى العلم من هو جاهله *
* ومن كان بهوى ان يرى متصدرا * ويكره لا ادري اصيبت مقالته *
وقيل لبرز جهر العلم افضل ام المال فقال بل العلم قيل فاباننا نرى العلماء على ابواب الاغنياء ولا نكاد نرى الاغنياء على ابواب العلماء فقال ذلك اعرفه العلماء

بمنفعة المال وجهل الاغنياء لفضل العلم وقيل لبعض الحكماء لم لا يجتمع العلم والمال *
فقال لعز الكمال * فانشدت لبعض اهل هذا العصر

* وفي الجهل قبل الموت موت لاهله * فاجسامهم قبل القبور قبور *
* وان امراء لم يحى بالعلم ميت * فليس له حتى الشور نشور *
ووقف بعض المتعلمين بباب عالم ثم نادى تصدقوا علينا بما لا يتعب ضرسا *
ولا يسقم نفسا * فاخرج له طاعاما ونفقة قتال فاقتى الى كلامكم * اشد من
فاقتى الى طعامكم * اتى طالب هدى * لاسائل ندى * فاذن له العالم وافاده من كل
ما سأل عنه فخرج جذلا فرحا وهو يقول علم اوضح لبسا * خير من مال اغنى
نفسا * واعلم ان كل العلوم شريفة ولكل علم منها فضيلة والاحاطة بجميعها محال
قبل لبعض الحكماء من يعرف كل العلوم قتال كل الناس وروى عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال من ظن ان للعلم غاية فقد بخره حق، ووضع في غير منزلته
التي وصفه الله بها حيث يقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقال بعض العلماء
لو كنا نطلب العلم لتبلغ غايته كنا قد بدأنا العلم بالتمنيصة ولكننا نطلبه لنقص في
كل يوم من الجهل وزداد في كل يوم من العلم وقال بعض العلماء المتعمق في
العلم كالساج في البحر ليس يرى ارضا * ولا يعرف طولا ولا عرضا * وقيل
لحماد الراوية أما تشبع من هذه العلوم فقال استفرغنا فيها المجهود * فلم ينبغ
منها المحدود * فحن كما قال الشاعر

* اذا قطعنا علما بدا علم *

وانشد الرشيد عن المهدي يبتين وقال اظنهما له
* يا نفس خوضي بحار العلم او غوصي * فالناس ما بين معوم ومخصوص *
* لاشئ في هذه الدنيا يحيط به * الا احاطة منقوص بمنقوس *
واذا لم يكن الى معرفة جميع العلوم سبيل وجب صرف الاهتمام الى معرفة
اهمها والغاية باولاها وافضلها واولى العلوم وافضلها علم الدين لان الناس
بمعرفة يرشدون * وبجهله يضلون * اذ لا يصح آداء عبادة جهل فاعلمها صفات
آدابها * ولم يعلم شروط اجزائها * ونذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضل العلم خير من فضل العبادة وانما كان كذلك لان العلم يبعث على فضل

العبادة والعبادة مع خلو فاعلمها من العلم بها قد لا تكون عبادة فلزم علم الدين كل مكلف وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وفيه تأويلان أحدهما علم ما لا يسع جهله من العبادات والثاني جملة العلم اذا لم يقم بطاؤه من فيه كفاية واذا كان علم الدين قد اوجب الله تعالى فرض بعضه على الاعيان وفرض جميعه على الكافة كان اولى مما لم يجب فرضه على الاعيان ولا على الكافة قال الله تعالى فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون وروى عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فاذا هو بمجلسين احدهما يذكر الله تعالى والاخر يتفقهون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا المجلسين على خير واحدهما احب الى من صاحبه اما هؤلاء فيسألون الله تعالى ويذكرونه فان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما المجلس الآخر فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل وانما بعثت معلما وجلس الى اهل الفقه وروى مروان بن جناح عن يونس بن ميسرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخير عادة والشر لجاثة ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خيار امتي علماؤها وخيار علمائها فقهائوها وروى معاذ بن رفاعه عن ابراهيم بن عبد الرحمن العذري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين * وانتحال المبطلين * وتأويل الجاهلين * وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال على بمختلفائ قالوا ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله وروى حميد عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال التفقه في الدين حق على كل مسلم ألا فاعلموا وعلموا وتفقهوا ولا تموتوا جهالا وروى سليمان بن يسار عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما عبد الله بشيء افضل من فقهه في الدين وفقيهه واحد اشد على الشيطان من الف عابد ولكل شيء عماد وعماد الدين الفقه وربما مال بعض المتهاونين بالدين الى العلوم العقلية ورأى انها احق بالفضيلة واولى بالتقدمة استقالاتا تضمنه الدين من التكليف * واسترذالا لما جاء به الشرع

من التعبد والتوقيف * والكلام مع مثل هذا في اصل * لا يتسع له هذا الفصل *
 ولن ترى ذلك فيمن سلت فطنته * وصحت رويته * لان العقل يمنع من ان يكون الانسان
 هملًا او سدى يعتمدون على آرائهم المختلفة وينقادون لاهوائهم المتشعبة لما
 تؤول اليه امورهم من الاختلاف والتنازع * ويفضون اليه احوالهم من التباين
 والنقاط * فلم يستغنوا عن دين يتألفون به ويتفتنون عليه ثم العقل موجب له
 او مانع ولو تصور هذا المختل التصور ان الدين ضرورة في العقل وان العقل
 في الدين اصل لتعصر عن التقصير واذعن للحق ولكن اهل نفسه فضل واضل
 وقد يتعلق بالدين علوم قد بين الشافعي فضيلة كل واحد منها فقال من تعلم
 القرآن عظمت قيمته ومن تعلم الفقه نبه متداره ومن كتب الحديث قويت حجته
 ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن تعلم العربية رق طبعه ومن لم يصن نفسه لم
 ينفعه عمله ولعمري ان صيانة النفس اصل الفضائل لان من اهل صيانة نفسه
 ثقة بما منحه العلم من فضيلته وتوكل على ما يلزم الناس من صيائمه
 سلبوه فضيلة عمله ووسموه بقبائح تبذله فلم ياف ما اعطاء العلم بما سلبه التبذل
 لان القبيح انم من الجليل والذيلة اشهر من الفضيلة لان الناس لما في طبائعهم
 من البفظة والحسد ونزاع المنافسة تنصرف عيونهم عن المحاسن الى المساوي
 فلا ينصفون محسنا ولا يحابون مسيئلا سيما من كان بالعلم موسوما واليه منسوب
 فان زلته لا تقال وهفوته لا تعذر اما القبح اثرها واغترار كثير من الناس بها
 وقد قيل في منشور الحكم ان زلة العالم كالسفينه تفرق ويفرق معها خلق كثير
 وقيل لعيسى ابن مريم عليه السلام من اشد الناس فتنة قال زلة للعالم اذا زل
 زل بزلة عالم كثير فهذا وجهه واما لان الجهال بدمه اغرى * وعلى تنصه
 اخرى * ليسلبوه فضيلة التقدم ويمنعوه مباينة التخصيص عناد لما جهلوه
 ومقتا لما بانيوه لان الجاهل يرى العلم تكلفا ولو ما * كما ان العالم يرى الجهل
 تخلفا وذما * وانشدت عن الربيع للشافعي رضى الله عنه

- * ومنزلة السفيه من الفقيه * كمنزلة الفقيه من السفيه *
- * فهذا زاهد في قرب هذا * وهذا فيه ازهد منه فيه *
- * اذا غلب الشقاء على سفيه * تقطع في مخالفة الفقيه *

وقال يحيى بن خالد لابنه عليك بكل نوع من العلم فخذ منه فإن المرء عدو
ما جهل وانا اكراه ان تكون عدو شئ من العلم وانشد

* تفنن وخذ من كل علم فانما * يفوق امرؤ في كل فن له علم *
* فانت عدو للذي انت جاهل * به ولعلم انت تتقنه سلم *

واذا صان ذو العلم نفسه حق صيانتها ولازم فعل ما يلزمها امن تعبير الموالي
وتتقيص المعادى وجمع الى فضيلة العلم جميل الصيانة وعز الزهادة فصار بالنزلة
التي يستحقها بفضائله وروى ابو الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العلماء
ورثة الانبياء لان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانا ورثوا العلم وروى
ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للانبياء على العلماء فضل درجتين
وللعلماء على الشهداء فضل درجة وقال بعض البلغاء ان من التريعة ان
تجل اهل الشريعة * ومن الصنعة ان ترب حسن الصنيع * فيبني لمن
استدل بفطرته على استحسان الفضائل * واستباح الرذائل * ان ينفي عن
نفسه رذائل الجاهل بفضائل العلم وغفلة الاهمال باحتياط المعانة ويرغب في العلم
رغبة محتقة لفضائله واثق بمنافعه ولا يلهي عن طلبه كثرة ما وجد ولا نفوذ
امر وعلو منزلة فان من نفذ امره فهو الى العلم احوج ومن علت منزلته
فهو بالعلم احق وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان
الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع العبد المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك
وقد قال بعض الادباء كل عز لا يوطئه علم مذه * وكل علم لا يؤيده عقل
مضله * وقال بعض علماء السلف اذا اراد الله بالناس خيرا جعل العلم في ملوكهم
والملك في علمائهم وقال بعض البلغاء العلم عصمة الملوك لانه يمنعهم من الظلم *
ويردهم الى الخلف * ويصدهم عن الاذية * ويعطفهم على الرعية * فمن
حتهم ان يعرفوا حقه ويستبطنوا اهله فاما المال فقل زائل وعارية مسترجعة
وليس في كثرة فضيلة ولو كانت فيه فضيلة لخص الله به من اصطفاه لرسالته *
واجتباة لنبوته * وقد كان اكثر انبياء الله تعالى مع ما خصهم الله به من كرامته
وفضاهم على سائر خلقه فقراء لا يجدون بلغة ولا يقدرون على شئ حتى صاروا
في الفقر مثلا فقال البخري

* فقر كفترا الانبياء وغربة * وصباية ليس البلاء بواحد
 ولعدم الفضيلة في المال فحده الله الكافر وحرمة المؤمن قال الشاعر
 * كم كافر بالله امواله * تزداء اضعا فاعلى كفره
 * ومؤمن ليس له درهم * يزداد ايمانا على فقره
 * بالأمم الدهر و افعاله * مشتغلا يزرى على دهره
 * الدهر مأمور له أمر * ينصرف الدهر على امره
 وقد بين علي بن ابي طالب رضي الله عنه فضل ما بين العلم و المال فقال العلم
 خير من المال العلم يحرسك و انت تحرس المال العلم حاكم و المال محكوم عليه مات
 خزان الاموال و بقي خزان العلم اعيانهم مفقودة * و اشخاصهم في التلويح
 موجوده * و سئل بعض العلماء ايما افضل المال ام العلم فقال الجواب عن هذا
 ايما افضل المال ام العقل و قال صالح بن عبد التدوس
 * لا خير فيمن كان خير ثناءه * في الناس اقولهم غنى واجد
 وربما امتنع الانسان من طلب العلم لكبرسه و استحيائه من تقصيره في صغره *
 ان يتعلم في كبره * فرضى بالجهل ان يكون موسوما به و آثره على العلم
 ان يصيد مبتدئا به و هذا من خدع الجهل و غرور الكسل لان العلم اذا كان
 فضيلة فرغبة ذوى الاسنان فيه اولى و الابتداء بالفضيلة فضيلة و لان يكون
 شيخا متعلما اولى من ان يكون شيخا جاهلا حتى ان بعض الحكماء رأى شيخا
 كبيرا يحب النظر في العلم و يستحي فقال له يا هذا استحي ان تكون
 في آخر عمرك افضل مما كنت في اوله و ذكر ان ابراهيم بن المهدي دخل على
 المأمون و عنده جماعة يتكلمون في الفقه فقال يا عم ما عندك فيما يقول هؤلاء فقال
 يا امير المؤمنين شغلونا في الصغر و اشتغلنا في الكبر فقال لم لا تتعلم اليوم قال
 أو يحسن بمثل طلب العلم قال نعم والله لان تموت طالبا للعلم خير من ان تعيش
 قانعا بالجهل قال و الى متى يحسن بي طلب العلم قال ما حسنت بك الحياة و لان
 الصغير اعذر و ان لم يكن في الجهل عذر لانه لم تطل به مدة التفریط و لا استمرت
 عليه ايام الاهمال و قد قيل في منشور الحكم جهل الصغير معذور * و علمه
 محذور * فلما الكبير فالجهل به اقبح * و نقصه عليه افضح * لان علو السن

اذا لم يكسبه فضلا و ام يفده علما و كانت ايامه في الجهل ماضيه * و من الفضل خاليه * كان الصغير افضل منه لان الرجاء له اكثر * و الامل فيه اظهر * و حسيك نقصا في رجل يكون الصغير المساوي له في الجهل افضل منه و انشدت لبعض اهل الادب

* اذا لم يكن مر السنين مترجما * عن الفضل في الانسان سميت طفلا *
 * و ما تنفع الايام حين يعدها * و لم يستفد فيهن علما و لا فضلا *
 * ارى الدهر من سوء التصرف مائلا * الى كل ذي جهل كان به جهلا *
 و ربما امتنع من طلب العلم لتعذر المادة و شغله اكتسابها عن التماس العلم و هذا و ان كان اعذر من غيره مع انه قل ما يكون ذلك الا عند ذي شره و عيب و شهوة مستعبدة فينبغي ان يصرف الى العلم حظا من زمانه فليس كل الزمان زمان اكتساب و لا بد للمكتسب من اوقات استراحة و ايام عطلة و من صرف كل نفسه الى الكسب حتى لم يترك لهما فراغا الى غيره فهو من عبيد الدنيا و اسراء الحرص و قد روى عن النبي صلى الله عليه و سلم انه قال لكل شئ فترة فمن كانت فترته الى العلم فقد نجح و روى عن النبي صلى الله عليه و سلم انه قال كونوا علماء صالحين فان لم تكونوا علماء صالحين فجالسوا العلماء و اسمعوا علما يدلکم على الهدى و يردکم عن الردى و قال بعض العلماء من احب العلم احاطت به فضائله و قال بعض الحكماء من صاحب العلماء و قر * و من جالس السفهاء حقر * و ربما منعه من طلب العلم ما يخذله من صعوبته و بعد غايته و يخشى من قلة ذهنه و بعد فطنته و هذا الظن اعتذار ذوى النقص و خيفة اهل العجز لان الاخبار قبل الاختبار جهل و الخشية قبل الابتلاء عجز و قد قال الشاعر

* لا تكونن للامور هيوبا * فالى خيبة يصير الهيوب *
 و قال رجل لابى هريرة رضى الله عنه اريد ان اتعلم العلم و اخاف ان اضيعه فقال كنى بترك العلم اضاعة و ليس وان تفاضلت الاذهان و تفاوتت الفطن ينبغي لمن قل منها حفظه ان يئس من نيل القليل و ادراك اليسير الذى يخرج به من حد الجهالة الى ادنى مراتب التخصيص فان الماء مع لينة يؤثر في صم الصخور فكيف لا يؤثر العلم الزكى * في نفس راغب شهى * و طالب خلى * لا سيما

وطالب العلم معان قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتضع ارجلها لطالب العلم رضا بما يطلب وربما منع ذا السفاهة من طلب العلم ان يصور في نفسه حرفة اهله وتضايق الامور مع الاشتغال به حتى يسهم بالادبار ويتوسمهم بالحرمان فان رأى محبرة تطير منها وان رأى كتابا اعرض عنه وان رأى متحملا بالعلم هرب منه كأنه لم ير عالما متبلا وجاهلا مدبرا ولقد رأيت من هذه الطبقة جماعة ذوى منازل واحوال كنت اخفى عنهم ما يصحبنى من محبرة وكتاب لئلا اكون عندهم مستغلا وان كان البعد عنهم مؤنسا ومصالحا والقرب منهم موحشا ومفسدا فقد قال بزرجمهر الجهل في القلب كالنز في الارض يفسد ما حوله لكن اتبعت فيهم الحديث المروى عن ابي الاشعث عن ابي عثمان عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خالطوا الناس باخلاقهم وخالفوهم في اعمالهم ولذلك قال بعض البلغاء رب جهل وقيت به علماء * وسفه حيث به حماء * وهذه الطبقة ممن لا يرجى لها صلاح * ولا يؤمل لها فلاح * لان من اعتقد ان العلم شين * وان تركه زين * وان للجهل اقبالا مجديا * وللعلم ادبارا مكديا * كان ضلاله مستحكما ورشاده مستعبدا وكان هو الخامس الهالك الذي قال فيه علي بن ابي طالب رضى الله عنه اغد عالما او متعلا او مستمعا او محبا ولا تكن الخامس فتهلك وقد رواه خالد الحذاء عن عبد الرحمن ابن ابي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم مسندا وليس لمن هذه حاله في العذل نفع ولا في الاصلاح مطمع وقد قيل لبزرجمهر ما لكم لا تعاتبون الجهال فقال انا لا نكلف العبي ان يبصروا ولا الصم ان يسمعوا وهذه الطائفة التي تنفر من العلم هذا النفور وتعااند اهله هذا العناد ترى العقل بهذه المثابة وتنفر من العقلاء هذا النفور وتعتقد ان العاقل محارف وان الاجق محظوظ وناهيك بضلال من هذا اعتقاده في العقل والعلم هل يكون خير اهلا او لفضيلة موضعا وقد قال بعض البلغاء اخبث الناس المساوي بين المحاسن والمساوي وعلة هذا انهم ربما رأوا عاقلا غير محظوظ وعلما غير مرزوق فظنوا ان العلم والعقل هما السبب في قلة حظهم ورزقهم وقد انصرف عيونهم عن حرمان اكثر النوكى وادبار اكثر الجهال لان في العقلاء والعلماء قلة

و عليهم من فضلهم سمة ولذلك قيل العلماء غرباء لكثرة الجهال فاذا ظهرت سمة فضلهم وصادف ذلك قلة حظ بعضهم تنهوا بالتميز واشتهروا بالتحسين فصاروا مقصودين باشارة المتعنين لمخوطين بايحاء الشامتين والجهال والجمعي لما كثروا ولم يتخصصوا انصرف عنهم النفوس فلم يلحظ المحروم منهم بطرف شامت ولا قصد المجدود منهم باشارة عائب فلذلك ظن الجاهل الزروق ان الفتر والضيق مختص بالعلم والعقل دون الجهل والحق ولو قشيت احوال العلماء والعقلاء مع قلتهم لوجدت الاقبال في اكثرهم ولو اختبرت امور الجهال والجمعي مع كثرتهم لوجدت الحرمان في اكثرهم وانما يصير ذو الحال الواسعة منهم لمخووظا مشتهرا لان حيلة عجيب واقباله مستغرب كما ان حرمان العاقل العالم غريب واقلاله عجيب ولم تزل الناس على سالف الدهور من ذلك متعجبين وبه معتبرين حتى قيل لبرزجره ما اعجب الاشياء فقال نبح الجاهل واكداء العاقل لكن الرزق بالخذ والجذ لا بالعلم والعقل حكمة منه تعالى يدل بها على قدرته واجراء الامور على مشيئته وقد قالت الحكماء لو جرت الاقسام على قدر العقول لم تعش البهائم فظنهم ابو تمام فقال

* ينال الفتى من عيشه وهو جاهل * ويكدي الفتى من دهره وهو عالم *
* ولو كانت الارزاق تجري على الحبي * هلكن اذن من جهلهم البهائم *

وقال كعب بن زهير بن ابي سلمى *

* لو كنت اعجب من شيء لاثعبنى * سعى الفتى وهو مخبوء له القدر *
* يسعى الفتى لامور ليس يدركها * والنفس واحدة والههم منتشر *
على ان العلم والعقل سعادة واقبال * وان قل معهما المال * وضائق معهما الحال *
الحال * لان السعادة ليست بكثرة المال فكم من مكترش ومقل سعيد وكيف يكون الجاهل الغني سعيدا والجهل بضعة * ام كيف يكون العالم الفقير شقيا والعلم يرفعه * وقد قيل في منشور الحكم كم من ذليل اعزه علمه ومن عزيز اذله جهله وقال عبد الله بن المعتز الجاهل كروضة على مرزبة وقال بعض الحكماء كما حسنت نعمة الجاهل ازداد قبحا وقال بعض العلماء لبنية يا بني تعلموا

العلم فان لم تاتوا به من الدنيا حظا فلا تاذم الزمان لكم احب الى من ان يذم الزمان بكم وقال بعض الاذباء من لم يفد بالعلم مالا * كسب به جالا *
وانشد بعض اهل الادب لابن طباطبا

* حسود مريض القلب يخفى اينه * ويضحى كئيب البال عندى حزينه *
* يلوم على ان رحت للعلم طالبا * اجع من عند الرواة فنونه *
* فاعرف ابكار الكلام وعونه * واحفظ مما استفيد عيونه *
* ويزعم ان العلم لا يكسب الغنى * ويحسن بالجهل الذميم ظنونه *
* فيا لأعمى دعنى اعالى بتميتى * فقيمة كل الناس ما يحسنونه *

وانا استعيز بالله من خدع الجهل المذله * وبوادى الحق المضله * واسأله
السعادة بعقل رادع يستقيم به من زل * وعلم نافع يستهدى به من ضل * فقد
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا استرذل الله عبدا حظر عليه العلم
فينبغي لمن زهد فى العلم ان يكون فيه راغبا * ولمن رغب فيه ان يكون له
طالبا * ولمن طلبه ان يكون منه مستكثرا * ولمن استكثر منه ان يكون به عاملا
ولا يطلب لتركه احتجاجا ولا للتقصير فيه عذرا وقد قال الشاعر

* فلا تعذرانى فى الاساءة انه * شرار الرجال من يسئ فيعذر *
ولا يسوف نفسه بالمواعيد الكاذبة ويمنيها بانقطاع الاشغال المتصلة فان لكل
وقت شغلا ولكل زمان عذرا وقال الشاعر

* نروح ونغدو لحاجتنا * وحاجة من عاش لا تنفنى *
* تموت مع المرء حاجاته * وتبقى له حاجة ما بقى *
ويقصد طلب العلم واثقا بتيسير الله قاصدا وجهه الله تعالى بنية خالصة وعزيمة
صادقة فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تعلم علما لمغير الله
واراد به غير الله فليتبوأ متعهه من النار وروى ابوهريرة رضى الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تعلموا العلم قبل ان يرفع ورفعه ذهاب اهله
فان احداكم لا يدري متى يحتاج اليه او متى يحتاج الى ما عنده وليحذر ان يطلبه
لمراء او رياء فان الممارى به مهجور لا يذفع * والمرأى به محقور لا يرتفع * وروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تعلموا العلم لتماروا به السفهاء * ولا تعاوا

العلم لتجادلوا به العلماء * فمن فعل ذلك منكم فلنصار مشواه وليس الممارى به هو المناظر فيه طالبا للصواب منه، ولكنه القاصد لدفع ما يرد عليه من فاسد او صحيح وفيهم جاءت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يجادل الا منافق او مرتاب وقال الاوزاعي اذا اراد الله بقوم شرا اعطاهم الجدل * ومنعهم العمل * واشد الرياشي لمصعب بن عبد الله

- * اجادل كل معترض ظنين * واجعل دينه عرضا لديني *
- * وترك ما علمت لرأى غيري * وليس الرأي كالعلم اليقين *
- * وما انا والخصومة وهي شئ * يصرف في الشمال وفي اليمين *
- * فاما ما علمت فقد كفاني * واما ما جهلت فخبوني *

وقد بين ذلك بعض العلماء فقال لصاحبه لا يمنعك حذر المراء من حسن المناظرة فان الممارى هو الذي لا يريد ان يتعلم منه احد ولا يرجو ان يتعلم من احد * واعلم * ان لكل مطلوب باعثا والباعث على المطلوب شيان رغبة او رهبة فليكن طالب العلم راغباً راهباً اما الرغبة ففي ثواب الله تعالى لطالبي مرضاته * وحافظي مفترضاته * واما الرهبة ففي عقاب الله تعالى لتاركى اوامره * ومهملي زواجه * فاذا اجتمعت الرغبة والرهبة ادبى الى كنه العلم وحقيقة الزهد لان الرغبة اقوى الباعثين على العلم والرهبة اقوى السببين في الزهد وقد قالت الحكماء اصل العلم الرغبة وثمرته السعادة * واصل الزهد الرهبة وثمرته العبادة * فاذا اقترن الزهد والعلم فقد تمت السعادة وامت الفضيلة وان افترقا فيا ويح مفترقين ما اضر افتراقهما واقبح انفرادهما وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ازداد في العلم رشدًا * فلم يزد في الدنيا زهدًا * لم يزد من الله الا بعدا * وقال مالك بن دينار من لم يؤت من العلم ما يطمع به * فهاوت منه لا ينفعه * وقال بعض الحكماء الفقيه بغير ورع كالسراج يضيء البيت ويحرق نفسه * فصل * واعلم ان للعلوم اوائل تؤدي الى اواخرها ومداخل تغضي الى حقائقها فليبتدئ طالب العلم باوائلها ليتهاي الى اواخرها ويمدخلها لتغضي الى حقائقها ولا يطلب الآخر قبل الاول * ولا الحقيقة قبل المدخل * فلا

يدرك الآخر ولا يعرف الحقيقة لان البناء على غير اس لا يبنى * والثر من غير
 غرس لا يبنى * ولذلك اسباب فاسدة ودواعى واهية ﴿ فذها ﴾ ان
 يكون فى النفس اغراض تختص بنوع من العلم فيدعو الغرض الى قصد ذلك
 النوع و يعدل عن مقدماته كرجل يؤثر القضاء ويتصدى للحكم فيقصد من علم
 الفقه ادب القاضى وما يتعلق به من الدعوى والينيات او يجب الاتسام
 بالشهادة فيتعلم كتاب الشهادات فيصير موسوماً بجهل ما يعانى فاذا ادرك ذلك
 ظن انه قد حاز من العلم جهوره * وادرك منه مشهوره * ولم يرم ما بقى منه الا
 غامضا طالبا * و غويصا استخراجا فناء * لتصور همة على ما ادرك *
 وانصرافها عما ترك * ولو نصبح نفسه لعلم ان ما ترك اهم مما ادرك لان بعض
 العلم مرتبط ببعض و لكل باب منه تعلق بما قبله فلا تقوم الاواخر الا باوائلها
 وقد يصح قيام الاوائل بانفسها فيصير طلب الاواخر بترك الاوائل تركا
 للاوائل و الاواخر فاذا ليس يعرى من لوم وان كان تارك الآخر الوم
 ﴿ ومنها ﴾ ان يحب الاشتهار بالعلم اما لتكسب او لتجمل فيقصد من العلم
 ما اشتهر من مسائل الجدل وطريق النظر ويتعاطى علم ما اختلف فيه دون
 ما اتفق عليه ليناطر على الخلاف وهو لا يعرف الوفاق ويحادل الخصوم
 وهو لا يعرف مذهبا مخصوصا ولقد رأيت من هذه الطبقة عددا قد تحققوا
 بالعلم بتحقيق المتكلمين * واشتهروا به اشتهار التجريين * اذا اخذوا فى
 مناظرة الخصوم ظهر كلامهم * و اذا سئلوا عن واضح مذهبهم ضلت افهامهم *
 حتى انهم ليخبطون فى الجواب خبط عشواء فلا يظهر لهم صواب * ولا يتقرر
 لهم جواب * ولا يرون ذلك نقصا اذا تحقوا فى المجالس كلاما موصوفا *
 و لفقوا على المخالف حجابا مألوفا * وقد جهلوا من المذاهب ما يعلم المبتدى
 ويتداوله الناشئ فهم دائما فى لغط مضل * او غلط مندل * و رأيت قوما منهم
 يرون الاشتغال بالمذاهب تكلفا * والاستكثار منه تخلفا * وحاجني بعضهم عليه
 فقال لان علم حافظ المذاهب مستور * وعلم المناظر عليه مشهور * فقلت
 فكيف يكون علم حافظ المذهب مستورا وهو سريع الجواب * كثير الصواب *
 فقال لانه ان لم يسأل سكت فلم يعرف والمناظر ان لم يسأل سائل يعرف فقلت

أليس اذا سئل الحافظ فاصاب بان فضله قال نعم قلت أفليس اذا سئل المناظر
فاخطأ بان نقصه وقد قيل عند الامتحان * يكرم المرء او يهان * فامسك عن جوابي
لانه ان انكر كابر المعقول ولو اعترف لزمته الحجمة والامساك اذعان والسكوت
رضى وان ينقاد الى الحق اولى من ان يستغزه الباطل وهذه طريقة من يقول
اعرفوني وهو غير عروف ولا معروف وبعيد من لا يعرف العلم ان يعرفه وقد
قال زهير

* ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم *
ومن اسباب التقصير ايضا ان يغفل عن التعلم في الصغر * ثم يشتغل به في الكبر *
فيستحي ان يبتدىء بما يبتدىء الصغير * ويستكف ان يساويه الحدث الغرير *
فيبدأ باواخر العلوم واطرافها * ويهتم بحواشيهما واكتفاهما * ليتقدم
على الصغير المبتدى * ويساوى الكبير المنتهى * وهذا ممن رضى بخداع
نفسه * وقنع بمداهنة حسه * لان معقوله ان احس و معقول كل ذى
حس يشهد بفساد هذا التصور و ينطق باختلال هذا التخييل لانه شئ لا يقوم
في وهم ولجله ما يبتدىء به المتعلم اقمح من جهل ما ينتهى اليه العالم وقد قال
الشاعر

* ترق الى صغير الامر حتى * يريقك الصغير الى الكبير *
* فتعرف بالتفكر في صغير * كبيرا بعد معرفة الصغير *
ولهذا المعنى واثباهه كان التعلم في الصغر احد روى مروان بن سالم عن
اسماعيل بن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذى يتعلم
في صغره كالنخس على النخز و الذى يتعلم في كبره كالذى يكتب على الماء
وقال على بن ابي طالب كرم الله وجهه قلب الحدث كالاراضى الخالية ما البقى
فيها من شئ قبلته وانما كان كذلك لان الصغير افرغ قلبا و اقل شغلا
و ايسر تبذلا و اكثر تواضعا وقد قيل في مشور الحكم المتواضع من طلاب العلم
كثرهم علما كما ان المكان المنخفض اكثر البتاع ماء فلما ان يكون الصغير
اضبط من الكبير اذا عرى من هذه الموانع واوعى منه اذا خلا من هذه
القواطع فلا * حكى ان الاحنف بن قيس سمع رجلا يقول التعليم في الصغر

كالنقش على الخجر فقال الاخنف الكبير اكثّر عقلا ولكنه اشغل قلبا
ولعمري لقد خُص الاخنف عن المعنى ونبه على العلة لان قواطع الكبير كثيرة
﴿ فيها ﴾ ما ذكرنا من الاستحياء وقد قيل في منشور الحكم من رق
وجهه رق علمه وقال الخليل بن احمد يرتع الجهل بين الحياء والكبر في العلم
﴿ ومنها ﴾ وفور شهواته وتقسّم افكاره وقال الشاعر

* * *
سرف الهوى عن ذى الهوى عزيز * ان الهوى ليس له تميز *
وقال بعض البلغاء ان القلب اذا علق كالرهن اذا غلق ﴿ ومنها ﴾ الطوارق
المزعجة والهموم المذهلة وقد قيل في منشور الحكم الهم قيد الخواس وقال
بعض البلغاء من بلغ اشده * لاقى من العيش اشده * ﴿ ومنها ﴾ كثرة اشتغاله
وتراصف حالاته حتى انها تستوعب زمانه وتستنفد ايامه فاذا كان ذار رئاسة الهمة *
وان كان ذا معيشة قطعته * ولذلك قيل تفقهوا قبل ان تسودوا وقال بزر جهر
الشغل مجهده * والفراغ مفسده * فينبغي لطالب العلم ان لا يني في
طلبه ويتنزه الفرصة به فربما شح الزمان بما سمح * ورضى بما منح * ويتبدى من العلم
باوله ويأتيه من مدخله ولا يتشاغل بطلب ما لا ينبرجعله فيمنع ذلك من انراك
ما لا يسعه جهله فان لكل علم فصولا مذهله * وشذورا مشغله * ان
سرف اليها نفسه قطعته عما هو اهم منها وقال ابن عباس رضى الله عنهما
العلم اكثر من ان يحصى فخذوا من كل شئ احسنه وقال المأمون ما لم
يكن العلم بارعا فيطون الصحف اولى به من قلوب الرجال وقال بعض
الحكماء بترك ما لا يعينك تدرك ما يغنيك ولا يذغى ان يدعوه ذلك الى ترك
ما استصعب عليه اشعارا لنفسه ان ذلك من فضول علمه واعذارا لهافي ترك
الاشتغال به فان ذلك مطية التوكل وعذر المقصرين ومن اخذ من العلم ما تسهل
وترك منه ما تعذر كان كالتماص اذا امتنع عليه الصيد تركه فلا يرجع الا خابا
اذ ليس يرى الصيد الا ممتعا كذلك العلم كله صعب على من جهله سهل
على من علمه لان معانيه التي يتوصل اليها مستودعة في كلام مترجم عنها
وكل كلام مستعمل فهو يجمع لفظا مسموعا ومعنى مفهوما فاللفظ كلام
يعقل بالسمع والمعنى تحت اللفظ يفهم بالقلب وقد قال بعض الحكماء العلوم

مطالعها من ثلاثة اوجه قاب مفكر ولسان معبر وبيان مصور فاذا عقل الكلام بمعناه فهم معانيه بقلبه واذا فهم المعاني سقط عنه كافة استخراجها وبقي عليه معاناة حفظها واستقرارها لان المعاني شوارد تضل بالاغفال * والعلوم وحشية تنفر بالارسال * فاذا حفظها بعد الفهم انست * واذا ذكرها بعد الانس رست * وقال بعض العلماء من اكثر المذاكرة بالعلم لم ينس ما علم واستفاد ما لم يعلم وقال الشاعر

* اذا لم يذكر ذو العلوم بعلمه * ولم يستفد علما نسي ما تعلم *
 * فكم جامع للكتب في كل مذهب * يزيد مع الايام في جمعه عى *
 وان لم يفهم معاني ما سمع كشف عن السبب المانع منها ليعلم العلة في تعذر فهمها فان معرفة اسباب الاشياء وعلاها يصل الى تلافى ما شذو صلاح ما فسد وليس يخلو السبب المانع من ذلك من ثلاثة اقسام اما ان يكون لعله في الكلام المترجم عنها واما ان يكون لعله في المعنى المستودع فيها واما ان يكون لعله في السامع المستخرج فان كان السبب المانع من فهمها لعله في الكلام المترجم عنها لم يخل ذلك من ثلاثة احوال ❖ احدها ❖ ان يكون لتقصير اللفظ عن المعنى فتصير اللفظ عن ذلك المعنى سببا مانعا من فهم ذلك المعنى وهذا يكون من احد وجهين اما من حصر المتكلم وعيه واما من بلادته وقلة فهمه ❖ الحال الثاني ❖ ان يكون لزيادة اللفظ على المعنى فتصير الزيادة علة مانعة من فهم المقصود منه وهذا قد يكون من احد وجهين اما من هذر المتكلم واكثره واما السوء ظنه بفهم سامعه ❖ والحال الثالث ❖ ان يكون لمواضعة يقصدها المتكلم بكلامه فاذا لم يعرفها السامع لم يفهم معانيها واما تقصير اللفظ وزيادته فن الاسباب الخاصة دون العامة لانك لست تجد ذلك عاما في كل الكلام وانما تجده في بعضه فان عدلت عن الكلام المقصود الى الكلام المستوفى وعن الزائد الى الكافي ارحت نفسك من تكلف ما يكدر خاطرك وان اقت على استخراج اجبه اما لضرورة دعتك اليه عند اعواز غيره او لجمية داخلتك عند تعذر فهمه فانظر في سبب الزيادة والتقصير فان كان التقصير لحصر الزيادة لهذر سهل عليك استخراج المعنى منه لان ما له من الكلام محصول لا يجوز ان يكون المختل

منه أكثر من الصحيح وفي الأكثر على الأقل دليل و ان كانت زيادة اللفظ على المعنى دليلا لسوء ظن المتكلم بفهم السامع كان استخراجها أسهل وان كان تقصير اللفظ عن المعنى لسوء فهم المتكلم فهو أصعب الأمور حالا و أبعدا استخرجها لان ما لم يفهمه مكلّم فانت من فهمه أبعد الا ان يكون بفرط ذكائك وجوده خاطرك تشبه بإشارته على استنباط ما عجز عنه و استخراج ما قصّر فيه فتكون فضيلة الاستيفاء لك و حق التقدم له و اما الموضوعة فمضمان عامة و خاصة اما العامة فهي مواضعة العلماء فيما جعلوه القايامان لا يستغنى المتعلم عنها ولا يقف على معنى كلامهم الا بها كما جعل المتكلمون الجواهر و الاعراض و الاجسام القايامواضعوها لمان اتفقوا عليها وليست تجدد من العلوم علما يتخلو من هذا و هذه الموضوعة العامة تسمى عرفا و اما الخاصة فموضوعة الواحد يقصد بباطن كلامه غير ظاهره فاذا كانت في الكلام كانت رمزا * و ان كانت في الشعر كانت لفزا * فاما الرمز فلست تجدد في علم معنوي * ولا في كلام لغوي * و اما تختص غالبا باحد شيئين اما بذهب شنيع يخفيه معتقده و يحل الرمز سببا لتطلم النفوس اليه و احتمال التأويل فيه سببا لدفع التهمة عنه و اما لما يدعى اربابه انه علم معوز * و ان ادراكه بديع معجز * كالصنعة التي وضعها اربابها اسماء لعلم الكيمياء فرمزوا باوصافه و اخفوا معانيه ليوهبوا الشئ به و الاسف عليه خديعة للعقول الواهية و الآراء الفاسدة و قد قال الشاعر

* منعت شيئا فاكثرت الولوع به * احب شيء الى الانسان ما منعنا *
ثم ليكونوا براء من عهدة ما قالوه اذا جرب و لو كان ما تضمن هذين النوعين و اشباههما من الرموز معنى صحيحا و علما مستقادا لخرج من الرمز الخفي الى العلم الجلي فان اغراض الناس مع اختلاف اهوائهم لا تتفق على ستر سليم و اخفاء مفيد و قد قال زهير

* السردون الفاحشات ولا * يلقاك دون الخير من ستر *
وربما استعمل الرمز من الكلام فيما يراد تفخيجه من المعاني و تعظيمه من الالفاظ ليكون احلى في القلوب موقعا * و اجل في النفوس موضعا * فيصير بالرمز

سائرا وفي الصحف مخلدا كالذي حكى عن فيثاغورس في وصاياه المرموزة انه قال
 احفظ ميزانك من البذى واوزانك من الصدى يريد بحفظ اللسان الميزان من
 البذى حفظ اللسان من الخنا وحفظ الاوزان من الصدى حفظ العقل من الهوى
 فصار بهذا الرمز مستحسنا ومدونا ولو قاله باللفظ الصريح * والمعنى الصحيح *
 لما سار عنه * ولا استحسنت منه * وعلة ذلك ان المحجوب عن الافهام كالمحجوب
 عن الابصار فيما يحصل له في النفوس من التعظيم * وفي القلوب من التفضيم *
 وما ظهر منها ولم يتجلب هان واسترذل وهذا انما يصح استخلاؤه فيما قل
 وهو باللفظ الصريح مستقل فاما العلوم المنتشرة التي تتطلع النفوس اليها
 فقد استغنت بقوة الباعث عليها * وشدة الداعى اليها * عن الاستدعاء اليها برمز
 مستحلى ولفظ مستغرب بل ذلك منفر عنها لما في التشاغل باستخراج رموزها
 من الابطاء عن دركها فهذا حال الرمز واما اللفز فهو يحرى اهل الفراغ
 وشغل ذوى البطالة ليتنافسوا في تبان قرائنهم ويتفاخروا في سرعه خواطرهم
 فيستكبدوا خواطرا قد منحوا صحتها فيما لا يجدى نفعا ولا يفيد علما كاهل الصراع
 الذين قد صرفوا ما منحوه من صحة اجسامهم الى صراع كدود يصرع عقولهم
 ويهد اجسامهم ولا يكسبهم جدا ولا يجدى عليهم نفعا انظر الى قول الشاعر
 * رجل مات وخلف رجلا * ابن ام ابن ابى اخت ابيه *
 * معه ام بنى اولاده * و ابا اخت بنى عم اخيه *
 اخبرني عن هذين اليتيم وقد روعك صعوبة ما تضمنهما من السؤال اذا
 استكدت الفكر في استخراجهما فقلت انه اراد ميتا خلف ابا وزوجة وعما
 ما الذى افادك من العلم ونفى عنك من الجهل ألسنت بعد علمه تجهل ما كنت
 جاهلا من قبله ولو ان السائل قلب لك السؤال فاخر ما قدم وقدم ما اخر لكنت
 في الجهل به قبل استخراجهما كما كنت في الجهل الاول وقد كدنت نفسك واتعبت
 خاطرك ثم لا تعدم ان يرد عليك مثل هذا بما تجهله فتكون فيه كما كنت قبله
 فاصرف نفسك تولى الله رشذك عن علوم النوكى وتكلف البطالين فقد روى
 عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه
 ثم اجعل ما من الله به عليك من صحة القريحة وسرعة الخاطر معسروفا الى علم

ما يكون اتفاق خاطرك فيه مذخورا * وكذ فكرك فيه مشكورا * وقد روى سعيد بن ابي هند عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ ونحن نستعيز بالله من ان نقين بفضل نعمته علينا ونجهل نفع احسانه الينا وقد قيل في منشور الحكم من الفراغ تكون الصبوة وقال بعض البلغاء من امضى يومه في غير حق قضاء * او فرض اداه * او مجد الله * او جد حصله * او خير اسسه * او علم اقتبسه * فقد عرق يومه وظلم نفسه وقال بعض الشعراء

* لقد اهاج الفراغ عليك شغلا * واسباب البلاء من الفراغ *
فهذا تعليل ما في الكلام من الاسباب المانعة من فهم معانيه حتى خرج بنا الاستيفاء والكشف الى الاغراض واما القسم الثاني وهو ان يكون السبب المانع من فهم السامع لعل في المعنى المستودع فلا يخلو حال المعنى من ثلاثة اقسام اما ان يكون مستقلا بنفسه او يكون مقدمة لغيره او يكون نتيجة من غيره فاما المستقل بنفسه فضربان جلي وخفي فاما الجلي فهو يسبق الى فهم متصوره من اول وهلة وليس هو من اقسام ما يشكل على من تصوره واما الخفي فيحتاج في ادراكه الى زيادة تأمل وفضل معانة لتنجلي عما اخفي ويكشف عما اغمض وباستعمال الفكر فيه يكون الارتياض به وبالارتياض به يسهل منه ما استصعب ويقرب منه ما بعد فان للرياضة جراءة وللدراسة تأثيرا واما ما كان مقدمة لغيره فضربان احدهما ان تقوم المقدمة بنفسها وان تعدت الى غيرها فتكون كالمستقل بنفسه في تصوره وفهمه مستدعي للنتيجة والثاني ان يكون مقفرا الى نتيجة فيتعذر فهم المقدمة الا بما يتبعها من النتيجة لانها تكون بعضها وتبعيض المعنى اشكل له وبعضه لا يغنى عن كله واما ما كان نتيجة لغيره فهو لا يدرك الا باوله ولا يتصور على حقيقته الا بمقدمته والاشتغال به قبل المقدمة عناء * واتعاب الفكر في استنباطه قبل قاعدته اذاء * فهذا يوضح تعليل ما في المعاني من الاسباب المانعة من فهمها واما القسم الثالث وهو ان يكون السبب المانع لعل في المستمع فذلك ضربان احدهما من ذاته والثاني من طار عليه فاما ما كان من ذاته فيتنوع نوعين احدهما ما كان مانعا من تصور المعنى والثاني ما كان

مانعا من حفظه بعد تصوره وفهمه فاما ما كان مانعا من تصور المعنى وفهمه فهو البلادة وقلة الفطنة وهو الداء العياء وقد قال بعض الحكماء اذا فقد العالم الذهن قل على الاضداد احتجاجة * وكثر الى الكذب احتجاجة * وليس لمن بلى به الا الصبر والاقبال لانه على التقليل اقدر * وبالصبر اخرى ان ينال ويظفر * وقد قال بعض الحكماء قدم لحاجتك بعض لجأجتك وليس يقدر على الصبر من هذا حاله الا ان يكون غالب الشهوة بعيد المهمة فيشعر قلبه الصبر بقوة شهوته وجسده احتمال التعب لبعده همته فاذا تلوح له المعنى بمساعدة الشهوة اعتبره ذلك الحاح الآملين ونشاط المدرسين فقل عنده كل كثير * وسهل عليه كل عسير * وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تالون ما تحبون الا بالصبر على ما تكرهون * ولا تبلغون ما تهوون الا بترك ما تشتهون * و قيل في مشور الحكم اتعب قدمك * فان تعب قدمك * وقال بعض البلغاء اذا اشتد الكلف * هانت الكلف * و انشد بعض اهل الادب لعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه

* لا تعجزن ولا يدخلك مضجرة * فالتجح يهلك بين العجز والضجر *
واما المانع من حفظه بعد تصوره وفهمه فهو النسيان الحادث عن غفلة التقصير واهمال التواني فينبغي لمن بلى به ان يستدرك تقصيره بكثرة الدرس ويوقظ غفلة بادامة النظر فقد قيل لا يدرك العلم من لا يطيل درسه * ويكد نفسه * وكثرة الدرس كدود لا يصبر عليه الا من يرى العلم مغنما * والجهالة مغرما * فيحتمل تعب الدرس ليدرك راحة العلم وينفي عنه معرفة الجهل فان نيل العظيم بامر عظيم وعلى قدر الرغبة تكون المطالب وبحسب الراحة يكون التعب وقد قيل طلب الراحة قلة الاستراحة وقال بعض الحكماء أكل الراحة ما كانت عن كد التعب * واعز العلم ما كان عن ذل الطلب * وربما استعمل المتعلم الدرس والحفظ واتكل بعد فهم المعاني على الرجوع الى الكتب والمطالعة فيها عند الحاجة فلا يكون الاكن اطلق ما صاده ثقة بالقدره عليه بعد الامتناع منه فلا تعبه الثقة الا خجلا والتفريط الاندما وهذه حال قديدعو اليها احد ثلاثة اشياء اما الضجر من معاناة الحفظ ومراعاة وطول الامل في التوفر عليه

عليه عند نشاطهم وفساد الرأى في عزيمته وليس يعلم ان الضجور خائب وان
الطويل الامل مغرور وان الفاسد الرأى مصاب والعرب تقول في امثالها
حرف في قلبك * خير من الف في كتابك * وقالوا لا خير في علم لا يعبر معك
الوادي * ولا يهر بك النادي * وانشدت عن الربيع للسافعي رضى الله عنه
* علمي معي حيث ما يمت ينفعني * قلبي وعاء له لا بطن صندوق *
* ان كنت في البيت كان العلم فيه معي * او كنت في السوق كان العلم في السوق *
وربما اعتنى التعلم بالحفظ من غير تصور ولا فهم حتى يصير حافظا لالفاظ المعاني
قيما بتلاوتها وهو لا يتصورها ولا يفهم ما تضمنها يروى بغير روية ويخبر عن
غير خبرة فهو كالكتاب الذي لا يدفع شبهة ولا يؤيد حجة وقد روى عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال همة السفهاء الرواية * وهمة العلماء الرعاية *
وقال ابن مسعود رضى الله عنه كونوا للعلم رعا * ولا تكونوا له رواه * فقد
يرعوى من لا يروى * ويروى من لا يرعوى * وحدث الحسن البصري بحديث
فقال له رجل يا ابا سعيد عن قال ما تصنع بمن اما انت فقد نالتك عظمه *
وقامت عليك حجة * وربما اعتمد على حفظه وتصوره واغفل تقييد العلم في
كتبه ثقة بما استقر في ذهنه وهذا خطأ منه لان الشكل معترض والنسيان
طارق وقد روى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قيدوا العلم
بالكتب وروى ان رجلا شكى الى النبي صلى الله عليه وسلم النسيان فقال له
استعمل يدك اى اكتب حتى ترجع اذا نسيت الى ما كتبت وقال الخليل بن احمد
اجعل ما في الكتب رأس المال وما في القلب النفقة وقال مهيب لولا ما عقده
الكتب من تجارب الاولين * لانحل مع النسيان عقود الآخرين * وقال
بعض البلغاء ان هذه الآداب نوافر تند عن عقل الاذهان فاجعلوا الكتب
عنها حياء * والاقلام لها رعا * واما الطواري فتوعان احدهما شبهة
تعرض المعنى فتتم عن نفس تصويره وتدفع عن ادراك حقيقته فينبغي ان يزيل
تلك الشبهة عن نفسه بالسؤال و النظر ليصل الى تصور المعنى و ادراك حقيقته
ولذلك قال بعض العلماء لا تخل قلبك من المذاكرة فعود عقيما * ولا تعف طبعك
من المناظرة فيعود ستميا * وقال بشار بن برد

* شفاء العمى طول السؤال وانما * دوام العمى طول السكوت على الجهل
 * فكن سائلا عما عنك فانما * دعيت اخا عقل لتبحث بالعقل
 و الثاني افكار تعارض الخاطر فيذهل عن تصور المعنى وهذا سبب قل ما يعرى
 منه احدا لا سيما فيمن انبسطت آماله واتسعت امانيه وقد يقل فيمن لم يكن له في
 غير العلم ارب ولا فيما سواه همة فان طرأت على الانسان لم يقدر على مكابرة نفسه
 على الفهم وغلبة قلبه على التصور لان القلب مع الاكراه اشد نفورا و ابعد
 قبولاً وقد جاء الاثر بان القلب اذا اكراه عمى ولكن يعمل في دفع ما طرأ
 عليه من هم مذهل او فكر قاطع ليستجيب له القلب مطيعا وقد قال الشاعر
 * وليس بمن في المودة شافع * اذا لم يكن بين الضلوع شفيع
 وقال بعض الحكماء ان لهذه القلوب تنافر كتنافر الوحش فتألفوها بالاقتصاد في
 التعليم والتوسط في التقديم لتحسن طاعتها ويدوم نشاطها فهذا تعليل ما في المستمع
 من الاسباب المانعة من فهم المعاني وهاهنا قسم رابع يمنع من معرفة الكلام وفهم
 معانيه ولكنه قد يعرى من بعض الكلام فلذلك لم يدخل في جملة اقسامه ولم نستجز
 الاخلال بذكره لان من الكلام ما كان مسموعا لا يحتاج في فهمه الى تأمل الخطبه
 والمانع من فهمه هو على ما ذكرنا من اقسامه ومنه ما كان مستودعا بالخط
 محفوظا بالكتابة مأخوذا بالالتحراج فكان الخط حافظا له ومعبرا عنه وقد
 روى عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى والامة من العلم قال يعنى
 الخط وروى عن مجاهد في قوله تعالى يؤتى الحكمة من يشاء يعنى الخط ومن يؤتى
 الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا يعنى الخط والعرب تقول الخط احد اللسانين
 وحسنه احد الفصاحتين وقال جعفر بن يحيى الخط سمط الحكمة به يفصل
 شذورها * وينظم مشورها * وقال ابن المقفع اللسان مقصور على القريب
 الحاضر والتلم على الشاهد والغائب وهو للغابر الكائن مثله للقائم الدائم وقال
 حكيم الروم الخط هندسة روحانيه * وان ظهرت باكة جسمانيه * وقال حكيم
 العرب الخط اصل في الروح وان ظهر بحواس الجسد واختلف في اول من كتب
 الخط فذكر كعب الاحبار ان اول من كتب آدم عليه السلام كتب سائر الكتب
 قبل موته بثلاثمائة سنة في طين ثم طبعه فلما غرقت الارض في ايام نوح على نبينا

وعليه السلام بقيت الكتابة فاصاب كل قوم كتابهم وبقي الكتاب العربي الى ان خص الله تعالى به اسمعيل فاصابه وتعلمها وحكى ابن قتيبة ان اول من كتب ادریس على نبينا وعليه السلام وكانت العرب تعظم قدر الخط وتعدده من اجل نافع حتى قال عكرمة بلغ فداء اهل بدر اربعة آلاف حتى ان الرجل ليقادى على انه يعلم الخط لما هو مستقر في نفوسهم من عظم خطره وجلالة قدره وظهور نفعه واثره وقد قال الله تعالى لنيبيه صلى الله عليه وسلم اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم فوصف نفسه بالكرم واعد ذلك من نعمه العظام * ومن آياته الجسم * حتى اقسم به في كتابه فقال سبحانه وتعالى نون والقلم وما يسطرون فاقسم بالقلم وما يخط بالقلم واختلف في اول من كتب بالعربية فذكر كعب الاحبار ان اول من كتب به آدم عليه السلام ثم وجدها بعد الطوفان اسمعيل على نبينا وعليه السلام وحكى ابن عباس رضى الله عنه ان اول من كتب بها ووضعها اسمعيل عليه السلام على لفظه ومنطقه وحكى عروة بن الزبير رضى الله عنه ان اول من كتب بها قوم من الاوائل اسماءؤهم ابيجد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت وكانوا ملوك مدين وحكى ابن قتيبة في المعارف ان اول من كتب بالعربي مرار بن مرة من اهل الانبار ومن الانبار انتشرت وحكى المدائني ان اول من كتب بهما مرار بن مرة واسلم بن سدره وعامر بن حدره فرار وضع الصور واسلم فصل ووصل وعامر وضع الاعجام ولما كان الخط بهذا الحال وجب على من اراد حفظ العلم ان يعاى بامرين احدهما تقويم الحروف على اشكالها الموضوعة لهما والثاني ضبط ما اشتهر منها بالنقط والاشكال المميرة لهما ثم ما زاد على هذين من تحسين الخط وملاحظة نظمها فانما هو زيادة حذق بصنعة وليس بشرط في صحته وقد قال علي بن عبيدة حسن الخط لسان اليد وبهجة الضمير وقال ابو العباس المبرد رداء الخط زمانة الادب وقال عبد الحميد البنان في اللسان والخط في البنان وانشدني بعض اهل العلم لاحد شعراء البصرة

- * اعذر اخاك على نزالة خطه * واغفر نزالة لجودة ضبطه *
- * فاذا ابان عن المعاني لم يكن * تحسينه الا زيادة سطره *

* واعلم بان الخط ليس يراد من * تركيبه الاتيين سمطه *
 ومحل ما زاد على الخط المفهوم من تصحيح الحروف وحسن الصورة محل ما زاد على
 الكلام المفهوم من فصاحة الالفاظ وصحة الاعراب ولذلك قالت العرب حسن الخط
 احد الفصاحتين وكما انه لا يعذر من اراد التقدم في الكلام ان يطرح الفصاحة
 والاعراب وان فهم وافهم كذلك لا يعذر من اراد التقدم في الخط ان يطرح
 تصحيح الحروف وتحسين الصورة وان فهم وافهم وربما تقدم بالخط من كان الخط
 من جل فضائله * واشرف خصائله * حتى صار عالما مشهورا * وسيدا مذكورا *
 غير ان العلماء اطرحوا صرف الهمة الى تحسين الخط لانه يشغلهم عن العلم
 ويقطعهم عن التوفر عليه ولذلك تجدد خطوط العلماء في الاغلب رديئة لا يخط
 الا من اسعده الغنى وقد قال الفضل بن سهل من سعادة المرء ان يكون ردي الخط
 لان الزمان الذي يفنيه بالكتابة يشغله بالحفظ والنظر وليست رداءة الخط هي
 السعادة وانما السعادة ان لا يكون له صارف عن العلم وعادة ذى الخط الحسن
 ان يتشاغل بتحسين خطه عن العلم فمن هذا الوجه صار برداءة خطه سعيبا
 وان لم تكن رداءة الخط سعادة واذا كان ذلك كذلك فقد يعرض للخط اسباب
 تمنع من قراءته ومعرفة كما يعرض للكلام اسباب تمنع من فهمه وصحته
 والاسباب المانعة من قراءة الخط وفهم ما تضمنه قد تكون من ثمانية اوجه
 * احدها * اسقاطه الفاظ من اثناء الكلام يصير الباقي بها مبتورا لا يعرف
 استخراجها ولا يفهم معناه وهذا يكون اما من سهو الكاتب او من فساد نقله
 وهذا يسهل استنباطه على من كان مرعاضا بذلك النوع فيستدل بحواشي الكلام
 وما سلم منه على ما سقط او فسد لاسيما اذا قل لان الكلمة تستدعي ما يليها ومعرفة
 المعنى توضح عن الكلام المترجم عنه فاما من كان قليل الارتياض بذلك النوع
 فانه يصعب عليه استنباط المعنى منه لاسيما اذا كان كثيرا لانه يحتاج في فهم
 المعاني الى الفكرة والروية فيما قد استخرجه بالكتابة فاذا هو لم يعرف تمام
 الكلام المترجم عن المعنى قصر فهمه عن ادراكه وضل فكره عن استنباطه
 * والوجه الثاني * زيادة الفاظ في اثناء الكلام يشكل بها معرفة الصحيح
 غير الزائد من معرفة السليم الزائد فيصير الكل مشكلا وهذا لا يكاد يوجد كثيرا

الان يقصد الكاتب تعمية كلامه في اثنائه ما يمنع من فهمه، فيصير ذلك
 رمزا يعرف بالمواضعة فاما وقوعه سهوا فقد يكون بالكلمة والكلمتين وذلك
 لا يمنع من فهمه على المرتاض وغيره * والوجه الثالث * اسقاط حروف
 من اثناء الكلمة يمنع من استخراجها على السجدة وقد يكون هذا تارة من السهو
 فيقل وتارة من ضعف الهجاء فيكثر والقول فيه كالقول في الوجه الاول
 * والوجه الرابع * زيادة حروف في اثناء الكلمة بشكل بها معرفة الصحيح
 من حروفها وهذا يكون تارة من سهو الكاتب فيقل فلا يمنع من استخراج
 الصحيح ويكون تارة لتعمية ومواضعة يقصد بها الكاتب اخفاء غرضه فيكثر
 كالتراجم ويكون القول فيه كالقول في الوجه الثاني * والوجه الخامس *
 وصل الحروف المفصولة وفصل الحروف الموصولة فيدعو ذلك الى الاشكال
 لان الكلمة يذب عليها وصل حروفها ويمنع فصلها من مشاركة غيرها فان كان
 ذلك من سهو قل فسهل استخراجها وان كان ذلك من قلة معرفة بالخط او مشقا
 تشق به اليد كثيرا فصعب استخراجها الا على المرتاض به ولذلك قال عمر بن
 الخطاب رضي الله عنه شر الكتابة الشبق كما ان شر القراءة الهدرمة وان
 كان لتعمية والرمز لم يعرف الا بالمواضعة * والوجه السادس * تغيير
 الحروف عن اشكالها وابدالها باغيارها حتى يكتب الحاء على شكل الباء والصاد
 على شكل الزاء وهذا يكون في رموز التراجم ولا يوقف عليه الا بالمواضعة الا
 لمن قد زاد فيه الذكاء فقد رعى استخراج المعنى * والوجه السابع * ضعف
 الخط عن تقويم الحروف على الاشكال الصحيحة واثباتها على الاوصاف الحقيقية
 حتى لا تكاد الحروف تمتاز عن اغيارها حتى تصير العين الموصولة كالفاء والمفصولة
 كالحاء وهذا يكون من رداء الخط وضعف اليد واستخراج ذلك ممكن بفضل
 المعانة وشدة التأمل وربما اضجر قاريه * واوهى معانيه * ولذلك قيل ان الخط
 الحسن يريد الحق وضوحا * والوجه الثامن * اغفال النقط والاشكال التي
 تميز بها الحروف المشبهة وهذا ايسر امرا واخف حالا لان من كان ميمرا
 بصحة الاستخراج ومعرفة الخط لم تخف عليه معرفة الخط وفهم ما تضمنه مع
 اغفال النقط والاشكال بل استقبح الكتاب ذلك في المكاتبات ورأوه من تقصير

الكتاب اوسوء ظنه بفهم الكتاب وان كان استقبحهم له في مكتبة الرؤساء
 اكثر حتى قدامة بن جعفر ان بعض كتاب الدواوين حاسب عاملا فشكى
 العامل منه الى عبيد الله بن سليمان وكتب رقعة يذكر فيها احتجاجا لصحة دعواه *
 ووضوح شكواه * فوقع فيها عبيد الله بن سليمان هذا هذا فاحذها العامل
 وقرأها فظن ان عبيد الله اراد بهذا هذا اثباتا لصحة دعواه وصدق قوله كما
 يقال في اثبات الشيء هو هو فحمل الرقعة الى كتاب الدواوين واره خط
 عبيد الله وقال له ان عبيد الله قد صدق قولى وصح ما ذكرت فخنى على
 الكتاب ذلك واطيف به على كتاب الدواوين فلم يقفوا على مراد عبيد الله
 ورد اليه ليسأل عن مراده به فشد عبيد الله الكلمة الثانية وكتب تحتها والله
 المستعان استعظما منه لتقصيرهم في استخراج مراده حتى احتاج الى ابانة بالشكل
 فهذه حال الكتاب في استقبحهم اعجام المكتبات بالقط والاشكال فاما غير المكتبات
 من سائر العلوم فلم يروه قبيحا بل استحسوه لاسيما في كتب الادب التي يقصد بها
 معرفة صيغة الالفاظ وكيفية مخارجها مثل كتب النحو واللغة والشعر الغريب
 فان الحاجة الى ضبطها بالشكل والاعجام اكثر * وهى فيما سواه من العلوم ايسر *
 وقد قال النورى الخطوط المعجمة * كالبرود المعلة * وقال بعض البلغاء اعجام
 الخط يمنع من استعجاله وشكائه يؤمن من اشكاله وقال بعض الادباء رب علم لم
 تجم فصوله * فاستجم محصوله * وكما استقبح الكتاب الشكل والاعجام في
 المكتبات وان كان في كتب العلوم مستحسنا فكذلك استحسنوا مشق الخط في
 المكتبات وان كان في كتب العلوم مستقبحا وسبب ذلك انهم لفرط ادلالهم في
 الصنعة وتقدمهم في الكتابة يكتبون بالاشارة ويقتصرون على التلويح
 ويرون الحاجة الى استيفاء شروط الابانة تقصيرا ولفضل ما يعتقدونه من
 التقدم بهذا الحال رأوا مانبه عليه من سواد المداد اثرا جيلا * وعلى الفضل
 والخصيص دليلا * حتى ان عبيد الله بن سليمان رأى على بعض ثيابه اثر صفرة
 فاحذ من مداد الدواة فطلاه به ثم قال المداء بنا احسن من الزعفران وانشد
 * انما الزعفران عطر العذارى * ومداد الدوى عطر الرجال *
 فهذه جملة كافية في الابانة على الاسباب المانعة من فهم الكلام ومعرفة

معانيه لفظيا كان او خطأ والله ولي التوفيق فينبغي لطالب العلم ان يكشف
 عن الاسباب المانعة عن فهم المعنى ليسهل عليه الوصول اليه ثم يكون من بعد
 ذلك سائسا لنفسه مدبرا له في حال تعلمه فان بالنفس نفورا يفضي الى تقصير
 ووفورا يؤول الى سرف وقيادها عسر ولها احوال ثلاث فحال عدل وانصاف *
 وحال غلو و اسراف * وحال تقصير واجحاف * فاما حال العدل و الانصاف
 فهي ان تختلف قوى النفس من جهتين متقابلتين طاعة مسعدة و شفقة كافة
 فطاعتها تمتع التقصير * و شفقتها ترد عن السرف و التبذير * و هذه احدى
 الاحوال لان ما منع من التقصير نما وما صد عن السرف مستديم والنمو اذا
 استدام فاخلق به ان يستكمل وقال بعض الحكماء اياك ومقارفة الاعتدال فان
 السرف مثل المقصر في الخروج عن الحد و اما حال الغلو و الاسراف فهي
 ان تختص النفس بقوى الطاعة وتقدم قوى الشفقة فيبعثها اختصاص الطاعة
 على افراغ الجهد و يفضي افراغ الجهد الى عجز الكلل فيؤدي عجز
 الكلل * الى الترك والاهمال * فتصير الزيادة نقصانا * و الربح خسرانا *
 و قد قالت الحكماء طالب العلم وعامل البر كالكل الطعم ان اخذ منه
 قوتا عصمه * و ان اسرف فيه ابشمه * وربما كان فيه منيته كاخذ الادوية
 التي فيها شفاء ومجاوزه القصد فيها السم المميت * و اما حال التقصير
 و الاجحاف فهي ان تختص النفس بقوى الشفقة و تعدم قوى الطاعة
 فيدعوها الاشفاق الى المعصية وتمنعها المعصية من الاجابة فلا تطلب شاردا *
 ولا تقبل عائدا * ولا تحفظ مستودعا ومن لم يطلب الشارد * و يقبل
 الصائد * ويحفظ المستودع فقد الموجود * ولم يجد المفقود * ومن فقد
 ما وجد فهو مصاب محزون * ومن لم يجد ما فقد فهو خائب منبون * وقد
 قال بعض الحكماء العجز مع الواني * والقوت مع التواني * وقد يكون للنفس مع
 الاحوال الثلاث حالتان مشتركتان بغلبة احدى القوتين فيكون للنفس طاعة
 واشفاق واحدهما اغلب من الآخر فان كانت الطاعة اغلب كانت الى
 الوفور اميل وان كان الاشفاق اغلب كانت الى التقصير اقرب فاذا عرف من

نفسه قدر طاعتها وخبر منها كنه اشفاقها راض نفسه لتثبت على احد حالاتها وقد اشار الى ما وصفنا من حال النفس الفرزدق في قوله

* لكل امرء نفسان نفس كريمة * واخرى يعاصيها الفتى ويطيعها *
* ونفسك من نفسك تشفع للندى * اذا قل من احرازهن شفيعها *
* وان اهل سياستها * فاغفل رياضتها * ورام ان يأخذها بالعنف * ويقهرها بالعسف *
استشاطت نافرة ولحت معاندة فلم تنقد الى طاعة ولم تنكف عن معصية وقال سابق البربرى

* اذا لزجت لجوجا زدتها علما * ولجت النفس منه في تماديهما *
* فعد عليه اذا ما نفسه جنحت * بالمين منك فان اللين ينشيهما *
فاذا استصعب عليه قياد نفسه ودام منه نفور قلبه مع سياستها * ومعاناة رياضتها *
تركها ترك راحه * ثم طودها بعد الاستراحه * فان اجابته تسرع * وطاعتها ترجع *
وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان القلب يموت ويحيى ولو بعد حين وقال ابن مسعود للقلوب شهوة واقبال وفترة وادبار فأتوها من قبل شهوتها ولا تأتوها من قبل فترتها وقال الشاعر

* وما سمي الانسان الا لانسه * ولا القلب الا انه يتقلب *
فاما الشروط التي يتوفر بها علم الطالب * وينتهي معها كمال الراغب *
مع ما يلاحظ به من التوفيق ويمد به من المعونة تسعة شروط * احدها *
العقل الذي يدرك به حقائق الامور * والثاني * الفطنة التي يتصور بها غوامض العلوم * والثالث * الذكاء الذي يستقر به حفظ ما تصوره وفهم ما علمه * والرابع * الشهوة التي يدوم بها الطلب ولا يسرع اليه الملل *
والخامس * الاكتفاء بمادة تنفي عن كلف الطلب * والسادس * الفراغ الذي يكون معه التوفر ويحصل به الاستكثار * والسابع * عدم القواطع المذهلة من هموم وامراض * والثامن * طول العمر واتساع المدة لينتهي بالاستكثار الى مراتب الكمال * والتاسع * التغفر بعالم سمح بعلمه متأن في تعليمه فاذا استكمل هذه الشروط التسعة فهو اسعد طالب وانجح متعلم وقد قال الاسكندر يحتاج طالب العلم الى اربع مدة وجدة وقرينة

وشهوة وتماها في الخامسة معلم ناصح ﴿ فصل ﴾ وساذكر طرفا مما يتأدب به المتعلم ويـكون عليه العالم اعلم ان المتعلم تلقا وتذلا فان استعملها غنم * وان تركها حرم * لان التلق للعالـم يظهر مكنون علمه والتذلل له سبب لادامة صبره وباطهار مكنونه تكون الفائدة وباستدامة صبره يكون الاكـثار وقد روى معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس من اخلاق المؤمن التلق الا في طلب العلم وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ذلت طالبا فعزت مظلوبا وقال بعض الحكماء من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل ابدا وقال بعض حكماء الفرس اذا قعدت وانت صغير حيث تحب قعدت وانت كبير حيث لا تحب ثم ليعرف له فضل علمه وليشكر له جيل فعله فقدرت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرع عالما فقد قرع ربه وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لا يعرف فضل اهل العلم الا اهل الفضل وقال بعض الشعراء

- * ان المعلم والطبيب كلاهما * لا ينصحان اذا هما لم يكرما *
- * فاصبر لدائك ان اهنت طيبه * واصبر لجهلك ان جفوت معلما *
- * ولا يمنعه علو منزلته ان كانت له وان كان العالم خاملا فان العلماء بعلمهم قد استحقوا التعظيم لا بالقدرة والمال وانشدني بعض اهل الادب لابي بكر بن دريد
- * لا تحقرن عالما وان خلقت * اثوابه في عيون راقمه *
- * وانظر اليه بعين ذي ادب * مهذب الرأي في طرائفه *
- * فالسكينة تراه ممتنها * بفهر عطاره وساحته *
- * حتى تراه في عارضي ملك * وموضع التاج من مفارقة *

وليكن مقتديا بهم في اخلاقهم متشبهيا بهم في جميع افعالهم ليصير لها آلفا وعليها ناشئا ولما خالفها مجانباً فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم خيار شبانكم المشبهون بشيوخكم وشرار شيوخكم المشبهون بشبانكم وروي ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من تشبه بقوم فهو منهم وانشدني بعض اهل الادب لابي بكر بن دريد

* العالم العاقل ابن نفسه * اغناه جنس علمه عن جنسه *
 * كن ابن من شئت وكن مؤدبا * فأنما المرء بفضل كيسه *
 * وليس من تكبره لغيره * مثل الذي تكبره لنفسه *
 وليحذر المتعلم البسط على من يعلمه وان آنسه والادلال عليه وان تقدمت صحبته
 قيل لبعض الحكماء من اذل الناس فقال عالم يجري عليه حكم جاهل وكلت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم جارية من السبي فقال لها من انت فقالت
 بنت الرجل الجوان حاتم فقال صلى الله عليه وسلم ارحوا عزيز قوم
 ذل ارحوا غنيا افتقر ارحوا عالما ضاع بين الجهال ولا يظهر له
 الاستكفاء منه والاستغناء عنه فان في ذلك كفرا لنعمته واستخفافا بحقه وربما
 وجد بعض المتعلمين قوة في نفسه لجودة ذكائه وحدة خاطره فقصده من يعلمه
 بالاعانت له والاعتراض عليه ازراء به وتبكيته له فيكون كمن تقدم فيه المثل
 السائر لابي البطحاء

* اعلمه الزمالة كل يوم * فلما استد ساعده رمانى *
 وهذه من مصائب العلماء وانعكاس حظوظهم ان يصيروا عند من يعلموه
 مستجھلين * وعند من قدموه مسترذلين * وقال صالح بن عبد التدوس
 * وان ضياء ان تعلم جاهلا * فيحسب جهلا انه منك اعلم *
 * متى يبلغ البنسان يوما مقامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم *
 * متى ينهض عن سبي من اتى به * اذا لم يكن منه عليه تندم *
 وقد رجع كثير من الحكماء حق العالم على حق الوالد حتى قال بعضهم
 * يا فافرا للفساد بالسلف * وتاركا للعلاء والشرف *
 * آباء اجسادناهم سبب * لان جعلنا عرائض التللف *
 * من علم الناس كان خيرا ب * ذاك ابو الروح لا ابو النطف *
 ولا ينبغي ان يبعث معرفة الحق له على قبول الشبهة منه ولا يدعوه ترك الاعانت
 له على التقليد فيما اخذ عنه فانه ربما غلا بعض الاتباع في عالمهم حتى يروا ان
 قوله دليل وان لم يستدل وان اعتقاده حجة وان لم يحجج فيفضى بهم الامر الى
 التسليم له فيما اخذ منه فلا يبعد ان تبطل تلك المقالة ان انفردت او يخرج اهلها

من عداد العلماء فيما شاركت لانه قد لا يرى لهم من يأخذ عنهم ما كانوا يرونه
 لمن اخذوا عنه فيطالبهم بما قصروا فيه فيضعفوا عن ابائهم ويعجزوا عن
 نصرته فيذهبوا ضائعين ويصيروا عجزه مضعوفين واتعد رأيت من هذه
 الطائفة رجلا يناظر في مجلس حفل وقد استدل عليه الخصم بدلالة صحيحة فكان
 جوابه عنها ان قال ان هذه دلالة فاسدة وجه فسادها ان شيخى لم يذكرها وما
 لم يذكره الشيخ لا خير فيه فامسك عنه المستدل تعجبا ولان شيخه كان محتشما
 وقد حضرت طائفة يرون فيه مثل ما رأى هذا الجاهل ثم اقبل المستدل على
 وقال لى والله لقد اخمنى بجهله وصار سائر الناس المبرئين من هذه الجهالة مابين
 مستهزئ ومتعجب * ومستعبد بالله من جهل مغرب * فهل رأيت كذلك عالما
 او غل في الجهل * وادل على قلة العقل * واذا كان المتعلم معتدل الرأى فيمن
 يأخذ عنه * متوسط الاعتقاد ممن يتعلم منه * حتى لا يحمله الاعنات على
 اعتراض المبكتين * ولا يبعثه النلو على تسليم المقلدين * برئ المتعلم من
 المذمتين * وسلم العالم من الجهتين * وليس كثرة السؤال فيما التبس اعنات ولا
 قبول ما صح في النفس تقليدا وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
 العلم خزان ومفتاحه السؤال فاسألوا رحمكم الله فانما يؤجر في العلم ثلاثة القائل
 والمستمع والآخذ وقال عليه الصلاة والسلام هلا سألو اذا لم يعلموا فانما شفاء
 العى السؤال فامر بالسؤال وحث عليه ونهى آخرين عن السؤال وزجر عنه
 فقال صلى الله عليه وسلم انهاكم عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة
 المال وقال عليه الصلاة والسلام اياكم وكثرة السؤال فانما هلك من قبلكم
 بكثرة السؤال وليس هذا مخالفا للاول وانما امر بالسؤال من قصده
 علم ما جهل ونهى عنه من قصده اعنات ما سمع واذا كان السؤال في
 موضعه ازال الشكوك ونفى الشبهة وقد قيل لابن عباس رضى الله عنهما بم
 نلت هذا العلم قال بلسان سؤال وقلب عقول وروى نافع عن ابن عمر رضى الله
 عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حسن السؤال نصف العلم وانشد
 المبرد عن ابي سليمان النخوى

فصل الفقيه تكن فقيها مثله * لا خير في علم بغير تدبر *

واذا

* واذا تعمست الامور فأرجها * وعليك بالامر الذي لم يعسر *
ولياخذ المتعلم حظه ممن وجد طلبته عنده من نديه وخامل ولا يطلب الصيت
وحسن الذكر باتباع اهل المنازل من العلماء اذا كان النفع بغيرهم اعم الا ان
يستوى النفعان فيكون الاخذ عن اشتهر ذكره وارتفع قدره اولى لان الانساب
اليه اجل والاخذ عنه اشهر وقد قال الشاعر

* اذا انت لم يشهرك عليك لم تجد * لملك مخلوقا من الناس يقبله *
* وان صانك العلم الذي قد حلت * اتاك له من يجتنيه ويحمه *
واذا قرب منك العلم فلا تطلب ما بعد واذا سهل من وجهه فلا تطلب ما صعب
واذا جدت من خبرته فلا تطلب من لم تختبره فان العدول عن التريب الى البعد
عناء * وترك الاسهل بالاصعب بلاء * والانتقال من المخبور الى غيره خطر وقد
قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه عقي الاخرق مضره * والمتعسف لا تدوم
له مسره * وقال بعض الحكماء التصد اسهل من التعسف * والكف اودع
من التكلف * وربما تتبع نفس الانسان من بعد عنه استهانة بمن قرب منه
وطلب ما صعب احتقارا لما سهل عليه وانتقل الى من لم يخبره ملأ من خبره
فلا يدرك محبوبا ولا يظفر بباطل وقد قالت العرب في امثالها العالم كالكةبة
يأتيها البعداء * ويزهد فيها القرباء * وانشدني بعض شيوخنا اسير بن حاتم
لا ترى علما يحل بقوم * فيحلوه غير دار الهوان *
* قل ما توجد السلامة والصحة بمجموعتين في انسان *
* فاذا حلتما كانا سميتا * فهما في النفوس معشوقتان *
* هذه مكة المنية بيت الله يسعى لوجهها الثقلان *
* ويرى ازهد البرية في الحج لها اهلها لقرب المكان *

❖ فصل ❖ فاما ما يجب ان يكون عليه العلماء من الاخلاق التي بهم اليق
ولهم الزم فانواضع ومجانبة العجب لان التواضع عطوف والعجب منفر وهو
بكل احد قبيح وبالعلماء اقبح لان الناس بهم يقتدون وكثيرا ما يداخلهم
الاعجاب لوجودهم بفضيلة العلم ولو انهم نظروا حق النظر وعملوا بموجب
العلم لكان التواضع بهم اولى ومجانبة العجب بهم احرى لان العجب نقص

ينافى الفضل لا سيما مع قول النبي صلى الله عليه وسلم ان العجب لأكل الحسنة كما تأكل النار الخيط فلا يفي ما ادركوه من فضيلة العلم بما لحقهم من نفوس العجب وقد روى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قليل العلم خير من كثير العبادة وكفى بالمرء علما اذا عبد الله عز وجل وكفى بالمرء جهلا اذا اعجب برأيه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون ولتواضع لكم من تعاونوه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم وقال بعض السلف من تكبر بعلمه وترفع وضعه الله به ومن تواضع بعلمه رفعه به وعلة اعجابهم انصرفوا نظرهم الى كثرة من دونهم من الجهال وانصرفوا نظرهم عن فوقهم من العلماء فانه ليس مثاه في العلم الا وسيجد من هو اعلم منه اذ العلم اكثر من ان يحيط به بشر قال الله تعالى نرفع درجات من نشاء يعنى في العلم وفوق كل ذى علم عليم قال اهل التأويل فوق كل ذى علم من هو اعلم منه حتى ينهى ذلك الى الله تعالى وقبل لبعض الحكماء من يعرف كل العلم قال كل الناس وقال الشعبي ما رأيت مثلى وما اشاء ان اتى رجلا اعلم منى الا لقيته لم يذكر الشعبي هذا القول تفضيلا لنفسه فيستفح منه وانما ذكره تعظيما للعلم عن ان يحاط به فينبغى لمن علم ان ينظر الى نفسه بتقصير ما قصر فيه ليسلم من عجب ما ادرك منه وقد قيل في مشور الحكم اذا علمت فلا تفكر في كثرة من دونك من الجهال ولكن انظر الى من فوقك من العلماء وانشدت لابن العميد

* من شاء عيشا هنيئا يستفيد به * في دينه ثم في دنياه اقبالا *
 * فلينظرن الى من فوقه اديا * ولينظرن الى من دونه مالا *
 * وقل ما تجد بالعلم مجبا * وما ادرك مقفرا * الا من كان فيه مقلا ومقصرا *
 * لانه قد يجهل قدره * ويحسب انه نال بالدخول فيه اكثره * فلما من كان فيه متوجها ومنه مستكثرا فهو يعلم من بعد غايته * والعجز عن ادراك نهائيه *
 * ما يصدده عن العجب به وقد قال الشعبي العلم ثلاثة اشبار فمن نال منه شبرا شمع بانفه وظن انه ناله ومن نال الشبر الثاني صغرت اليه نفسه وعلم انه لم ينله واما الشبر الثالث فهيهاث لا يناله احد ابدا وما اندرك به من حالى اننى صفت فى

البوع كتابا جعت فيه ما استطعت من كتب الناس واجهدت فيه نفسي
وكددت فيه خاطري حتى اذا تهنبت واستكمل وكنت اعجب به وتصورت
انني اشد الناس اضطلاعا بعلمه حضرني وانا في مجلسي اعرابيان فسألاني عن
بيع عقده في البداية على شروط تضمنت اربع مسائل لم اعرف لواحدة منهن
جوابا فاطرقت مفكرا * وبحالي وحالهما معتبرا * فقالا ما عندك فيما سألناك
جواب وانت زعيم هذه الجماعة قلت لا فقالا واهالك وانصرفا ثم اتيا من
يتقدمه في العلم كثير من اصحابي فسألاه فاجابهما مسرعا بما اقعهما وانصرفا
عنه راضيين بمجوابه حامدين لعلمه فبتيت مرتبكا وبجالهما وخالى معتبرا واني
لعل ما كنت عليه من المسائل الى وقتي فكان ذاك زاجر نصيحة ونذير عظة
تذلل بها قياد النفس وانخفض لها جناح العجب توفيقا فتحته ورشدا
اوتيه وحق على من ترك العجب بما يحسن ان يدع التكلف لما لا يحسن
فقديما نهى الناس عنهما * واستعاذوا بالله منهما * ومن اوضح ذلك بيانا
استعاذة الجاحظ في كتاب البيان حيث يقول اللهم انا نعوذ بك من فتنة القول
كما نعوذ بك من فتنة العمل ونعوذ بك من التكلف لما لا يحسن * كما نعوذ بك
من العجب بما يحسن * ونعوذ بك من شر السلاطة والهمذر * كما نعوذ بك
من شر العلى والحصر * ونحن نستعيز بالله تعالى مثل ما استعاذ فليس لمن تكلف
ما لا يحسن غاية ينتهى اليها ولا حديقف عنده ومن كان تكلفه غير محدود
فالخلق به ان يضل ويضل وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من
سئل فافتي بغير علم فقد ضل واصل وقال بعض الحكماء من العلم ان لا تتكلم فيما
لا تعلم بكلام من يعلم غسبك جهلا من عثلك ان تنطق بما لا تفهم ولقد احسن
زرارة بن زيد حيث يقول

* اذا ما انتهى على تاهيت عنده * اطال فاملى او تاهى فاقصرا *
* ويخبرني عن غائب المرء فعلمه * كفى الفعل عما غيب المرء مخبرا *
فاذا لم يكن الى الاحاطة بالعالم سبيل فلا عار ان يجهل بعضه واذا لم يكن في
جهل بعضه عار لم يقع به ان يقول لا اعلم فيما ليس يعلم وروى ان رجلا قال

يا رسول الله اى البقاع خير و اى البقاع شر فقال لا ادرى حتى اسأل جبريل وقال
 على بن ابي طالب رضى الله عنه وما ابردها على القلب اذا سئل احدكم فيما لا يعلم
 ان يقول الله اعلم وان العالم من عرف ان ما يعلم فيما لا يعلم قليل وقال عبد الله بن
 عباس رضى الله عنهما اذا ترك العالم قول لا ادرى اصيبت مقاتله وقال بعض
 العلماء هلك من ترك لا ادرى وقال بعض الحكماء ليس لى من فضيلة العلم الا علمى
 بانى لست اعلم وقال بعض البلغاء من قال لا ادرى علم فدرى ومن اتحل ما لا يدرى
 اهل فهوى ولا يذنبى للرجل وان صار فى طبة العلماء الافضل ان يستكف
 من تعلم ما ليس عنده ليسلم من التكلف وقد قال عيسى بن مريم على نبينا وعليه
 السلام يا صاحب العلم تعلم من العلم ما جهلت وعلم الجاهل ما علمت وقال على
 ابن ابي طالب رضى الله عنه خمس خذوهن عني فلوركنتم الفلك ما
 وجدتموهن الا عندى الا لا يرجون احد الا ربه * ولا يخافن الاذنبه *
 ولا يستكف العالم ان يتعلم لما ليس عنده واذا سئل احدكم عما لا يعلم فليقل
 لا اعلم ومنزلة الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد وقال عبد الله بن
 عباس رضى الله عنهما لو كان احدكم يكتب من العلم لاكتفى منه موسى على
 نبينا وعليه السلام لما قال هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا وقيل للخليل
 ابن اديم ادرى كذا هذا العلم قال كنت اذا لقيت عالما اخذت منه واعطيته
 وقال يزرجه من العلم ان لا تحقر شيئا من العلم ومن العلم تفضل جميع العلم
 وقال المنصور لشريك اتى لك هذا العلم قال لم ارجب عن قليل استفيد * ولم
 اخل بكثير افيد * على ان العلم يقتضى ما بقى منه ويستدعى ما تأخر عنه
 وليس للراغب فيه قناعة ببعضه وروى عون بن عبد الله عن ابن مسعود رضى
 الله عنه انه قال منه ومان لا يشبعان طالب علم وطالب ديننا اما طالب العلم فانه
 يزاد للرحن رضى ثم قرأ ائت يخشى الله من عباده العلماء واما طالب الدنيا فانه
 يزاد طغيانا ثم قرأ كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ولكن مستقلا للفضيلة
 منه ليرداد منها ومستكرا للنقيصة فيه لينتهى عنها ولا يقنع من العلم بما ادرك لان
 القناعة فيه زهد وللزهد فيه ترك والترك له جهل وقد قال بعض الحكماء عليك
 بالعلم والاكثر منه فان قليله اشبه شئ بقليل الخير وكثيره اشبه شئ بكثيره ولن

يعيب الخير الا القلة فاماكثرته فاذنها امنية وقال بعض البلغاء من فضل علمك استقلالك لملكك ومن كمال عقلك استظهاارك على عتلك ولا ينبغي ان يجهل من نفسه مبلغ علمها ولا يتجاوز بها قدر حقها ولان يكون بها مقصيرا فيذعن بالانقياد * اولى من ان يكون بهما مجاوزا فيكف عن الازدياد * لان من جهل حال نفسه كان لغيرها اجهل وقد قالت عائشة رضى الله عنها يا رسول الله متى يعرف الانسان ربه قال اذا عرف نفسه وقد قسم الخليل بن احمد احوال الناس فيما علموه او جهلوه اربعة اقسام متقابلة لا يخلو الانسان منها فقال الرجال اربعة رجل يدرى ويدرى انه يدرى فذلك عالم فاسألوه * ورجل يدرى ولا يدرى انه يدرى فذلك ناس فذكروه * ورجل لا يدرى ويدرى انه لا يدرى فذلك مسترشد فارشدوه * ورجل لا يدرى ولا يدرى انه لا يدرى فذلك جاهل فارفضوه * وانشد ابو القاسم الامدى

* اذا كنت لا تدرى ولم تك بالذى * يسائل من يدرى فكيف اذا تدرى *
 * جهات ولم تعلم بانك جاهل * فن لي بان تدرى بانك لا تدرى *
 * اذا كنت من كل الامور معيا * فكأن هكذا ارضا يطأك الذى يدرى *
 * ومن اعجب الاشياء انك لا تدرى * وانك لا تدرى بانك لا تدرى *
 وليكن من شيمته العمل بعلمه وحث النفس على ان تأتمر بما يأمر به ولا يكن ممن قال الله تعالى فيهم مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الجمار يحمل اسفارا فقد قال قتادة في قوله تعالى وانه لذو علم لما علمناه يعنى انه عامل بما علم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ويل للجماع القول ويل للمصريين يريد الذين يستمعون القول ولا يعملون به وروى عبد الله بن وهب عن سفيان ان الخضر على نبينا وعليه السلام قال لموسى عليه السلام يا ابن عمران تعلم العلم تعمل به ولا تتعلم لتحديث به فيكون عليك بوره * ولغيرك نوره * وقال على بن ابي طالب انما زهد الناس في طلب العلم لما يرون من قلة انتفاع من علم بما علم وقال ابو الدرداء اخوف ما اخاف اذا وقفت بين يدي الله ان يقول قد علمت فاذا علمت اذ علمت وكان يقال خير من القول فاعله * وخير من الصواب قائله * وخير من العلم حامله * وقيل في منشور الحكم لم ينتفع بعلمه من ترك العمل به وقال

بعض العلماء ثمرة العلم ان يعمل به وثمره العمل ان يؤجر عليه وقال بعض الصلحاء العلم يهتف بالعمل * فان اجابه اقام و الا ارتحل * وقال بعض العلماء خير العلم ما نفع * وخير القول ما ردع * وقال بعض الانبياء ثمرة العلوم * العمل بالعلوم * وقال بعض البلغاء من تمام العلم استعماله * ومن تمام العمل استقلاله * فمن استعمل علمه لم يخل من رشاد * ومن استقل عمله لم يقصر عن مراد * وقال حاتم الطائي

* ولم يحمدا من علم غير عامل * خلافا ولا من عامل غير عالم *
* رأوا طرفات المجد عوجا قطيعة * واقطع عجز عندهم عجز حازم *
لانه لما كان علمه حجة على من اخذ عنه واقبسه منه حتى يلزمه العمل به والمصير اليه كان عليه احج وله الزم لان مرتبة العلم قبل مرتبة القول كما ان مرتبة العلم قبل مرتبة العمل وقد قال ابو العتاهية رحمه الله

* اسمع الى الاحكام تحملها الرواة اليك عنكا *
* واعلم هديت باذنها * حجج تكون عليك منك *
ثم ليتجنب ان يقول ما لا يفعل وان يأمر بما لا يأمر به وان يسر غير ما يظهر ولا يجعل قول الشاعر هذا

* اعمل بقولي وان قصرت في عملي * ينفعك قولي ولا يضررك تقصيري *
عذرا له في تقصير يضره وان لم يضر غيره فان اصرار النفس بغيرها ويحسن لها مساويها فان من قال ما لا يفعل فقد مكر ومن امر بما لا يأمر فقد خدع ومن اسر غير ما يظهر فقد نافق وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المكر والخديعة وصاحباهما في النار على ان امره بما لا يأمر مطروح * وانكاره ما لا ينكره من نفسه مستفح * بل ربما كان ذلك سببا لاغراء المأمور بترك ما امره به عنادا * وارتكاب ما نهى عنه كيدا * وحكى ان اعرابيا اتى ابن ابي ذئب فسأله عن مسألة طلاق فافتاها بطلاق امرأته فقال انظر حسنا قال نظرت وقد بانت قولي الاعرابي وهو يقول

* اتيت ابن ذئب ابغى الفقه عنده * فطلق حيي البت بدت انامله *
* اطلق في فتوى ابن ذئب حيلتي * وعند ابن ذئب اهله وحلائله *

فطن بجهله انه لا يلزمه العلقاق بقول من لم يلتزم الطلاق فما ظنك بقول يجب فيه اشتراك الامر و الامور كيف يكون مقبولا منه و هو غير عامل به ولا قابل له كلا وقال احد بن يوسف

- * وعامل بالفجور يأمر بالسير كهماد يخوض في الظلم *
- * او كطبيب قد شفه سقم * وهو يداوى من ذلك السقم *
- * يا واعظ الناس غير متعظ * ثوبك طهر او لا فلا تلم *

❁ وقال آخر ❁

- * عود لسانك قلة اللفظ * واحفظ كلامك ايا حفظ *
 - * اياك ان تعظ الرجال وقد * أصبحت محتاجا الى الوعظ *
- واما الانقطاع عن العلم الى العمل و الانقطاع عن العمل الى العلم اذا عمل بموجب العلم فقد حكي عن الزهرى فيه ما يغنى عن تكلف غيره و هو انه قال العلم افضل من العمل لمن جهل و العمل افضل من العلم لمن علم و اما فضل ما بين العلم و العبادة اذا لم يخل بواجب و لم يقصر في فرض فقد روى عن النبي صلى الله عليه و سلم انه قال يبعث العالم و العابد فيقال للعابد ادخل الجنة و يقال للعالم اتد حتى تشفع للناس و من آداب العلماء ان لا يغلوا بتعليم ما يحسنون * ولا يمتنعوا من افادة ما يعلمون * فان البخل به لوم و ظلم * و المنع منه حسد و اثم * و كيف يسوغ لهم البخل بما نفحوه جودا من غير بخل *
- * و اوتوه عفوا من غير بذل * ام كيف يجوز لهم الشح بما ان بذلوه زاد و نمنى *
- * و ان كتموه تناقص و وهى * و لو استن ذلك من تقدمهم لما وصل العلم اليهم و لا تفرض عنهم بانقرضهم و لصاروا على مرور الايام جهالا * و بتلقب الاحوال و تناقصها ارذالا * و قد قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ليبينه للناس ولا يكتمونه و روى عن النبي صلى الله عليه و سلم انه قال لا تمتعوا العلم اهلها فان في ذلك فساد دينكم و التباس بصائركم ثم قرأ ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات و الهدى من بعدما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون و روى عن النبي صلى الله عليه و سلم انه قال من كتم علما يحسنه اجمه الله يوم القيامة بلجام من نار و روى عن علي بن ابي طالب

كرم الله وجهه انه قال ما اخذ الله العهد على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ
على العهد اهل العلم ان يعلموا وقال بعض الحكماء اذا كان من قواعد الحكمة
بذل ما ينقصه البذل فاحرى ان يكون من قواعدها بذل ما يزيد البذل وقال
بعض العلماء كما ان الاستفادة نافلة للمتعلم كذلك الافادة فريضة على المعلم وقد
قيل في مشور الحكم من كنتم علما فكأنه جاهل وقال خالد بن صفوان اني لا فرح
بافادتي المتعلم اكثر من فرحي باستغاثتي من المعلم ثم له بالتعليم نفعان احدهما ما يرجوه
من ثواب الله تعالى فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم التعليم صدقة فقال
تصدقوا على اخيكم بعلم يرشده * ورأى يسدده * وروى ابن مسعود عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال تعلموا وعلوا فان اجر العالم والمتعلم سواء قيل وما
اجرهما قال مائة مغفرة ومائة درجة في الجنة والنفع الثاني زيادة العلم واتقان الحفظ
فقد قال الخليل بن احمد اجعل تعليمك دراسة لعلمك واجعل منظره المتعلم تنبيهها
على ما ليس عندك وقال ابن المعتز في مشور الحكم النار لا ينقصها ما اخذ منها
ولكن ينحدها ان لا تنجد حطبها كذلك العلم لا يقنيه الاقتباس ولكن فقد الحاملين
له سبب عدمه فايك والبخل بما تعلم وقال بعض العلماء علم علمك وتعلم علم غيرك فاذا
علمت ما جهلت وحفظت ما علمت فاعلم ان المتعلمين ضربان مستدع وطالب فاما
المستدعي الى العلم فهو من استدعاء العالم الى التعليم لما ظهر له من جودة ذكائه
وبان له من قوة خاطره فاذا وافق استدعاء العالم شهوة المتعلم كانت نتيجتها درك
النجاء * وظفر السعداء * لان العالم باستدعائه متوفر * والمتعلم بشهوته مستكثر *
واما طالب العلم لداع يدعوه * وباعث يحسده * فان كان الداعي دينيا * وكان
المتعلم فطنا ذكيا * وجب على العالم ان يكرن عليه متبلا وعلى تعليمه متوفر الا يخفى
عليه مكنونا * ولا يلحوى عنه مخزونا * وان كان بليدا بعيد الفطنة فينبغي ان
لا يمنع من السير فيحرم * ولا يحمل عليه بالكثير فيظلم * ولا يجعل بلادته ذريعة
لحرمانه فان الشهوة باعثة والصبر مؤثر وقد روى عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال لا تتمعوا العلم اهله فتظلموا * ولا تضعوه في غير اهله فأتوا *
وقال بعض الحكماء لا تتمعوا العلم احدا فان العلم اضع لجانبه فاما ان لم يكن
الداعي دينيا فظفر فيه فان كان مباحا كرجل دعاه الى طلب العلم حب النباهة

فطلب الرئاسة فالقول فيه يقارب القول الاول في تعليم من قبل لان العلم يعطيه الى الدين في ثاني حال وان لم يكن مبتدئا به في اول حال وقد حكى عن سفیان الثوري انه قال تعلموا العلم لغير الله تعالى فاني ان يكون الا لله وقال عبد الله ابن المبارك طلبنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا وان كان الداعي محظورا كرجل دعاه الى طلب العلم شر كامن ومكر باطن يريد ان يستعملهما في شبه دينية وحيل فقهية لا تجدي اهل السلامة منها مخالصا ولا عنها مدفعا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اهلك امتي رجلان عالم فاجر وجاهل متعبد وقيل يارسول الله اى الناس اشر قال العلماء اذا فسدوا فينبغي للعالم ان يراى من هذه حاله ان يمنع عن طلبته * ويصرفه عن بغيته * فلا يعينه على امضاء مكره * واعمال شره * فقد روى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال واصل العلم في غير اهله كقتل الخنازير اللؤلؤ والجوهر والذهب وقال عيسى بن مريم على نبينا وعليه السلام لا تلقوا الجوهر للخنزير فالعلم افضل من اللؤلؤ ومن لا يستحقه شر من الخنزير وحكى ان تلميذا سأل عالما عن بعض العلوم فلم يفده فقيل له لم منعه فقال لكل تربة غرس * ولكل بناء اس * وقال بعض البلغاء لكل ثوب لابس * ولكل علم قابس * وقال بعض الادباء ارث لروضة توسطها خنزير * وابك لعلم حواه شرير * وينبغي ان يكون للعالم فراسة يتوسم بها المتعلم ليعرف مبلغ طاقته وقدرا يستحقه ليعطيه ما يتحمله بذكائه او يضعف عنه ببلادته فانه ارواح للعالم وانجح للمتعلم وقد روى ثابت عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا انالم اعلم ما لم ار فلا علمت ما رايت وقال عبد الله بن الزبير لا عاش بخير من لم ير برأيه ما لم ير بعينه وقال ابن الرومي

* المحي يرى بابل رأى * آخر الامر من وراء الغيب *
 * لودعى له فؤاد ذكى * ما له في ذكائه من ضريب *
 * لا يروى ولا يقلب طرفا * واكف الرجال في تقليب *
 * واذا كان العالم في توسم المتعلمين بهذه الصفة وكان بقدر استحقاقهم خيرا

لم يضع له عشاء ولم ينجب على يديه صاحب وان لم يتوسمهم وخفيت عليه
 احوالهم ومبلغ استحقاقهم وكانوا وياها في عناء مكبد وتعبد غير محمد لانه
 لا يعدم ان يكون فيهم ذكى محتاج الى الزيادة وبليد يكتفى بالقليل فيضجر
 الذكي منه ويهجز البليد عنه ومن يردد اصحابه بين عجز وضجر ملوه
 وملهم وقد حكى عبد الله بن وهب ابن سفيان بن عبد الله قال قال الخضر
 لموسى عليهما السلام يا طالب العلم ان القائل اقل ملالة من السميع فلا تمل
 جلساءك اذا حدثتهم يا موسى واعلم ان قلبك وعاء فانظر ما تحشو
 في وعاءك وقال بعض الحكماء خير العلماء من لا يقل ولا يمل وقال بعض العلماء
 كل علم كثر على السميع ولم يطاوعه الفهم ازداد القلب به عى وانما ينفع سمع
 الاذان * اذا قوى فهم القلوب في الابدان * وربما كان لبعض السلاطين
 رغبة في العلم لفضيلة نفسه وكرم طابعه فلا يحمل ذلك ذريعة في الانبساط عنده
 والادلال عليه بل يهوى ما يستحقه بسلطانه وعلو يده فان للسلطان حق الطاعة
 والاعظام * وللعلم حق القبول والاكرام * ثم لا ينبغي ان يتدنه الا بعد
 الاستدعاء ولا يزيده على قدر الاكتفاء فربما احب بعض العلماء اظهار علمه للسلطان
 فاكثره فصار ذلك ذريعة الى ملء ومفضيا الى بعده فان السلطان متقسم الافكار
 مستوعب الزمان فليس له في العلم فراغ المتقطعين اليه ولا صبر المنفردين به وقد
 حكى الاصمعي رحمه الله قال قال لي الرشيد يا عبيد الملك انت اعلم منا ونحن
 لعقل منك لا تعلمنا في ملء * ولا تسرع الى تذكيرنا في خلاء * واركنا حتى
 نبندك بالسؤال فاذا بلغت من الجواب حد الاستحقاق فلا تزد الا ان
 يستدعي ذلك منك وانظر الى ما هو العطف في التأديب وانصف في التعليم *
 وبلغ بلوجز لفظ غاية التقوم * ويخرج تعليمه مخرج المذاكرة والمحاضرة لا مخرج
 التعليم والافادة لان تأخير العلم بحجة تقصير يحل السلطان عنها فان ظهر منه
 خطأ او زلل في قول او عمل لم يجاهره بل رد وعرض باستدراك زله * واصلاح
 خله * وحكى ان عبد الملك بن مروان قال للشعبي كم عطاءك قال الفين قال لحت
 قال لما ترك امير المؤمنين الاعراب كرهته ان اعرب كلامي عليه ثم ليحذر
 اتباعه فيمتا بجانب الدين ويضاد الحق موافقة رأيه ومتابعة لهواه فربما زلت

اقدام العلماء في ذلك رغبة او رهبة فضلوا واضلوا مع سوء العاقبة وفتح الاسرار
وقد روى الحسن البصري رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
تزال هذه الامة تحت يد الله وفي كنفه ما لم يمارقواها امرأها ولم يرك
صلحواؤها فجارها ولم يمار اخيارها اشرارها * فاذا فعلوا ذلك رفع عنهم يده ثم
سلط عليهم جبارتهم فساموهم سوء العذاب وضربهم بالقاقة والفر وملا قلوبهم
ربما ومن آدابهم نزاهة النفس عن شبه المكاسب * والقناعة باليسور عن كد
المطالب * فان شبهة المكاسب اثم وكذا الطلب ذل والاجر اجدر به من الاثم
والغزاليق به من الذل وانشدني بعض اهل الادب لعلي بن عبد العزيز القاضي
رحمه الله تعالى

* يقولون لي فيك انقباض وانما * رأوا رجلا عن موقف الذل احجما *
* أرى الناس من دانا هم هان عندهم * ومن أكرمه عزة النفس اكرا *
* ولم أقض حق العلم ان كان كليا * بدا طمع صيرته لي سلبا *
* وما كل برق لاح لي يستغزني * ولا كل من لاقيت ارضاه منعا *
* اذا قيل هذا منهل قلت قد ارى * ولكن نفس الحر يحتمل التظما *
* انتهتها عن بعض ما لا يشينها * مخافة اقوال العدا فيم اولما *
* ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي * لآخدم من لاقيت لكن لاخدما *
* المشق به غرسا واجنيه ذلة * اذا فاتباغ الجهل قد كان احزما *
* ولو ان اهل العلم صانوه صنائهم * ولو عظموه في النفوس لعظما *
* واكن اهانوه فهان ودنسوا * محياء بالاطماع حتى يجهما *
على ان العلم عوض من كل لذة ومغن عن كل شهوة ومن كان صادق التبة فيه
لم يكن له همة فيما يجد بدا منه وقال بعض البلغاء من تفرد بالعلم لم توخشه
خلوه * ومن نسلى بالكتب لم تقه سلوه * ومن آتسه قراءة القرآن * لم
توخشه مفارقة الاخوان * وقال بعض العلماء لا سمير كالعلم * ولا ظهير كالعلم *
ومن آدابهم ان يقصدوا وجه الله بتعليم من علموا ويطلبوا ثوابه بارشاد من
ارشوا من غير ان يعتاضوا عليه عوضا ولا يلتمسوا عليه رزقا قال الله تعالى
ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا قال ابو العالية لا تأخذوا عليه اجرا وهو مكتوب عندهم

في الكتاب الاول يا ابن آدم علم مجانا كما علمت مجانا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اجر المعلم كاجر الصائم القائم وحسب من هذا اجره ان يلتبس عليه اجرا ومن آدابهم نصح من علموه والرفق بهم وتسهيل السبل عليهم وبذل المجهود في رفدهم ومعاونتهم فان ذلك اعظم لاجرهم واسنى لذكرهم وانشروا لعلومهم وارسخوا لعلومهم وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي كرم الله وجهه يا علي لان يهدي الله بك رجلا خير مما طلعت عليه الشمس ومن آدابهم ان لا يعنفوا متعلما ولا يحقروا ناشئا ولا يستصغروا مبتدئا فان ذلك ادعى اليهم واعطف عليهم واحث على الرغبة فيما لديهم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال علوا ولا تعنفوا فان المعلم خير من المعنف وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وقروا من تعلمون منه ووقروا من تعلمونه ومن آدابهم ان لا يمنعوا طالبا ولا يؤيسوا متعلما لما في ذلك من قطع الرغبة فيهم والزهد فيما لديهم واستمرار ذلك مفضل الى انقراض العلم بانقراضهم فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ألا انبئكم بالفيء ككل الفقيه قالوا بلى يا رسول الله قال من لم يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤيسهم من روح الله ولا يدع القرآن رغبة الى ما سواه ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه ولا علم ليس فيه تفهم ولا قراءة ليس فيها تدبر فهذه جملة كافية والله ولي التوفيق

باب ادب الدين

اعلم ان الله سبحانه وتعالى انما كلف الخلق متعبداته * و الزمهم مفترضاته * وبعث اليهم رسلا وشرع لهم دينه لغير حاجة دعتهم الى تكليفهم ولا من ضرورة قادته الى تعبدهم وانما قصد نفعهم تفضلا منه عليهم كما تفضل بما لا يحصى عدا من نعمه بل النعمة فيما تعبدهم به اعظم لان نفع ما سوى المتعبدات مختص بالدينا العاجلة ونفع المتعبدات يشتمل على نفع الدنيا والآخرة وما جمع نفع الدنيا والآخرة كان اعظم نعمة وأكثر تفضلا وجعل ما تعبدهم به مأخوذا من عقل متبوع * وشرع مسموع * فالعقل متبوع فيما لا يمنع منه الشرع والشرع

مسموع فيما لا يمنع منه العقل لان الشرع لا يرد بما يمنع منه العقل والعقل لا يتبع
 فيما يمنع منه الشرع فلذلك توجه التكليف الى من كمل عقله فارسل رسوله
 بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فبلغهم رسالته
 وازمهم حجته وبين لهم شريعته وتلا عليهم كتابه فيما احله وحرمه واباحه
 وحظره واستحبه وكرهه وامره ونهى عنه وما وعده من الثواب لمن اطاعه
 واوعده من العقاب لمن عصاه فكان وعده ترغيبا * ووعيده ترهيبا *
 لان الرغبة تبعث على الطاعة والرغبة تكف عن المعصية والتكليف يجمع امرا
 بطاعة ونهيا عن معصية ولذلك كان التكليف مقرونا بالرغبة والرغبة وكان
 ما تحلل كتابه من قصص الانبياء السالفة واخبار القرون الخالية عظة
 واعتبارا تقوى معهما الرغبة * وتزداد بهما الرهبة * وكان ذلك من لطفه بنا
 وتفضله علينا فالحمد لله الذي نعمه لا تحصى وشكره لا يؤدي ثم جعل الى رسوله
 صلى الله عليه وسلم بيان ما كان مجملا وتفسير ما كان مشكلا وتحقيق ما كان محتملا
 ليكون له مع تبليغ الرسالة ظهور الاختصاص به ومنزلة التفويض اليه قال
 الله تعالى وايزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون ثم
 جعل الى العلماء استنباط ما به على معانيه واشار الى اصوله بالاجتهاد فيه الى
 علم المراد فيمتازوا بذلك عن غيرهم ويختصوا بثواب اجتهادهم قال الله تعالى
 يرفع الله الذين آمنوا منكم او الذين اتوا العلم درجات وقال الله تعالى وما يعلم
 تأويله الا الله والراسخون في العلم فصار الكتاب اصلا والسنة فرعا واستنباط
 العلماء ايضا وكشفا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القرآن اصل
 علم الشريعة نصه ودليله والحكمة بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم والامة
 المجتمعة حجة على من شذ عنها وكان من رأفته بخلقه وتفضله على عباده ان اقدرهم
 على ما كلفهم ورفع الحرج عنهم فيما تعبدهم ليكونوا مع ما قد اعده لهم
 ناهضين بفعل الطاعات ومجانبة المعاصي قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا
 الا وسعها وقال وما جعل عليكم في الدين من حرج وجعل ما كلفهم
 ثلاثة اقسام قسما امرهم باعتقاده وقسما امرهم بفعله وقسما امرهم
 بالكف عنه ليكون اختلاف جهات التكليف ابعث على قبوله واعون على فعله

حكمة منه ولطفاً وجعل ما أمرهم باعتقاده قسمين اثباتاً وقسماً نفياً
فاما الاثبات فاثبات توحيده وصفاته واثبات بعثته رسله وتصديق محمد صلى الله
عليه وسلم فيما جاء به واما النفي فنفي الصاحبة والولد والحاجة والقبائح اجمع
وهذان القسمان اول ما كلفه العاقل وجعل ما أمرهم بفعله ثلاثة اقسام قسماً
على ابدانهم كالصلاة والصيام وقسماً في اموالهم كالزكاة والكفارة وقسماً
على اموالهم وابدانهم كالحج والجهاد ليسهل عليهم فعله ويخف عنهم اداؤه نظراً
منه تعالى لهم وتفضلاً منه عليهم وجعل ما أمرهم بالكف عنه ثلاثة
اقسام قسماً لاحياء نفوسهم وصلاح ابدانهم كنهيه عن القتل واكل
الخبائث والسموم وشرب الخمر المؤدية الى فساد العقل وزواله وقسماً لاثلاثهم
واصلاح ذات بينهم كنهيه عن الغضب والغلبة والظلم والسرف المفضي الى
التقطيع والبغضاء وقسماً لحفظ انسابهم وتعظيم محارمهم كنهيه عن الزنا ونكاح
ذوات المحارم فكانت نعمة فيما حظره علينا كنعمة فيما اباحه لنا وتفضله
فيما كفنا عنه كفضلته فيما امرنا به فهل يجد العاقل في رويته مساعداً
ان يقصر فيما امر به وهو نعمة عليه او يرى فسخة في ارتكاب ما نهى
عنه وهو تفضل منه عليه وهل يكون من انعم عليه بنعمة فاهملها مع شدة
فاقته اليها الا مذموماً في العقل مع ما جاء من وعيد الشرع ثم من لطفه بخاتمته
وتفضله على عباده ان جعل لهم من جنس كل فريضة نفلاً وجعل لها من الثواب
قسطاً وندبهم اليه ندباً وجعل لهم بالحسنة عشرة ليضاعف ثواب فاعله
ويضع العقاب عن تاركه ومن لطيف حكمته ان جعل لكل عبادة حالتين حالة
كال وحالة جواز رفقا منه بخاتمته لما سبق في عمله ان فيهم العجل المبادر والبطيء
المشاغل ومن لا صبر له على اداء الاكل ليكون ما اخل به من هيئات عبادته
غير قادح في فرض ولا مانع من اجر فكان ذلك من نعمه علينا وحسن نظره الينا
وكان اول ما فرض بعد تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم عبادات الابدان وقد
قدمها على ما يتعلق بالاموال لان النفوس على الاموال اشح * وما يتعلق بالابدان
اسمح * وذلك الصلاة والصيام فقدم الصلاة على الصيام لان الصلاة اسهل
فعلاً وايسر عملاً وجعلها مشتملة على خضوع له وابتهاال اليه فالتخضوع

له رهبة منه والابتغال اليه رغبة فيه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم الى صلاته فائما ينجي ربه فليظربا ينجيه وروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه كان كلما دخل عليه وقت صلاة اصفر لونه مرة واحمر اخرى فقبل له في ذلك فقال اتني الامانة التي عرضت على السموات والارض والجبال فاين ان يحملنها واشققن منها وجلتها انا فلا ادرى اؤسي فيها ام احسن ثم جعل لها شروطا لازمة من رفع حدث وازالة نجس ليستديم النظافة للقاء ربه والطهارة لآداء فرضه ثم ضمنها تلاوة كتابه المنزل ليتدبر ما فيه * من اوامره ونواهيه * ويعتبر اعجاز الفاظه ومعانيه * ثم علقها باوقات راتبة وازمان متردفة ليكون ترادف ازماتها وتتابع اوقاتها سببا لاستدامة الخضوع له والابتغال اليه فلا تقطع الرهبة منه ولا الرغبة فيه واذ لم تقطع الرغبة والرهبة استدام صلاح الخلق وبحسب قوة الرغبة والرهبة يكون استيفاؤها على الكمال او التقصير فيها حال الجواز وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة مكبال فمن وفى له ومن طفف فقد علم ما قال الله في المطففين وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من هانت عليه صلاته كانت على الله تعالى عز وجل اهون وانشدت بعض الفصحاء في تلك

* اقبل على صلواتك الخمس * كم مضج وعساه لا يمسي *
 * واستقبل اليوم الجديد بتوبة * تمحو ذنوب صبيحة الامس *
 * فليعلمن بوجهك الفض البلي * فعل الظلام بصورة الشمس *
 ثم فرض الله تعالى الصيام وقدمه على زكاة الاموال لتعلق الصيام بالابدان وكان في ايجابه حثا على رحمة الفقراء واطعامهم وسد جوعاتهم لما عاينوه من شدة المجاعة في صومهم وقد قيل ليوسف على نبينا وعليه السلام اتجوع وانت على خزائن الارض فقال اخاف ان اشبع فانسي الجائع ثم لما في الصوم من قهر النفس واذلالها وكسر الشهوة المستولية عليها واشعار النفس ما هي عليه من الحاجة الى يسير الطعام والشراب والمحتاج الى الشيء ذليل به وبهذا اجمع الله تعالى علي من اتخذ عيسى على نبينا وعليه السلام واهه الاهيم

من دونه فقال ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله ازل و امه
صديقة كانا ياكلان الطعام فجعل احياجهما الى الطعام نقصا فيهما عن ان يكونا
الاثنين وقد وصف الحسن البصري رجاء الله تعالى نقص الانسان بالطعام
والشراب فقال مسكين ابن آدم محتوم الاجل * مكتوم الامل * مستور العلل *
يتكلم بالحلم * وينظر بشحم * ويسمع بعظم * اسير جوعه صريع شبعه تؤذيه
البته * وتنشه العرق * وتقتله الشرقة * لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا
ولا حياة ولا نشورا فانظر الى لطفه بنا * فيما اوجبه من الصيام علينا كيف
ايقظ العقول له وقد كانت عنه غافلة او متغافلة ونفع النفوس به ولم تكن
منتفعة ولا نافعة ثم فرض زكوات الاموال وقدمها على فرض الحج لان في
الحج مع انفاق المال سفرا شاقا فكانت النفس الى الزكاة اسرع اجابة منها الى
الحج فكان في ايجابها مواساة للفقراء ومعوونة لذوى الحاجات تكفهم عن
البغضاء وتمنعهم من التقاطع وتبعثهم على التواضع لان الامل وصول والراحي
هابب واذا زال الامل وانقطع الرجاء واشتدت الحاجة وقعت البغضاء واشتد
الحسد فحدث التقاطع بين ارباب الاموال والفقراء * ووقعت العداوة بين ذوى
الحاجات والاغنياء * حتى تفضى الى التعالب على الاموال والتفرير بالنفوس
هذا مع ما في اداء الزكاة من ترمين النفس على السماحة المحمودة ومجانبة الشح
الذموم لان السماحة تبعث على اداء الحقوق والشح يصد عنها وما يبعث على اداء
الحقوق فاجدر به جدا وما صد عنها فاخلق به ذما وقد روى ابو هريرة
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال شر ما اعطى العبد شح هالع *
وجبن خالع * فسبحان من دبرنا بلطيف حكمته * واخفى عن فطنتنا جزيل
نعمته * حتى استوجب من الشكر باخفائها اعظم مما استوجبه بابدائها ثم
فرض الحج فكان آخر فروضه لانه يجمع عملا على بدن وحقا في مال فجعل
فرضه بعد استقرار فروض الابدان وفروض الاموال ليكون استئناسهم بكل
واحد من النوعين ذريعة الى تسهيل ما جمع بين النوعين فكان في ايجابه تذكير
ليوم الحشر بمفارقة المال والاهل وخضوع العزيز والذليل في الوقوف
بين يديه واجتماع المطيع والعاصي في الرهبة منه والرغبة اليه واقلاع اهل

المعاصي عما اجتروه وندم المذنبين على ما اسلفوه قبل من حج الا
واحدث توبة من ذنب واقلاعا من معصية ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
من علامة الحجة البرورة ان يكون صاحبها بعدها خيرا منه قبلها وهذا صحيح
لان الندم على الذنوب مانع من الاقدام عليها والتوبة مكفرة لما سلف منها
فذا كف عما كان يقدم عليه انبأ عن صحة توبته وصحة التوبة تقتضي
قبول مجته ثم نبه بما يعاني فيه من مشاق السفر المؤدى اليه على موضع النعمة
برفاهة الإقامة وائسة الاوطان ليخنوا على من سلب هذه النعمة من ابناء السبيل
ثم اعلم بمشاهدة حرمة الذي انشأ منه دينه وبعث فيه رسوله ثم بمشاهدة دار
الهجرة التي اعز الله بها اهل طاعته واذل بنصرة نبيه محمد عليه الصلاة
والسلام اهل معصيته حتى خضع له عظماء المجبرين * وتذلل له زعماء
المكبرين * انه لم ينشر عن ذلك المكان المتقطع ولا قوى بعد الضعف البين
حتى طبق الارض شرقا وغربا الا بمحجة ظاهرة ونصر عزيز فاعتبر الهيك
الله الشكر ووفقك للتقوى انعامه عليك فيما كلفك واحسانه اليك فيما تعبدك
فقد وكلتك الى فطنتك واحلتك على بصيرتك بعد ان كنت لك رائدا صدوقا *
وناصحنا شفوفا * هل تحسن فهو ضا بشكره اذا فعلت ما امرك وتقبلت ما كلفك
كلا انه لا يوليكم نعمة توجب الشكر الا وصلها قبل شكر ما سلف بنعمة توجب
الشكر في المؤتلف وقال الحسن بن علي نعم الله أكثر من ان تشكر الا ما اعان عليه
وذنوب ابن آدم أكثر من ان تغفر الا ما عفى عنه وانشدت لمنصور بن اسمعيل
الفقيه المصري رحمه الله تعالى

* شكر الاله نعمة * موجبة لشكره *

* فكيف شكرى بره * وشكره من بره *

واذا كنت عن شكر نعمه عاجزا فكيف بك اذا قصرت فيما امرك او فرطت فيما
كلفك ونفعه اعود عليك لو فعلته هل تكون لسوانح نعمه الا كفورا * وبداية
العقول الا مزجورا * وقد قال الله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال
مجاهد اي يعرفون ما عده الله عليهم من نعمه وينكرونها بقولهم
انهم ورثوها عن آباءهم واكتسبوها بافعالهم وروى عن النبي صلى الله

عليه وسلم انه قال يقول الله يا ابن آدم ما انصفتني أتحب اليك بالنعم وتنتقم الي بالمعاصي خيري اليك نازل وشركي الي صاعد كم من ملك كريم يصعد الي منك بعمل قبيح وقال بعض صلحاء السلف قد أصبح بنا من نعم الله تعالى ما لا نحصى * مع كثرة ما نعصيه * فلاندرى ايهما نشكر * أجيل ما ينشر * ام قبيح ما يستر * فحق على من عرف موضع النعمة ان يقبلها بمثلا لما كلف منها وقبولها يكون بأدائها * ثم يشكر الله تعالى على ما انعم من اسدائها * فان بنا من الحاجة الى نعمه أكثر مما كلفنا من شكر نعمه فان نحن ادينا حق النعمة في التكليف تفضل باسداء النعمة من غير جهة التكليف فلزمت النعمتان ومن لزمت النعمتان فقد اوتي حظ الدنيا والآخرة وهذا هو السعيد بالاطلاق وان قصرنا في أداء ما كلفنا من شكره قصر عنا ما لا تكليف فيه من نعمه ففرت النعمتان ومن نفرت عنه النعمتان فقد سلب حظ الدنيا والآخرة فلم يكن له في الحياة حظ ولا في الموت راحة وهذا هو الشقي بالاستحقاق وليس يختار الشقوة على السعادة ذواب صحيح ولا عقل سليم وقد قال الله تعالى ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به وروى الاعمش عن سليم قال قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه يا رسول الله ما اشد هذه الآية من يعمل سوءا يجز به فقال يا ابا بكر ان المصيبة في الدنيا جزاء واختلف المفسرون في تأويل قوله تعالى سنعذبهم مرتين فقال بعضهم احد العذابين الفضيحة في الدنيا والثاني عذاب القبر وقال عبد الرحمن بن يزيد احد العذابين مصائبهم في الدنيا في اموالهم واولادهم والثاني عذاب الآخرة في النار وليس وان نال اهل المعاصي لذة من عيش او ادركوا امنية من دنيا كانت عليهم نعمة بل قد يكون ذلك استدراجا ونقمة وروى ابن لهيعة عن عقبة بن مسلم بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله تعالى يعطى العباد ما يشاؤون على معاصيهم اياه فلما ذلك استدراج منه لهم ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بفتة فاذا هم مبلسون فلما المحرمات التي يمنع الشرع منها واستقر التكليف عقلا او شرعا بالذهي عنها فتقسم قسمين منها ما تكون النفوس داعية اليها والشهوات باعثة عليها كالسفاح وشرب الخمر فقد زجر الله عنها

لقوة الباعث عليها وشدة الميل اليها بنوعين من الزجر احدهما حد عاجل يرتدع به الجريء والثاني وعيد آجل يزدجر به التقى ومنها ما تكون النفوس نافرة منها والشهوات مصروفة عنها كاكل الحباث والمستقذرات وشرب السموم الملتفات فاقصر الله في الزجر عنها بالوعيد وحده دون الحد لان النفوس مسعدة في الزجر عنها ومصروفة عن ركوب المحظور منها ثم اكد الله زواجره بانكار المنكرين لها فاجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليكون الامر بالمعروف تأكيداً لاوامره والنهي عن المنكر تأييداً لزواجره لان النفوس الاشارة قد الهتها الضبوة عن اتباع الاوامر * واذهلتها الشهوة عن تذكر الزواجر * وكان انكار المجانسين ازجر لها وتوبيخ المخاطبين ابلغ فيها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ما اقر قوم المنكرين اظهرهم الا عظم الله بعذاب محتضر واذا كان ذلك فلا يخلو حال فاعلى المنكر من احد الامرين احدهما ان يكونوا آحاداً متفرقين * وافراداً متبدين * لم يمحزوا فيه ولم يتظافروا عليه وهم رعية مقهورون * واشداً مستضعفون * فلا خلاف بين الناس ان امرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع المكنة وظهور القدرة واجب على من شاهد ذلك من فاعليه * او سمعه من قائله * وانما اختلفوا في وجوب ذلك على منكريه هل وجب عليهم بالعقل او بالشرع فذهب بعض المتكلمين الى وجوب ذلك بالعقل لانه لما وجب بالعقل وجب ان يمتنع من القبيح ووجب ايضا بالعقل ان يمتنع غيره منه لان ذلك ادعى الى مجانبته * وابلغ في مفارقتة * وقد روى عبدالله بن المبارك رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوما ركبو اسفينة فاقسموا فاخذ كل واحد منهم موضعاً فنقر رجل منهم موضعاً بفأس فقالوا ما تصنع فقال هو مكانى اضع فيه ما شئت فلم يأخذوا على يديه فهلكوا وهلكوا وذهب آخرون الى وجوب ذلك بالشرع دون العقل لان العقل لو اوجب النهي عن المنكر ومنع غيره من القبيح لوجب مثله على الله تعالى ولما جاز ورود الشرع باقرار اهل الذمة على الكفر وترك النكير عليهم لان واجبات العقول لا يجوز ابطالها بالشرع وفي ورود الشرع بذلك دليل على ان العقل غير موجب لانكاره فاما اذا كان في ترك انكاره مضرة لاحقة بمنكره

وجب انكاره بالعقل على القولين معا واما ان لحق النكر مضرة من انكاره ولم تلحقه من كفه واقارره لم يجب عليه الانكار بالعقل ولا بالشرع اما العقل فلائته يمنع من اجتلاب المضار التي لا يوازيها نفع واما الشرع فقد روى ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انكر المنكر بيدك فان لم تستطع فبلسانك فان لم تستطع فبقلبك وذلك اضعف الايمان فان اراد الاقدام على الانكار مع حقوق المضرة به نظر فان لم يكن اظهار التكبر مما يتعلق باعزاز دين الله ولا اظهار كلمة الحق لم يجب عليه التكبر اذا خشى بغالب الظن تلفا او ضررا ولم يخش منه التكبر ايضا وان كان في اظهار التكبر اعزاز دين الله تعالى واظهار كلمة الحق حسن منه التكبر مع خشية الاضرار والتلف وان لم يجب عليه اذا كان الغرض قد يحصل له بالتكبر وان انتصر او قتل وعلى هذا الوجه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من افضل الاعمال كلمة حق عند سلطان جائر فاما اذا كان يقتل قبل حصول الغرض فيجب في العقل ان يتعرض لانكاره وكذلك لو كان الانكار يزيد المنهى اغراء بفعل المنكر ولجأ في الاكثار منه فوجب في العقل انكاره ❖ والحال الثانية ❖ ان يكون فعل المنكر من جملة قد تظافروا عليه وعصبة قد تحزبت ودعت اليه وقد اختلف الناس في وجوب انكاره على مذاهب شتى فقالت طائفة من اصحاب الحديث واهل الآثار لا يجب انكاره والاولى بالانسان ان يكون كافا ممسكا وملازما لبيته وادعا غير منكر ولا مستغفر وقالت طائفة اخرى ممن يقول بظهور المنتظر لا يجب انكاره ولا التعرض لازالته الا ان يظهر المضتر فتولى انكاره بنفسه ويكونوا اعوانه وقالت طائفة اخرى منهم الاصم لا يجوز للناس انكاره الا ان يجتمعوا على امام عدل فيجب عليهم الانكار معه وقال جمهور المتكلمين انكار ذلك واجب والدفع عنه لازم على شروطه في وجود اعوان يصلحون له فاما مع فقد الاعوان فعلى الانسان الكف لان الواحد قد يقتل قبل بلوغ الغرض وذلك قبيح في العقل ان يتعرض له فهذا ما اكد الله تعالى به او امره وايدبه زواجه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يختلف من احوال الامرين به و الناهين عنه ثم ليس يخلو حال الناس فيما امروا به ونهوا عنه من فعل الطاعات واجتناب المعاصي من اربعة احوال

فمنهم من يستجيب الى فعل الطاعات ويكف عن ارتكاب المعاصي وهذا اكل احوال اهل الدين و افضل صفات المتقين فهذا يستحق جزاء العاملين و ثواب المطيعين روى محمد بن عبد الملك المدائني عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذنب لا يذنى و البر لا يبلى و الدين لا يموت فكن كما شئت و كما تدين تدان و قد قيل كل يحصد ما يزرع * و يجرى بما يصنع * بل قالوا زرع يومك حصاد غدك و منهم من يمتنع من فعل الطاعات و يقدم على ارتكاب المعاصي و هى اثبات احوال المكلفين فهذا يستحق عذاب اللاهى عن فعل ما امر به من طاعته و عذاب المجترى على ما اقدم عليه من معاصيه و قد قال ابن شبرمة عجبت لمن يحتمى من الطيباب مخافة الداء كيف لا يحتمى من المعاصي مخافة النار فاخذ ذلك بعض الشعراء فقال

* جسيمك قد افنيت بالحمى * دهرًا من البارد و اخار *
* و كان اولى بك ان يحتمى * من المعاصي حذر النار *

و قال ابن صباوة انا نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة الله تعالى اهن من الصبر على عذاب الله تعالى و قال آخر اصبروا عباد الله على عمل لا غنى بكم عن ثوابه * و اصبروا عن عمل لا صبر لكم على عقابه * و قيل للفضيل بن عياض رضى الله عنه رضى الله عنك فقال كيف يرضى عنى و لم ارضه و منهم من يستجيب الى فعل الطاعات و يقدم على ارتكاب المعاصي فهذا يستحق عذاب المجترى لانه تورط بغلبة الشهوة على الاقدام على المعصية و ان سلم من التقصير فى فعل الطاعة و قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اقلعوا عن المعاصي قيل ان يأخذكم الله هنا بتا الهت الكسر و البت القطع و لذلك قال بعض العلماء افضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه * و لم تترك الشبهة يقينه * و قال حماد بن زيد عجبت لمن يحتمى من الاطعمة لمضراتها * كيف لا يحتمى من الذنوب لمعراتها * و قال بعض الصالحاء اهل الذنوب * مرضى القلوب * و قيل للفضيل بن عياض رحمه الله ما اعجب الاشياء فقال قلب عرف الله عز و جل ثم عصاه و قال بعض الالباء يدل بالطاعة العاصى و ينسى عظيم المعاصى و قال رجل لابن عباس رضى الله عنه ايما احب اليك رجل قليل الذنوب قليل العمل او رجل كثير

الذنوب كثير العمل فقال ابن عباس رضي الله عنه لا اعدل بالسلامة شيئا
وقيل لبعض الزهاد ما تقول في صلاة الليل فقال خف الله بالنهار ونم بالليل
وسمع بعض الزهاد رجلا يقول لقوم اهلككم النوم فقال بل اهلككم اليقظة
وقيل لابي هريرة رضي الله عنه ما التقوى فقال اجزت في ارض فيها شوك
فقال نعم فقال كيف كنت تصنع فقال كنت اتوقى قال فتوق الخطايا وقال
عبد الله بن المبارك

* أضمن لي فتي ترك المعاصي * وارهنه الكفالة بالخلاص
* اطاع الله قوم واستراحوا * ولم يتجرعوا غصص المعاصي
و منهم من يمتنع من فعل الطاعات ويكف عن ارتكاب المعاصي فهذا يستحق
عذاب الالهى عن دينه المذنب بقله يقينه وروى ابو ادريس الخولاني عن ابي
ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانت صحف
موسى على نبينا وعليه السلام كلها عبدا عجبت لمن ايقن بالنار ثم يضحك
وعجبت لمن ايقن بالقدر ثم يتعب وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم
ثم يطمئن اليها وعجبت لمن ايقن بالموت ثم يفرح وعجبت لمن ايقن بالحساب
غدا ثم لا يعمل وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اجتهدوا في العمل
فان قصر بكم ضعف فكفوا عن المعاصي وهذا واضح المعنى لان
الكف عن المعاصي ترك وهو اسهل * وعمل الطاعات فعل وهو اثقل *
ولذلك لم يبح الله تعالى ارتكاب المعصية بعذر ولا بغير عذر لانه ترك وترك
لا يجزى المذنب عنه واما اباح ترك الاعمال بالاعذار لان العمل قد يعجز المذنب
عنه وقال بكر بن عبد الله رحم الله امرءا كان قويا فاعل قوته في طاعة الله تعالى
او كان ضعيفا فكف عن معصية الله تعالى وقال عبد الاعلى بن عبد الله الشامي
رحم الله تعالى

* العمر ينقص و الذنوب تزيد * وتقال عثرات الفتي فيعود
* هل يستطيع بجود ذنب واحد * رجل جوارحه عليه شهود
* والمرء يسأل عن سنه فيستهي * تقلبها وعن الممات يحيد
واعلم ان لاعمال الطاعات ومجانبة المعاصي آيتين احدهما تكسب الوزر والاخرى

توهن الاجر فاما المكسبة للوزر فاعجاب بما سلف من عمله وقدم من طاعته لان
 الاعجاب به يفضي الى حالتين مذومتين احدهما ان المحب بعمله يمتن به والممتن
 على الله تعالى جاحد لعمه قال ابن عباس رضي الله عنهما اوحى الله تعالى الى نبي من
 انبيائه اما زهدك في الدنيا فقد استجلبت به الراحة واما ان تطاعك الى فهو عز لك
 فهذان لك وبقيت انا و الثانية ان المحب بعمله مدل به والمدل بعمله مجترى
 والمجترى على الله عاص وقال مورق العجلي خير من العجب بالطاعة ان لا يأتي
 بطاعة وقال بعض السلف ضاحك معترف بذنبه خير من باك مدد على ربه وباك
 نادم على ذنبه خير من ضاحك معترف بلهوه و اما الموهنة للاجر فالثقة بما
 اسلف والركون الى قدم لان الثقة تؤول الى امرين شينين احدهما يحدث
 اتكالا على ما مضى وتقصيرا فيما يستقبل ومن قصر و استكمل لم يرج اجرا ولم يؤد
 شكرا و الثاني ان الواثق آمن والامن من الله تعالى غير خائف ومن لم يخف الله
 تعالى هانت عليه او امره وسهلت عليه زواجه وقال الفضيل بن عياض رهبة
 المرء من الله تعالى على قدر علمه بالله تعالى وقال مورق العجلي لان ايت نائما
 واصبح نادما احب الى من ان ايت قائما واصبح ناعما وقال الحكماء ما بينك
 وبين ان لا يكون فيك خير الا ان ترى ان فيك خيرا وقيل لاربعة العدوية رحمة
 الله هل عملت عملا قط ترين انه يقبل منك قالت ان كان شيء فخوفى ان يرد على
 عملي وقال ابن السماك رحمة الله عليه انا لله فيما مضى ما اعظم فيه الخطر * واما
 الله فيما بقي ما اقل منه الحذر * وحكى ان بعض الزهاد وقف على جمع فنادى
 باعلى صوته يا معشر الاغنياء لكم اقول استكثر وامن الحسنات فان ذنوبكم كثيرة
 ويا معشر الفقراء لكم اقول اقلوا من الذنوب فان حسناتكم قليلة فينبغي احسن
 الله اليك بالتوفيق ان لا تضع صحة جسمك وفراغ وقتك بالتقصير في طاعة
 ربك والثقة بالسالف عملا فاجعل الاجتهاد غنيمة صحتك والعمل فرصة فراغك
 فليس كل ازمان مستسعد ولا ما فات مستدرك وللغراغ زبغ اوئدم وللخولة ميل
 او اسف وقال عمر بن الخطاب الراحة للرجال غفلة وللنساء غفلة وقال
 يزرجه ان يكن الشغل مجهدا فالغراغ مفسدة وقال بعض الحكماء اياكم
 والخلوات فانها تفسد العتول وتعقد المحلول وقال بعض البلغاء لا تمنح

يومك في غير منفعة ولا تضع مالك في غير صنعة فالعمر اقصر من ان ينفد في غير المنافع * والمال اقل من ان يصرف في غير الصنائع * والعاقل اجل من ان يفتي ايامه فيما لا يعود عليه نفع، وخيره * وينفق امواله فيما لا يحصل له ثوابه واجره * وابلغ من ذلك قول عيسى بن مريم على نبينا وعليه السلام البر ثلاثة المنطق والنظر والصمت فمن كان منطقتا في غير ذكر فقد لنا ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها ومن كان صمته في غير فكر فقد لها واعلم ان للانسان فيما كلف من عباداته ثلاث احوال احداها ان يستوفيها من غير تقصير فيها ولا زيادة عليها والثانية ان يقصر فيها والثالثة ان يزيد عليها فاما الحال الاولى فهي ان يأتي بها على حال الكمال من غير زيادة فيها ولا زيادة تطوع على راتبها فهي اوسط الاحوال واعدها لانه لم يكن منه تقصير فيذم ولا تكثير فيجوز وقد روى سعيد بن ابي سعيد رضي الله عنه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سددوا وقاربوا ويسروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة وقال الشاعر

* عليك باوساط الامور فانها * نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا *
واما الحال الثانية وهو ان يقصر فيها فلا يخلو حال تقصيره من اربعة احوال احدها ان يكون لعذر يحجزه عنه او مرض اضعفه عن اداء ما كلف به فهذا يخرج عن حكم المقصرين ويلحق باحوال العاملين لاستقرار الشرع على سقوط ما دخل تحت العجز وقد جاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من عامل كان يعمل عملا فيقطع عنه مرض الا وكل الله تعالى به من يكتب له ثواب عمله والحال الثانية ان يكون تقصيره فيه اغترارا بالسامحة فيه ورجاء العفو عنه فهذا مخدوع العقل مغرور بالجهل فقد جعل الظن ذخرا والرجاء عدة فهو كمن قطع سفرا بغير زاد ظنا بانه سيجده في المفاوز الجذبة فيفضي به الظن الى الهلكة وهلا كان الحذر اغلب عليه وقد ندب الله تعالى اليه وحكى ان اسراييل بن محمد القاضي قال لقيني مجنون كان في الخرابات فقال يا اسراييل خف الله خوفا يشغلك عن الرجاء فان الرجاء يشغلك عن الخوف وفر الى الله ولا تفر منه وقبل لمحمد بن واسع رحمه الله ألا تبكي فقال تلك حلبة الآمنين

وحكى ان ابا حازم الاعرج اخبر سليمان بن عبد الملك بوعيد الله للمذنبين فقال
سليمان اين رحمة الله قال قريب من المحسنين وقال عبد الله بن عباس رضى الله
عنهما ما انتفعت ولا اتعظت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل كتاب
كتبه الى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اما بعد فان الانسان ليس له درك
ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فلا تكن بما نلت من دنياك
فرحا * ولا لما فاتك منها ترجى * ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل * ويؤخر
التوبة بطول الامل * فكأن قد والسلام وقال محمود الوراق رحمه الله
* اخاف على المحسن المتقى * وارجو لذى الهفوات المسى *
* فذلك خوفي على محسن * فكيف على الظنالم المعتدى *
* على ان ذا الزيف قد يستفيق * ويستأنف الزيف قلب المتقى *
والحال الثالثة ان يكون تقصيره فيه ليستوفى ما اخل به من بعد فيبدأ بالسبئية في
التقصير قبل الحسنة في الاستيقاء اغترارا بالامل في امهاله * ورجاء لتلافى ما
اسلف من تقصيره واخلاله * فلا ينتهى به الامل الى غايه * ولا يفضى به الى
نهايه * لان الامل هو فى ثانى حال * كهو فى اول حال * فقد روى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من يؤمل ان يعيش غدا * فانه يؤمل ان يعيش ابدا *
ولعمري ان هذا صحيح لان لكل يوم غد فاذا يفضى به الامل الى الفوت من
غير درك ويؤديه ازجاء الى الاهمال من غير تلافى فيصير الامل خيبة والرجاء
اياسا وقد روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اول صلاح هذه الامة بالزهد واليقين وفسادها بالبخل والامل وقال
الحسن البصرى رحمه الله ما اطال عبد الامل * الا اساء العمل * وقال رجل
لبعض الزهاد بالبصرة ألك حاجة ببغداد قال ما احب ان ابسط املى الى ان
تذهب الى بغداد وتجيء وقال بعض الحكماء الجاهل يعتمد على امله * والعقل
يعتمد على عمله * وقال بعض البلغاء الامل كالسراب غر من رآه * وخاب من
رجاه * وقال محمد بن يزدان دخلت على المأمون وكنت يومئذ وزيره فرأيت قائما
وبه رقة فقال يا محمد أقرأت ما فيها فقلت هي في يد امير المؤمنين فرمى بها
الى فاذا فيها مكتوب

* الك في دار لها مدة * يقبل فيها عمل العالم *

* أما ترى الموت محيطا بها * يقطع فيها امل الآمل *

* تعجل بالذنب لما تشتهي * وتأمل التوبة من قابل *

* والموت يأتي بعد ذابقة * ماذك فعل الحازم العاقل *

فلما قرأتها قال المأمون رحمه الله تعالى هذا من احكم شعر قرأته وقال ابو حازم الاعرج نحن لا نريد ان نموت حتى نتوب ونحسن لا نتوب حتى نموت وقال بعض البلغاء زائد الاهمال * رائد الامهال * والحال الرابعة ان يكون تقصيره فيه استغالا للاستيقاء وزهدا في التمام واقتصارا على ما سنع وقلة اكثراث فيما بقي فهذا على ثلاثة اضرب * احدها * ان يكون ما اخل به وقصيره فيه غير قادح في فرض ولا مانع من عبادة كمن اقتصر في العبادة على فعل واجباتها وعمل مفترضاتها و اخل بمسئلاتها وهياتها فهذا مسمى فيما ترك اساءة من لا يستحق وعيدا ولا يستوجب عتابا لان اداء الواجب يسقط عنه العقاب * واخلاله بالمسئون يمنع من اكمال الثواب * وقد قال بعض الحكماء من تهاون بالدين هان * ومن غالب الحق لان * وقال الشاعر

* ويصون توبته ويترك غير ذلك لا يصونه *

* واحق ما صان الفتي * ورعا امانته ودينه *

* والضرب الثاني * ان يكون ما اخل به من مفروض عبادته لكن لا يقدح ترك ما بقي فيما مضى كمن اكل عبادات و اخل بغيرها فهذا اسوأ حالا ممن تقدمه لما استحق من الوعيد واستوجبه من العتاب * والضرب الثالث * ان يكون ما اخل به من مفروض عبادته وهو قادح فيما عمل منها كالعبادة التي يرتبط بعضها ببعض فيكون المقصر في بعضها تاركا لجمعها فلا يحتسب له ما عمل لاخلاله بما بقي فهذا اسوأ احوال المقصرين وحاله لاحقة باحوال التاركين بل قد تكلف ما لا يسقط فرضا ولا يؤدي حقا فقد ساوى التاركين في استحقاق الوعيد وزاد عليهم في تكلف ما لا يفيد فصار من الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم لفظه لا يفتن لشانه * ولا يشعر بخسرانه * وقد خسر الدنيا والآخرة و يفتن لليسير من ماله ان وهى و اخل وانشدني بعض اهل العلم

* أبني أن من الرجال بهيمة * في صورة الرجل السميع البصير *
 * فطن بكل مصيبة في ماله * واذا يصاب بدينه لم يشعر *
 * واما الحال الثالثة * وهوان يزيد فيما كلف فهذا على ثلاثة أقسام احدها
 ان تكون الزيادة رياء للناظرين وتصنعاً للمخدوقين حتى يستعطف به القلوب
 النافرة ويخدع به العقول الواهية فيتبهرج بالصالحاء وليس منهم ويتدلس في
 الاخبار وهو ضدهم وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرائي بعلمه
 مثلاً فقال المنشيء بما لا يملك كلابس ثوب زور يريد بالتشيع بما لا يملك المترين
 بما ليس فيه وقوله كلابس ثوب زور وهو الذي يلبس ثياب الصلحاء فهو
 بريئه محروم الاجر مذموم الذكر لانه لم يقصد وجه الله تعالى فيؤجر عليه ولا يخفى
 رياؤه على الناس فيحمد به قال الله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً
 صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً قال جميع اهل التأويل معنى قوله ولا يشرك
 بعبادة ربه احداً اي لا يرائي بعمله احداً فجعل الرياء شركاً لانه جعل ما يقصده
 وجه الله تعالى مقصوداً به غير الله تعالى وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى
 في قوله تعالى ولا تبهر بصلاتك ولا تخافت بها قال لا تبهر بها رياء *
 ولا تخافت بها حياء * وكان سفيان بن عيينة رحمه الله يتأول قوله
 تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء
 والمنكر والبغى ان العدل استواء السريرة والعلانية في العمل لله تعالى
 والاحسان ان تكون سريرته احسن من علانيته والفحشاء والمنكر ان تكون
 علانيته احسن من سريرته وكان غيره يقول العدل شهادة ان لا اله الا الله
 والاحسان الصبر على امره ونهيه وطاعة الله في سره وجهه وابتاء
 ذى القربى صلة الارحام وينهى عن الفحشاء يعني الزنا والمنكر القبايح والبغى
 الكبر والظلم وليس يخرج الرياء بالاعمال من هذا التأويل ايضاً لانه من جملة
 القبايح وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أخوف ما أخاف على
 امتي الرياء الظاهر والشهوة الخفية وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
 انه قال اشد الناس عذاباً يوم القيامة من يرى ان فيه خيراً ولا خير فيه وقال
 علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لا تعمل شيئاً من الخير رياء ولا تركه

حياء و قال بعض العلماء كل حسنة لم يرد بها وجه الله تعالى فعلتها قبح الرياء *
 وثمرتها سوء الجزاء وقد يفضي الرياء بصاحبه الى استهزاء الناس به كما حكى ان
 طاهر بن الحسين قال لابي عبد الله المروزي منذ كم صرت الى العراق يا ابا عبد الله
 قال دخلت العراق منذ عشرين سنة وانا منذ ثلاثين سنة صائم فقال يا ابا عبد الله
 سألتك عن مسألة فاجبت عن مسألتين و حكى الاصمعي رحمه الله ان اعرابيا صلى
 فاطال و الى جانبه قوم فقالوا ما احسن صلاتك فقال وانا مع ذلك صائم
 * صلى فأعجبني وصام فرايتني * نحي القلوص من المصلي الصائم *
 فانظر الى هذا الرياء مع قبحه ما ادله على سخف عقل صاحبه وربما ساعد الناس
 مع ظهور ريائه على الاستهزاء بنفسه كالذي حكى ان زاهدا نظر الى رجل في وجهه
 سجادة كبيرة واقفا على باب السلطان فقال مثل هذا الدرهم بين عينيك و انت
 واقف ههنا فقال انه ضرب على غير السكة وهذا من اجوبة الخلاعة التي يدفع
 بها تهجين المذمة و لقد استحسن الناس من الاشعث بن قيس قوله و قد خفف
 صلاته مرة فقال بعض اهل المسجد خففت صلاتك جدا فقال انه لم يخالطها
 رياء فتخلص من تقيصهم بنى الرياء عن نفسه و رفع التصنع في صلاته و قد كان
 الانكار لولا ذلك متوجها عليه واللوم لاحتماله و مر ابو امامة ببعض المساجد
 فاذا رجل يصلي وهو يبكي فقال له انت انت لو كان هذا في بيتك فلم يرد ذلك
 منه حسنا لانه اتهجه بالرياء و لعله كان بريثا منه فكيف بمن صار الرياء اغلب
 صفاته * واشهر سماته * مع انه آثم فيما عمل * انم من هبوب النسيم بما حل *
 ولذلك قال عبد الله بن المبارك افضل الزهد اخفاء الزهد وربما احس ذو الفضل
 من نفسه ميلا الى المرائاة فبعثه الفضل على هتك ما نازعته النفس من المرائاة
 فكان ذلك ابلغ في فضله كالذي حكى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه
 احس على المنبر بريح خرجت منه فقال ايها الناس اني قد مثلت بين ان اخافكم
 في الله تعالى وبين ان اخاف الله فيكم فكان ان اخاف الله فيكم احب الى ألا واني
 قد فسوت وها انا نازل اعيد الوضوء فكان ذلك منه زجرا لنفسه لتكف
 عن نزاعها الى مثله وقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظي عظمي
 فقال لا ارضى نفسي لك واعظا لاني اجلس بين الغني والفقير فاميل على الفقير

واوسع للغنى ولان طاعة الله تعالى في العمل لوجهه لا لغيره وحكى ان قوما ارادوا
سفرا فخذوا عن الطريق فانتهوا الى راهب فقالوا قد ضللتنا فكيف الطريق
فقال ههنا واوماً بيده الى السماء ﴿ والتسم الثالث ﴾ ان يفعل الزيادة ابتداء
بغيره وهذا قد ثمره مجالسة الاختيار الافاضل * وتحديثه مكثرة الاتقياء الامائل *
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من
يخالل فاذا كثرتهم المجالس * وطاولهم المؤانس * احب ان يقتدى بهم في
افعالهم * ويتأسى بهم في اعمالهم * ولا يرضى لنفسه ان يقصر عنهم ولا ان يكون
في الخير دونهم فتبعته المنافسة على مساواتهم وربما دعتهم الى الزيادة عليهم
والمكثرة لهم فيصبروا سبيل السعادات * وبعثوا على استزادته * والعرب
تقول لولا اللوام * هلك الانام * اى لولا ان الناس يرى بعضهم بعضا فيقتدى
بهم في الخير لهلكوا ولذلك قال بعض البلغاء من خير الاختيار * صحبة الاختيار *
ومن شر الاختيار مودة الاشرار * وهذا صحيح لان للمصاحبة تأثيرا في
اكتساب الاخلاق فتصلح اخلاق المرء بمصاحبة اهل الصلاح وتفسد بمصاحبة
اهل الفساد ولذلك قال الشاعر

* رأيت صلاح المرء يصلح اهله * وبعديهم عند الفساد اذا فسد *
* يعظم في الدنيا بفضل صلاحه * ويحفظ بعد الموت في الاهل والولد *
وانشدني بعض اهل الادب لابي بكر الخوارزمي

* لا تصحب الكسلان في حالته * كم صالح بفساد آخر يفسد *
* عدوى البليد الى البليد سريعة * والجر يوضح في الرماد فيجمد *
﴿ والقسم الثالث ﴾ ان يفعل الزيادة ابتداء من نفسه التماسا لثوابها ورغبة
في الزلفة بها فهذا من نتائج النفس الزاكية * ودواعي الرغبة الوافية * الدالين
على خلوص الدين * وصحة اليقين * وذلك افضل احوال العاملين *
واعلى منازل العابدين * وقد قيل الناس في الخير اربعة منهم من يفعله ابتداء *
ومنهم من يفعله اقتداء * ومنهم من يتركه استحسانا * ومنهم من يتركه
حرمانا * فمن فعله ابتداء فهو كريم * ومن فعله اقتداء فهو حكيم *
ومن تركه استحسانا فهو ردى * ومن تركه حرمانا فهو شقي * ثم لما

يفعله من الزيادة حالتان ❖ احدهما ❖ ان يكون مقصدا فيها وقادرا على الدوام عليها فهي افضل الحالتين * واعلى المزلتين * عليها انقضى اخيار السلف * وتبعهم فيها فضلاء الخلف * وقد روت عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس اعملوا من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل وخير الاعمال ما ديم عليه والعرب تقول القصد والدوام وانت السابق الجواد ولان من كان صحيح الرغبة في ثواب الله تعالى لم يكن له مسرة الا في طاعته وقال عبد الله بن المبارك قلت لراهب متى عيدكم قال كل يوم لا اعصى الله فيه فهو يوم عيد انظر الى هذا القول منه وان لم يكن من مقاصد الطاعة ما ابلغه في حب الطاعة * واحده على بذل الاستطاعة * وخرج بعض الزهاد في يوم عيد في هيئة رثة فقيل لم تخرج في مثل هذا اليوم في مثل هذه الهيئة والناس مرتينون فقال ما يترين لله تعالى بمثل طاعته ❖ والحالة الثانية ❖ ان يستكثر منها استكثار من لا ينهض بدوامها ولا يقدر على اتصالها فهذا ربما كان بالمقصير اشبه لان الاستكثار من الزيادة اما ان يمنع من اداء اللازم فلا يكون الا تقصيرا لانه تطوع بزيادة احدثت نقصا وبقتل منع فرضا واما ان يعجز عن استدامة الزيادة ويمنع من ملازمة الاستكثار من غير اخلال بلازم ولا تقصير في فرض فهي اذا قصيرة المدى قليلة الالبث ولقليل العمل في طويل الزمان افضل عند الله عز وجل من كثير العمل في قصير الزمان لان المستكثر من العمل في الزمان القصير قد يعمل زمانا ويترك زمانا وربما صار في زمان تركه لاهيا او ساهيا والمقلل في الزمان الطويل مستيقظ الافكار * مستديم التذكار * وقد روى ابو صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الاسلام شرة وللشرة فترة فمن سدد وقارب فارجوه * ومن اشير اليه بالاصابع فلا تعدوه * فجعل الاسلام شرة وهي ان يفال في الاكثار * وجعل للشرة فترة وهي الاهمال بعد الاستكثار * فلم يخل بما اثبت من ان تكون هذه الزيادة تقصيرا او اخلالا ولا خير في واحد منهما ❖ واعلم ❖ جعل الله العلم حاكما لك وعليك * والحق قائدا لك واليك * ان الدنيا اذا وصلت

قُبُوعَات مَوْبِقَةٍ * وَاِذَا فَارَقْتَ فُجُوعَات مَحْرَقَةٍ * وَلَيْسَ لَوْصَلَهَا دَوَامٌ
 وَلَا مِنْ فِرَاقِهَا بَدْفُضِ نَفْسِكَ عَلَى قَطِيعَتِهَا تَسْلَمُ مِنْ تَبْعَاتِهَا * وَعَلَى فِرَاقِهَا
 لَتَأْمَنُ فُجُوعَاتِهَا * فَقَدْ قِيلَ الْمَرْءُ مَقْتَرُضٌ * مِنْ عَمْرِهِ الْمَقْتَرُضُ * مَعَ أَنْ الْعَمْرُ وَإِنْ طَالَ
 قَصِيرٌ * وَالْفِرَاقُ وَإِنْ تَمَّ يَسِيرٌ * وَانْشَدَتْ لِعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ رَجَاهُ اللَّهُ تَعَالَى
 * إِذَا كَمَلْتَ لِلْمَرْءِ سِتُونَ حِجَّةً * فَلَمْ يَحْظَ مِنْ سِتِينَ الْإِبْسَدِ سَهْمًا *
 * أَلَمْ تَرَ أَنَّ النِّصْفَ بِاللَّيْلِ حَاصِلٌ * وَتَذْهَبُ أَوْقَاتُ الْمَقِيلِ بِحُمْسِهَا *
 * فَتَأْخُذُ أَوْقَاتُ الزَّحْمِ بِحِصَّةٍ * وَأَوْقَاتُ الْوَجَاعِ تَمِيتُ بِمِسْهَا *
 * فَنَاصِلُ مَا يَبْقَى لَهُ سُدُسُ عَمْرِهِ * إِذَا صَدَّقَتْهُ النَّفْسُ عَنْ عِلْمِ حَدْسِهَا *
 وَرِيَاضَةُ نَفْسِكَ لَذَلِكَ تَتَرْتَّبُ عَلَى أَحْوَالٍ ثَلَاثٍ وَكُلُّ حَالَةٍ مِنْهَا تَنْشَعِبُ وَهِيَ
 لِتَسْهِيلِ مَا يَلِيهَا سَبَبٌ * فَالْحَالَةُ الْأُولَى * أَنْ تَصْرِفَ حُبَّ الدُّنْيَا عَنْ قَلْبِكَ فَانْهَازَهَا
 تَلْهِيكَ عَنْ آخِرَتِكَ وَلَا تَجْعَلَ سَعْيَكَ لَهَا فَتَمْتَعَكَ حِظَّكَ مِنْهَا وَتَتَوَقَّعَ الرُّكُونَ إِلَيْهَا
 وَلَا تَكُونَ آمِنًا لَهَا فَقَدْ رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ مَنْ أَشْرَبَ قَلْبُهُ
 حُبَّ الدُّنْيَا وَرَكْنَ إِلَيْهَا التَّاطُّعَ مِنْهَا بِشُغْلٍ لَا يَفْرَعُ عَنْهُ * وَأَمَلَ لَا يَبْلُغُ مَتْنَهَا *
 وَحَرَصَ لَا يَدْرِكُ مَدَاهَا * وَقَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ نَبِيُّنَا وَعَلَيْهِ السَّلَامُ الدُّنْيَا
 لِابْلِيسَ مَرْزُوعَةٌ وَاهْلُهَا لَهُ حِرَاثٌ وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ
 لَيْنٌ مَسَهَا قَاتِلٌ سَمَّهَا فَاعْرَضَ عَمَّا أَحْبَبَكَ مِنْهَا لِقَلَّةٍ مَا يَحْبِبُكَ مِنْهَا وَضَعَ عَنْكَ
 هُمُومَهَا لَمَّا أَقْبَنَتْ مِنْ فِرَاقِهَا وَكُنْ أَحْذَرُ مَا تَكُونَ لَهَا وَإِنَّ أَنْسَ مَا تَكُونَ بِهَا
 فَإِنْ صَاحَبَهَا كُلَّمَا اطْمَأَنَّ مِنْهَا إِلَى سُرُورٍ اشْتَغَصَ عَنْهَا مَكْرُوهٌ وَإِنْ سَكَنَ مِنْهَا
 إِلَى إِيْنَاسٍ أَزَالَهَا عَنْهَا إِحْشَاشٌ وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ الدُّنْيَا لَا تَصْفُو لِشَارِبٍ * وَلَا تَبْقَى
 لِصَاحِبٍ * وَلَا تَخْلُو مِنْ قَتْلٍ * وَلَا تَخْلِي مِنْ مَحْزَةٍ * فَاعْرَضَ عَنْهَا قَبْلَ
 أَنْ تَعْرِضَ عَنْكَ وَاسْتَبَدَّلَ بِهَا قَبْلَ أَنْ تَسْتَبْدَلَ بِكَ فَإِنْ نَعِمَ بِهَا يَنْتَقِلْ * وَاحْوَالُهَا
 تَتَبَدَّلُ * وَلِذَاتِهَا تَفْنَى * وَتَبْعَاتُهَا تَبْقَى * وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ انْظُرْ إِلَى الدُّنْيَا
 نَظْرَ الزَّاهِدِ الْمَفَارِقِ لَهَا وَلَا تَتَأَمَّلْهَا تَأْمَلُ الْعَاشِقِ الْوَاقِفِ بِهَا وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ
 * أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا كَأَحْلَامٍ نَأْمٌ * وَمَا خَيْرُ عَيْشٍ لَا يَكُونُ بِدَأْمٍ *
 * تَأْمَلُ إِذَا مَا نَلْتَ بِالْأَسْ لَذَّةً * فَافْتِيئِهَا هَلْ أَنْتَ إِلَّا كَالْمِ
 * فَكَمْ غَافِلٌ عَنْهُ وَلَيْسَ بِغَافِلٍ * وَكَمْ نَائِمٌ عَنْهُ وَلَيْسَ بِنَائِمٍ *

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من هوان الدنيا على الله الا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وروى سفيان ان الخضر قال لموسى عليهما السلام يا موسى اعرض عن الدنيا وابذها وراءك فانها ليست لك بدار * ولا فيها محل قرار * وانما جعلت الدنيا للعباد * ليتزودوا منها للمعاد * وقال عيسى بن مريم عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وقال على كرم الله وجهه يصف الدنيا اولها عناء * وآخرها فناء * حلالها حساب * وحرامها عقاب * من صح فيها امن ومن مرض فيها ندم ومن استغنى فيها فتن * ومن افتقر فيها حزن * ومن ساعاها فاته * ومن قعد عنها اته * ومن نظر اليها اعته * ومن نظر بها بصرته * وقال بعض البلغاء ان الدنيا تقبل اقبال الطالب * وتدبر ادبار الهارب * وتصل وصال الملول * وتفارق فراق العجول * فخبرها يسير * وعيشها قصير * واقبالها خديعة * وادبارها فجيع * ولانتهى فانيه * وتبعاتها باقية * فاغتم غفوة الزمان * وانتهر فرصة الامكان * وخذ من نفسك لنفسك وتزود من يومك لفدك وقال وهب بن منبه مثل الدنيا والآخرة مثل ضرتين ان ارضيت احدهما اسخط الاخرى وقال عبد الحميد الدنيا منازل * فراخل ونازل * وقال بعض الحكماء الدنيا اما نعمة نازله * واما نعمة زائله * وقيل في منشور الحكماء من الدنيا على الدنيا دليل وقال الشاعر

* تمتع من الايام ان كنت حازما * فانك منها بين ناه و آمر *
 * اذا اقبلت الدنيا على المرء دية * فافاته منها فليس بضائر *
 * فلن تعدل الدنيا جناح بعوضة * ولا وزن ذر من جناح لطائر *
 * فما رضى الدنيا ثوابا لمؤمن * ولا رضى الدنيا جزاء لكافر *

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا يومان يوم فرح ويوم هم وكلاهما زائل عنك فدعوا ما يزول واتعبوا نفوسكم في العمل لما لا يزول وقال عيسى بن مريم عليه السلام لا تنازعوا اهل الدنيا في دنياهم فينازعوكم في دينكم فلا دنياهم اصبتكم ولا دينكم ابقيتكم وقال علي بن ابي طالب لا تكن ممن يقول في الدنيا بقول الزاهدين * ويعمل فيها عمل الراغبين * فان اعطى

منها لم يشبع * وان منع منها لم يقنع * يعجز عن شكر ما اوتي و يتغنى الزيادة
فيمابق وينهى الناس ولا ينتهى و يأمر بما لا يأتي يحب الصالحين ولا
يعمل بعملهم ويبغض الطالحين وهو منهم و قال الحسن البصرى الدنيا
كلها غم فاكان منها من سرور فهو ربح و قال بعض العلماء ان الدنيا كثيرة
التغير * سريعة التكرير * شديدة المكر * دائمة القدر * فاقطع اسباب الهوى
عن قلبك واجعل ابعد املك بقية يومك و كن ككأنك ترى ثواب اعمالك
و قال بعض الحكماء الدنيا امام صبية موجهة * و امام نية مفجعة * و قال
الشاعر

* خل دنياك انها * يعقب الخير شرها *
* هي ام تعق من * نسلها من بيرها *
* كل نفس فانها * تبتنى ما يسرها *
* و المنايا تسوقها * و الاماني تفرها *
* فاذا استحللت الجنى * اعقب الخلو مرها *
* يستوى في ضربيه * عباد ارض و حرها *

فاذا رضى نفسك من هذه الحالة بما وصفت اعتضت منها بثلاث خلال
❖ احداهن ❖ ان تكفى اشفاق المحب و حذر الواقع فليس لمشفق ثقة ولا
لحاذر راحة ❖ و الثانية ❖ ان تأمن الاغترار بملاهيمها قسما من عادية
دواهيها فان اللاهى بها مغرور * و المغرور فيها مذعور * ❖ و الثالثة ❖
ان تستريح من تعب السعى لها و وصب الكد فيها فان من احب شيئا طلبه و من
طلب شيئا كد له و المكدود فيها شقى ان ظفر و محروم ان خاب و روى عن النبي
صلى الله عليه و سلم انه قال لكعب يا كعب الناس غاديان فغاد بنفسه فغتها *
و موبق نفسه فوثقها * و قال عيسى بن مريم عليهما السلام تعلمون للدنيا و انتم
ترزقون فيها بغير عمل ولا تعملون للآخرة و انتم لا ترزقون فيها الا بعمل و قال
بعض البلغاء من نكد الدنيا ان لا تبقى على حاله * و لا تخلو من استحاله *
تصلح جانبها بافساد جانب * و تسر صاحبها بمساءة صاحب * فالركون اليها
خطر * و الثقة بها غرر * و قال بعض الحكماء الدنيا مرجعة الهبة و الدهر

حسود لا يأتي على شيء الا غيره ولمن عاش حاجة لا تقضى ولما بلغ مردك
من الدنيا افضل ما سمت اليه نفسه نبذها وقال هذا سرور * لولا انه غرور *
ونعيم * لولا انه عديم * وملاك * لولا انه هلاك * وغناء * لولا انه فناء *
وجسيم * لولا انه ذميم * ومحمود * لولا انه مقتود * وغنى * لولا انه منى *
وارتفاع * لولا انه اذضاع * وعلاء * لولا انه بلاء * وحسن * لولا انه
حزن * وهو يوم او وثق له بعد وقال بعض الحكماء قد ملك الدنيا غير واحد *
من راغب وزاهد * فلا الراغب فيها استبقت * ولا عن الزاهد فيها كفت *
وقال ابو العتاهية

* هي الدار دار الازي والقدى * ودار الفناء ودار الفير *
* فلو نلتها بهذا فيرها * لم ولم تقض منها الوطر *
* أيا من يؤمل طول الخلو * دو طول الخلود عليه ضرر *
* اذا ما كبرت وبان الشبا * ب فلا خير في العيش بعد الكبر *
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع *
ونفس لا تشبع * وقلب لا يخشع * وعين لا تدمع * هل يتوقع احدكم الا غنى
مطغيا * او قتر انسيا * او مرضا مفسدا * او هراما متبدا * والسدجال
فهو شر غائب ينظر * او الساعة والساعة ادهى وامر * وحكى ان الله تعالى
اوحى الى عيسى بن مريم عليه السلام ان هب لي من قلبك الخشوع * ومن بدك
الخشوع * ومن عينك الدموع * فاني قريب * وقال عيسى بن مريم عليه السلام اوحى
الله الى الدنيا من خدمني فاخدميه * ومن خدمك فاستخدميه * وقال بعض البلغاء
زد من طول املك * في قصير عمك * فان الدنيا ظل الغمام * وحلم النيام * فمن عرفها
ثم طلبها فقد اخطأ الطريق * وحرم التوفيق * وقال بعض الحكماء لا يؤمنك
اقبال الدنيا عليك من ادبارها عنك * ولا من دولة لك من ادالة منك * وقال
آخر ما مضى من الدنيا كما لم يكن وما بقي منها كما قد مضى وقيل زاهد قد خلعت
الدنيا فكيف نسخت نفسك عنها فقال ليقتت اني اخرج منها كارهها فرأيت ان
اخرج منها طائعا وقيل لحرقه بنت النعمان مالك تبكين فقالت رأيت لاهلي
غضارة ولمن تمتلي دار فرجا * الا امتلأت ترحا * وقال ابن السماك من

جرعته الدنيا حلاوتها بجملة اليها جرعتهم الآخرة مرارتها لتجافيه عنها وقال صاحب كفاية ودمنة طالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا وكان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الايات

* نهارك يا مغرور سهو وغفلة * و ليلك نوم والاسى لك لازم *
 * تسر بما يقنى وتفرح بالنى * كما سر بالذات فى النوم حالم *
 * وشفلك فيما سوف تكره غبه * كذلك فى الدنيا تغشى البهائم *
 وسمع رجل رجلا يقول لصاحبه لا اراك الله مكروها فقال كالك دعوت على صاحبك بالموت ان صاحبك ما صاحب الدنيا فلا بد ان يرى مكروها وقال ابو العنابية

* ان الزمان ولولين لاهله لمخاشن *
 * خطواته التحركا * ت كأنهن سواكن *

❦ والحال الثانية ❦ من احوال رياضتك لها ان تصدق نفسك فيما مفتحك من رغائبها * و انالك من غرائبها * فعلم ان العطية فيها مرتجعة والمنحة فيها مستردة بعد ان تبقى عليك ما احتشمت من اوزار وصولها اليك وخسران خروجها عنك فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تزول قدما ابن آدم حتى يسأل عن ثلاث شبابه فيما ابلاه وعمره فيما افناه وماله من اين اكتسبه وفيه انفقته وروى عن عيسى بن مريم عليه السلام انه قال فى المال ثلاث خصال قالوا وما هن يا روح الله قال يكسبه من غير حله قالوا فان كسبه من حله قال يضعه فى غير حقه قالوا فان وضعه فى حقه قال يشغله عن عبادة ربه ودخل ابو حازم على بشر بن مروان فقال يا ابا حازم ما المخرج مما نحن فيه قال تنظر ما عندك فلا تضعه الا فى حقه وما ليس عندك فلا تأخذه الا بحقه قال ومن يطيق هذا يا ابا حازم قال من اجل ذلك ملئت جهنم من الجنة والناس اجمعين وعيرت اليهود عيسى بن مريم عليه السلام بالفقر فقال من الفنى دهيتهم ودخل قوم منزل عابد فلم يجدوا شيئا يفتقدون عليه فقال لو كانت الدنيا دار مقام لاتخذنا لها اثنا وقيل لبعض الزهاد ألا توصى قال بماذا اوصى والله ما لنا شيء ولا لنا عند احد شيء ولا لاحد عندنا شيء انظر الى هذه الراحة كيف تجلبها و الى السلامة كيف

صار اليها ولذلك قيل الفقر ملك ليس فيه محاسبة وقيل لعيسى بن مريم عليها السلام ألا تزوج فقال إنما نحب التكاثر في دار البقاء وقيل لو دعوت الله تعالى أن يرزقك حمارا فقال أنا أكرم على الله من أن يجعلني خادما لحمار وقيل لأبي حازم رضي الله عنه ما مالك قال شيئان الرضى عن الله والغنى عن الناس وقيل له أنك لمسكين فقال كيف أكون مسكينا ومولاي له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى وقال بعض الحكماء رب مغبوط بمسرة هى داؤه * ومرحوم من ستم هو شفاؤه * وقال بعض الادباء الناس اشتات ولكل جمع شتات وقال بعض البلغاء الزهد بصحة اليقين * وصحة اليقين بنور الدين * فمن صح يقينه زهد فى الثراء * ومن قوى دينه ايقن بالجزاء * فلا تفرك صحة نفسك * وسلامة امسك * فخذ العمر قليله * وصحة النفس مستحيله * وقال بعض الشعراء

* رب مفروس يعاش به * عدمته عين مغترسه *
* وكذاك الدهر مأتمه * اقرب الاشياء من عرسه *
فاذا رضى نفسك من هذه الحال بما وصفت اعتضت منها ثلاث خلال
❖ احداهن ❖ نصح نفسك وقد استسلمت اليك * والنظر لها وقد اعتمدت
عليك * فان غاش نفسه مغبون * والمتحرف عنها مأفون * ❖ والثانية ❖
الزهد فيما ليس لك لتكفى تكلف طلبه وتسلم من تبعات كسبه ❖ والثالثة ❖
انتهاز الفرصة فى مالك ان تضعه فى حقه * وان تؤتبه لمستحقه * ليكون لك
ذخرا * ولا يكون عليك وزرا * فقد روى أن رجلا قال يا رسول الله انى
أكره الموت قال ألك مال قال نعم قال قدم مالك فان قلب المؤمن عند
ماله وقالت عائشة رضى الله عنها ذبحنا شاة فتصدقنا بها فقلت يا رسول الله
ما بقى الا اكتبها قال كلها بقى الا كتفها وحكى ان عبد الله بن عبد الله
ابن عتبة بن مسعود باع دارا بثمانين الف درهم فقيل له اتخذ لولدك من هذا
المال ذخرا فقال انا اجعل هذا المال ذخرا لى عند الله عز وجل واجعل الله
ذخرا لولدى وتصدق بها وعوتب سهل بن عبد الله المروزى فى كثرة
الصدقة فقال لو ان رجلا اراد ان ينتقل من دار الى دار أكان يبق فى الاولى

شيئا وقال سليمان بن عبد الملك لابي حازم ما لنا نكره الموت قال لانكم اخرجتم
 آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم ان تنقلوا من العمران الى الخراب وقيل لعبد الله
 ابن عمر ترك زيد بن خارجة مائة الف درهم فقال لكنهما لا تتركه وقال الحسن
 البصري رحمه الله ما انعم الله على عبد نعمة الا وعليه فيها تبعه الاسليمان بن
 داود عليه السلام فان الله تعالى قال له هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب
 وقال ابو حازم ان عوفينا من شر ما اعطينا لم يضرنا فقد ما زوى عنا وقال بعض
 السلف قدموا كلا ليكون لكم ولا تخلفوا كلا فيكون عنكم وقال ابراهيم نعم
 القوم السؤال يدقون ابوابكم يقولون أ توجهون للآخرة شيئا وقال سعيد بن
 المسيب مربي صلالة بن اشيم فالتأملت ان نهضت اليه فقلت يا ابا الصهباء
 ادع لي فقال رغبتك الله فيما بقي وزهدك فيما بقي ووهب لك اليقين
 الذي لا تسكن النفس الا اليه * ولا يعول في الدين الا عليه * ولما ثقل
 عبد الملك بن مروان رأى غسالا يلوى يده ثوبا فقال وددت اني كنت غسالا
 لا اعيش الا بما اكتسبه يوما فيوما فبلغ ذلك ابا حازم فقال الحمد لله الذي
 جعلهم يتنون عند الموت ما نحن فيه ولا تمنى فمن عنده ما هم فيه وروى عن
 النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك يا ابن آدم
 من مالك الا ما اكلت فافيت * او لبست فابليت * او اعطيت فامضيت * وقال
 خالد بن صفوان بت ليلتي اتيتي فكسبت البحر الاخضر والذهب الاحمر فاذا
 يكفيني من ذلك رغيفان وكوزان وطمران وقال موريق الجعفي يا ابن آدم تؤتي
 كل يوم برزقك وانت تحزن وينقص عمرك وانت لا تحزن تطلب ما يطفئك
 وعندك ما يكفيك وقال ابو حازم انما بيننا وبين الملوك يوم واحد اما امس فقد مضى
 فلا يجدون لذته وانا وهم من غد على وجل واما هو اليوم فاعسى ان يكون
 وقال بعض السلف تعز عن الشيء اذا منعه لقلة ما يصحبك اذا عطيتك وقال بعض
 الحكماء من ترك نصيبه من الدنيا استوفى حظه من الآخرة وقال آخر ترك التلبس
 بالدنيا قبل التشيئ بها هون من رفضها بعد ملابتها وقال آخر ليكن
 طلبك للدنيا اضطرارا * وتذكر في الامور اعتبارا * وسعك لمعاذك
 ابتدارا * وقال آخر الزاهد لا يطلب المفقود حتى يفقد الموجود وقال آخر من آمن

بالآخرة لم يحرص على الدنيا ومن ايقن بالمجازاة لم يؤثر على الحسنى وقال آخر من
حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر وقال ابو الغضاهية

* اربى الدنيا لمن هي في يديه * عذابا كلما كثرت لديه *
* تهين المكرمين لها بصغر * وتكرم كل من هانت عليه *
* اذا استغيت عن شئ فعدء * وخذ ما انت محتاج اليه *

وحكى الاصمعي رحمه الله قال دخلت على الرشيد رحمة الله عليه يوما وهو ينظر
في كتاب ودموعه تسيل على خده فلما لبصرني قال أرايت ما كان مني قلت نعم
يا امير المؤمنين فقال اما انه لو كان لامر الدنيا ما كان هذا ثم رمى الى بالترطاس
فاذا فيه شعر ابي الغضاهية رحمه الله تعالى

* هل انت معتبر بمن خربت * منه غداة قضى دساكره *
* وبمن اذل الدهر مصرعه * فتبرأت منه عساكره *
* وبمن خلت منه اسرته * وتعطت منه منابره *
* اين الملوك و اين عزهم * صاروا مصيرا انت صاره *
* يا مؤثر الدنيا للذته * والمستعد لمن يفاخره *
* نل ما بدالك ان تنال من الدنيا فان الموت آخره *

فقال الرشيد رحمة الله عليه والله لكأني اخاطب بهذا الشعر دون الناس
فلم يلبث بعد ذلك الا يسيرا حتى مات رحمه الله ثم الحالة الثالثة من احوال رياضتك
لها ان تكشف لنفسك حال اجلاك * وتصرفها عن غرور املك * حتى لا يطيل
لك الامل اجلا قصيرا * ولا ينسبك موتا ولا نشورا * وروى عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال في بعض خطبه ايها الناس ان الايام تطوى والاعمار
تفنى والابدان تبلى وان الليل والنهار يترآكضان كثيرا كض البريد * يقربان كل
بعيد * ويخلفان كل جديد * وفي ذلك عباد الله ما الهى عن الشهوات *
ورغب في الباقيات الصالحات * وقال مسعر كم من مستبيل يوما وليس يستكمل
ومتظر غدا وليس من اجله ولور آتيم الاجل ومسيره * لا يفضضم الامل
وغروره * وقال رجل من الانصار للنبي صلى الله عليه وسلم من اكيس الناس
قال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم استعدادا له اولئك الاكياس ذهبوا بشرف

الدنيا وكرامة الآخرة وقال عيسى بن مريم عليه السلام كما تنامون كذلك
تموتون * وكما تستيقظون كذلك تبعثون * وقال علي بن ابي طالب كرم الله
وجهه ايها الناس اتقوا الله الذي ان قلم سمع وان اضمرتم علم وباءوا الموت
الذي ان هربتم ادر كنكم * وان اقمتم اخذكم * وقال العلاء بن المسيب ليس
قبل الموت شيء الا والموت اشد منه وليس بعد الموت شيء الا الموت ايسر
منه وقال بعض الحكماء ان للباقي بالماضي معتبرا * وللآخر بالاول مزجرا *
والسعيد لا يركن الى الخدع * ولا يفتخر بالجمع * وقال بعض الصالحين ان بقاءك
الى فناء * وفناءك الى بقاء * فخذ من فناءك الذي لا يبقى * لبئسك الذي
لا يبقى * وقال بعض العلاء اى عيش يطيب * وليس للموت طيب * وقال
بعض البلغاء كل امرئ يجرى من عمره الى غاية تنتهى اليها مدة اجله *
وتتغوى عليها صحيفة عمله * فخذ من نفسك لنفسك * وقس يومك بامسك *
وكف عن سيئاتك * وزد في حسناتك * قبل ان تستوفى مدة الاجل * وتقصر
عن الزيادة في السعي والعمل * وقيل في منشور الحكم من لم يتعرض للنواب
تعرضت له وقال ابو العتاهية

* ما للمقابر لا تحجب اذا دعاهن الكئيب *
* حفر مسقفة عليهن الجنادل والكئيب *
* فيهن ولدان واطفال وشبان وشيب *
* كم من حبيب لم تكن * نفسى بفرقه تطيب *
* غادرته في بعضهن مجندلا وهو الحبيب *
* وسلوت عنه وانما * عهدي برؤيته قريب *

ووعظ النبي صلى الله عليه وسلم رجلا فقال اقل من الدنيا تعش حرا واقل من
الذنوب يهن عليك الموت وانظر حيث تضع ولدك فان العرق دساس وقال
الرشيد لابن السماك رحمه الله تعالى عظمى واوجز فقال اعلم انك اول خليفة
يموت وعزى اعرابي رجلا عن ابن صغير له فقال الحمد لله الذي نجاه مما ههنا
من الكدر * وخلصه مما بين يديه من الخطر * وقال بعض السلف من عمل
للاخرة احرزها والدنيا ومن آثر الدنيا حرمها والآخرة وقال بعض الصالحين

استغنم تنفس الاجل * وامكان العمل * واقطع ذكر المعاذير والعلل * فانك
في اجل محدود * ونفس معدود * وعمر غير ممدود * وقال بعض الحكماء
الطيب معدور * اذا لم يقدر على دفع المخدور * وقال بعض البلغاء اعمل
عمل المرتحل فان حادى الموت يحدوك * ليوم ليس يعدوك * وروى عن على
ابن ابي طالب رضى الله عنه انه قال بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

* غرّ جهولا امه * يموت من جا اجله *
* ومن دنا من حتفه * لم تغن عنه حيله *
* وما بقاء آخر * قد غاب عنه اوله *
* والمرء لا يصحبه * في القبر الا عمله *

﴿ وقال ابو العاتية ﴾

* لا تأمن الموت في لحظ ولا نفس * وان تمتعت بالحجاب والحرس *
* واعلم بان سهام الموت قاصدة * اكل مدرع منها ومترس *
* ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجرى على اليس *
فاذا رشت نفسك من هذه الحالة بما وصفت اعتضت منها ثلاث خلال
﴿ احداهن ﴾ ان تكفى تسويف امل يردك * وتسويل محال يؤذك * فان
تسويف الامل غرار * وتسويل المحال ضرار * * والثانية ﴿ ان تستيقظ
لعمل آخرتك وتغنم بقية اجلك بخير عملك فان من قصر امه * واستقل اجله *
حسن عمله * * والثالثة ﴿ ان يهون عليك نزول ما ليس عنه محيص ويسهل
عليك حلول ما ليس الى دونه سبيل فان من تحقق امر اوطأ لحلولة * فهان
عليه عند نزوله * وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابي ذر نبه
بالتفكر قلبك * وجاف عن النوم جنبك * واتق الله ربك * وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لابي ذر رضى الله عنه عظمي فقال ارض بالقوت وخف من
القوت * واجعل صومك الدنيا وطررك الموت * وقال عمر بن عبدالعزيز
رضي الله عنه ما رأيت يقينا لاشك فيه * اشبه بشك لا يقين فيه * من يقين
نحن فيه * فلئن كنا مقرين اننا لمحق ولئن كنا جاحدين انا لهلكي وقال الحسن
البصري رحمة الله عليه نهارك ضيفك فاحسن اليه فانك ان احسنت اليه ارتحل

بحمدك وان اشدأت اليه ارتحل بذكك وكذلك ليلك وقال الجاحظ في كتاب البيان
وجد مكتوبا في حجر يا ابن آدم لو رأيت يسير ما بقي من اجلاك * لزهدت في طويل
ما ترجو من املك * ولرغببت في الزيادة من عملك * ولقصرت من حرصك
وحيلك * وانما ياتك غدا ندمك * لو قد زلت بك قدمك * واسلك اهلك
وحشمك * وتبرأ منك القريب * وانصرف عنك الحبيب * ولما حضر بشر
ابن منصور الموت فرح فليل له أنفرح بالموت فقال أتجعلون قدومي على خالق
ارجوه كقسامي مع مخلوق اخافه وقيل لابي بكر الصديق رضي الله عنه في
مرضه الذي مات فيه لو ارسلت الى الطبيب فقال قد رأي قالوا فما قال لك
قال قال اني فعال لما اريد وقيل للربيع بن خيثم وقد اعتل ندعوك بالطبيب
قال قد اردت ذلك فذكرت عادا وعمود واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا
وعلمت انه كان فيهم الداء والمداوى فهلكوا جميعا وسئل انو شروان متى يكون
عيش الدنيا ألد قال اذا كان الذي ينبغي ان يعمل في حياته معمولا وقال بعض
الحكماء من ذكر المنية نسي الامنية وقال بعض الادباء عن الموت تسل *
وهو كريشة تسل * وقال بعض البلغاء الامل * بحجاب الاجل * وانشد بعض
اهل الادب ما ذكر انه لعلي رضي الله عنه

* ولو انا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حي *
* ولكننا اذا متنا بعثنا * ونسأل بعد ذا عن كل شي *

﴿ وقال بعض الشعراء ﴾

* ألا انما الدنيا مقيل لراكب * قضى وطرا من منزل ثم هجرا *
* وراح ولا يدري على ما قدومه * ألا كل ما قدمت تلقى موفرا *
وروى سعيد بن مسعود رضي الله عنه ان ابا الدرداء رضي الله عنه قال
يا رسول الله اوصني فقال صلى الله عليه وسلم اكسب طيبا واعمل صالحا
واسأل الله تعالى رزق يوم يوم واعدد نفسك من الموتى وكتب الربيع بن
خيثم الى اخ له قدم جهازك وافرغ من زادك وكن وصي نفسك والسلام وقال
بعض السلف اصاب الدنيا من حذرها واصابت الدنيا من امنها ومر محمد بن
واسع رحمة الله عليه بقوم فقيل هؤلاء زهاد فقال ما قدر الدنيا حتى يحمد

من زهد فيها وقال بعض الحكماء السعيد من اعتبر بأمسه * واستظهر لنفسه *
والشقي من جمع لغيره وبخل على نفسه * وقال بعض البلغاء لا تبت عن غير
وصية وان كنت من جسمك في صحة * ومن عمرك في فسحة * فان الذهر
خائن * وكل ما هو كائن كائن * وقال بعض الشعراء

* من كان يعلم ان الموت مدركه * والقبر مسكنه والبعث مخرجه *
* وانه بين جنات سنجسه * يوم القيامة او نار ستنضجه *
* فكل شئ سوى التقوى به سمج * وما اقام عليه منه اسججه *
* ترى الذي اتخذ الدنيا له وطنا * لم يدرك ان المنايا سوف تزججه *
وروى جعفر بن محمد عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال في بعض خطبه ايها الناس ان لكم نهاية فانتهاوا الى نهايتكم
وان لكم معالم فانتهاوا الى معالمكم وان المؤمن بين مخافتين اجل قد مضى
لا يدري ما الله صانع فيه واجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليترود
العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الحياة قبل الموت فان الدنيا
خلقت لكم وانتم خلقتكم للآخرة فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعقب
ولا بعد الدنيا دار * الا الجنة او النار * وقال الحسن البصري رحمة الله
عليه امس اجل * واليوم عمل * وغدا امل * فاخذ ابو العاتية هذا المعنى
فنظمه شعرا

* ليس فيما مضى ولا في الذي يا * تيك من لذة لمستحليها *
* انما انت طول عمرك ما عمرت في الساعة التي انت فيها *
* علل النفس بالكفاف والا * طلبت منك فوق ما يكتفيها *
وقيل لزايد مالك تمشي على العصا ولست بكبير ولا مريض فقال اني اعلم اني
مسافر وانها دار بلغة وان العصا من آلة السفر فاخذ بعض الشعراء فقال
* حلت العصا لا الضعف اوجب حملها * على ولا اني تخيت من كبر *
* ولاكنني ائزمت نفسي حملها * لاعلمها اني مقيم على سفر *
وقال بعض المتصوفة الدنيا ساعة * فاجعلها طاعة * وقال ذو القرنين
عليه السلام رتعا في الدنيا جاهلين * وعشنا فيها غافلين * واخرجنا منها

كارهين * وقال عبد الجيد المرء اسير عريسير وقيل في بعض المواضع عجبا لمن يخاف العقاب كيف لا يكف عن المعاصي وعجبا لمن يرجو الثواب كيف لا يعمل وقال بعض الحكماء انسى ميت وان كان في دار الحياة والمحسن حي وان كان في دار الاموات وكل بالاثر يومه او غده وقال بعض السلف الله المستعان على السنة تصف وقلوب تعرف واعمال تخالف وقال آخر الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما وقال آخر اعملوا لاخرتكم في هذه الايام التي تسير * كأنها تطير * وقال آخر الموت قصارك * فخذ من دنياك لاخرتك * وقال آخر عباد الله الحذر الحذر * فوالله لقد ستر * حتى كأنه قد غفر * ولقد اهل * حتى كأنه قد اهل * وقال آخر الايام صحائف اعمالكم * فخلدوها اجل افعالكم * وقيل في منشور الحكم اقبل نصيح المشيب وان تجل وقيل ما طلعت شمس * الا وعظت بامس * وقال محمد بن بشير رحمه الله

* مضى امسك الادنى شهيدا معدلا * ويومك هذا بالغصا شهيد *
 * فان لك بالامس اقترفت اساءة * فتن باحسان وانت جيد *
 * ولا ترج فعل الخير منك الى غد * لعل غدا يأتي وانت فقيد *
 وروى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما رأيت مثل الجنة نام طالبا * وما رأيت مثل النار نام هاربا * وقال عيسى بن مريم عليهما السلام ألا ان اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها * والى اجل الدنيا حين نظر الناس الى عاجلها * فاماتوا منها ما خشوا ان يميت قلوبهم وتركوا منها ما علوا انه سيمتركهم وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الناس طالبان يطلبان فطالب يطلب الدنيا فارفضوها في نحره فانه ربما ادرك الذي يطلبه منها فهلك بما اصاب منها وطالب يطلب الآخرة فاذا رأيت طالبا يطلب الآخرة فتنافسوه فيها ودخل ابو الدرداء رضى الله عنه الشام فقال يا اهل الشام اسمعوا قول اخ ناصح فاجتمعوا عليه فقال ما لي اراكم تبون ما لا تسكنون * وتجمعون ما لا تأكلون * ان الذين كانوا قبلكم بنوا مشيدا * واملوا بعيدا * وجعوا كثيرا فاصبح املهم غرورا * وجمعهم تورا * ومساكنهم قبورا * وقال ابو حازم ان الدنيا غرت اقواما فعملوا

فيها بغير الحق فعاجلهم الموت فخلفوا مالهم لمن لا يحمدهم وصاروا لمن لا يعذرهم وقد خائننا بعدهم فينبغي ان ننظر للذي كرهناه منهم فنجتبه والذي غبطناهم به فنستعمله ومر بعض الزهاد بباب ملك فقال باب جديد * وموت عتيد * وسفر بعيد * ومر بعض الزهاد برجل قد اجتمع عليه الناس فقال ما هذا قالوا مسكين سرق منه رجل جبة ومر به آخر فاعطاه جبة فقال صدق الله ان سعيكم لشيئ وقال بعض الحكماء ما انصف من نفسه من ايقن بالخشر والحساب * وزهد في الاجر والثواب * وقال آخر بطول الامل تقسو القلوب * وباخلاص النية تقل الذنوب * وقال آخر اياك والمني فانها من بضائع النوى وتبطل عن الآخرة والاولى وقال آخر قصر املاك فان العمر قصير * واحسن سيرتك فالبر يسير * وقال عبد الله بن المعتز رحمه الله

* نسير الى الآجال في كل ساعة * وايماننا تطوى وهن رواحل *
* ولم نر مثل الموت حقا كأنه * اذا ما تخطته الاماني باطل *
* وما اقبح التفريط في زمن الصبا * فكيف به والشيب في الرأس نازل *
* ترحل عن الدنيا بزاد من التقي * فعمرك ايام تعسد قلائل *
وكان عبد الملك بن مروان يتمثل بهذين البيتين

* فاعمل على مهل فانك ميت * واكدح لنفسك ايها الانسان *
* فكان ما قد كان لم يك اذ مضى * وكان ما هو كائن قد كان *
ونظر سليمان بن عبد الملك في المرأة فقال انا الملك الشاب فقالت له جارية له
* انت نعم المتاع لو كنت تبق * غير ان لا بقاء للانسان *
* ليس فيما بدا لنا منك عيب * كان في الناس غيرك فاني *

وروى عبد العزيز بن عبد الصمد عن ابان عن انس قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته الجداء فقال ايها الناس كأن الموت فيها على غيرنا كتب وكان الحق فيها على غيرنا وجب وكان الذين نشع من الاموات سفر عما قليل الينا راجعون نبوئهم اجدائهم وتأكل تراثهم كأننا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة وامنا كل جائحة طوبى لمن شغله عيبه عن عيب غيره وانفق من مال كسبه من غير معصية ورحم اهل الدين والمسكنة

وخالط اهل الفقه والحكمة طوبى لمن ادب نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته
طوبى لمن عمل بعلم وانفق من فضل وامسك من قوله ووسقته السنة ولم يعدها
الى بدعة ورى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال زوروا القبور تذكروا بها
الآخرة وغسلوا الموتى فانها معالجة الاجساد الخاوية وموعظة بليغة وحفر
الربيع بن خيثم في داره قبرا فكان اذا وجد في قلبه قسوة جاء فاضطجع في القبر
فكث ما شاء الله ثم يقول رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت ثم يرد على
نفسه فيقول قد ارجعتك فجدى فكث كذلك ما شاء الله وقال ابو محرز الطفاوى
كففتك القبور مواعظ الامم السالفة وقيل لبعض الزهاد ما ابغ العظمت قال
النظر الى محلة الاموات فاخذه ابو العتاهية فقال

* وعظمتك اجداث صمت * ونفثك ازمنة خفت *
* وتكلمت عن اوجه * تبلى وعن صور سبت *
* وارتك قبرك فى الحيا * ة وانت حتى لم تمت *
* يا شامتا بمنيتى * ان الميتة لم تفت *
* فترجما انقلب الثما * ت فخل بالقوم الشمت *

ووجد على قبر مكوتيا قهرنا من قهرنا فصرنا للناظرين عبرة وعلى آخر من
امل البقاء وقد رأى مصارعنا فهو مغرور وقيل فى منشور الحكم ما اكث من
يعرف الحق ولا يطيعه وقال بعض الحكماء من لم يميت لم يف وقال بعض الصالحاء
لنا من كل ميت عظة بحاله وعبرة بماله وقال بعض العلماء من لم يتعظ بموت ولد
لم يتعظ بقول احد وقال بعض البلغاء ما نقصت ساعة من امسك الا بضعمة من
نفسك فاخذه ابو العتاهية فقال

* ان مع الدهر فاعلمن غدا * فانظر بما يتقضى مجئ غده *
* ما ارتد طرف امرئ بليذته * الا وشئ يموت من جسده *
ولما مات الاسكندر قال بعض الحكماء كان الملك امس انطق منه اليوم وهو اليوم
اوعظ منه امس فاخذ ابو العتاهية هذا المعنى فقال

* كفا حزنا بدفك ثم انى * نفضت تراب قبرك عن يديا *
* وكانت فى حياتك لى عظات * وانت اليوم اوعظ منك حيا *

وقال بعض الحكماء لو كان للخطايا ريح لا فتضح الناس ولم يجبالسوا فاخذ هذا المعنى ابو العتاهية فقال

* احسن الله بنا * ان الخطايا لا تفوح *
 * فاذا المستور منها * بين ثوبه فضوح *
 وهذا جيهه مأخوذ من قول النبي صلى الله عليه وسلم لو تكاشفت ما تدافتم
 وكتب رجل الى ابي العتاهية رحمه الله

* يا ابا اسحاق اني * واثق منك بودك *
 * فاعنى بابي از * ت على عيبي برشدك *
 * فاجابه بقوله * ﴿

* اطبع الله بجهديك * راغبا او دون جهديك *
 * اعط مولاك الذي * تطلب من طاعة عبيدك *

وقال بعض الحكماء من سره بنوه ساءته نفسه فاخذ هذا المعنى ابو العتاهية فقال
 * ابن ذى الابن كلما زاد منه * مشرع زاد في فناء ابيه *
 * ما بقاء الاب الملح عليه * بديب اليل شباب بنه *
 وفي معناه ما حكى عن ذر بن حبيش انه عاش مائة وعشرين سنة فلما حضرته
 الوفاة انشد يقول

* اذا الرجال ولدت اولادها * وارتعشت من كبر اجسادها *
 * وجعلت اسقامها تعادها * تلك زروع قد دنا حصاها *
 * ﴿ وكتب رجل الى صالح بن عبد القدوس * ﴿
 * الموت باب وكل الناس داخله * فليت شعري بعد الباب ما الدار *
 * فاجابه بقوله * ﴿

* الدار جنات عدن ان علمت بما * يرضى الاله وان خالفت فالنار *
 * هما محلاز ما للناس غيرهما * فانظر لنفسك ماذا انت مختار *

﴿ باب ادب الدنيا ﴾

اعلم ان الله تعالى لنا فذ قدرته * وبالع حكمته * خلق الخلق بتدبيره * وفطرهم

بتقديره

بتقديره * فكان من لطيف ما دبره * وبديع ما قدره * انه خلقهم محتاجين * وفطرهم عاجزين * ليكون بالفي منفردا وبالتقدرة مختصا حتى يشعروا بقدرته انه خالق * ويعلموا بعنايه انه رازق * فنذعن بطاعته رغبة ورهبة * وهجر بنقائصنا عجزا وحاجة ثم جعل الانسان اكثر حاجة من جميع الحيوان لان من الحيوان ما يستقل بنفسه عن جنسه والانسان مطبوع على الافتقار الى جلسه واستعانه صفة لازمة لطبعه وخلقة قائمة في جوهره ولذلك قال الله سبحانه وتعالى وخلق الانسان ضعيفا يعني عن الصبر عما هو اليه مفقر واحتمال ما هو عنه عاجز ولما كان الانسان اكثر حاجة من جميع الحيوان كان اظهر عجزا لان الحاجة الى الشيء افتقار اليه والمقترن الى الشيء عاجز به وقال بعض الحكماء المتقدمين استغناؤك عن الشيء خير من استغنائك به وانما خص الله تعالى الانسان بكثرة الحاجة وظهور العجز نعمة عليه ولطفاف به ليكون ذل الحاجة ومهانة العجز يمنعانه من طغيان الغنى وبغى القدرة لان الظفيان مركز في طبعه اذا استغنى والبغى مستول عليه اذا قدر وقد انبأ الله تعالى بذلك عنه فقال كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ثم ليكون اقوى الامور شاهدا على نفسه واوضحها دليلا على عجزه وانشدني بعض اهل الادب لابن الرومي رحمه الله

* أعبرتني بالنقص والنقص شامل * ومن ذا الذي يعطي الكمال فيكمل *
 * واشهدني ناقص غير اني * اذا قيس بي قوم كثير تقللوا *
 * تفاضل هذا الخلق بالفضل والحجا * فني ايماء هذين انت مفضل *
 * ولو منح الله الكمال ابن آدم * خلده والله ما شاء يفصل *
 ولما خلق الله الانسان ماس الحاجة ظاهر العجز جعل لنيل حاجته اسبابا ولدفع عجزه حيلة دله عليها بالعقل وارشده اليها بالفتنة قال الله تعالى والذي قدر فهدى قال مجاهد قدر احوال خلقه فهدى الى سبيل الخير والشر وقال ابن مسعود في قوله تعالى وهديناه السجدين يعني العريقين طريق الخير وطريق الشر ثم لما كان العقل دالا على اسباب ما تدعو اليه الحاجة جعل الله تعالى الادراك والظفر موقوفًا على ما قسم وقدر كيلا يعتمدوا في الارزاق على عقولهم وفي العجز على فطنهم لتدوم له الرغبة والرهبة ويظهر منه الغنى والتقدرة وربما عذب

هذا المعنى على من ساء ظنه بخالفه حتى صار سببا لضلاله كما قال الشاعر
 * سبحان من انزل الايام منزلها * وصير الناس مرفوضا ومرفوقا *
 * فعاقل فطن اعيت مذهب * وجاهل خرق تلقاه مرفوقا *
 * هذا الذى ترك الالباب حائرة * وصير العاقل التحرير زنديقا *
 ولو حسن ظن العاقل في صحة نظره لعلم من علل المصالح ما صار به صديقا
 لا زنديقا لان من علل المصالح ما هو ظاهر ومنها ما هو غامض ومنها ما هو
 مضيق حكمة استأثر بها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم حسن الظن بالله
 من عبادة الله ثم ان الله تعالى جعل اسباب حاجاته وحيل عجزه في الدنيا التي
 جعلها دار تكليف وعمل كما جعل الآخرة دار قرار وجزاء فلزم لذلك ان يصرف
 الانسان الى دنياه حظا من عناية لانه لا غنى به عن التزود منها لآخريته ولا له
 بد من سد الخلة فيها عند حاجته وليس في هذا القول نقض لما ذكرنا قبل من ترك
 فضولها وزجر النفس عن الرغبة فيها بل الراغب فيها ملوم * وطالب
 فضولها مذموم * والرغبة انما تختص بما جاوز قدر الحاجة والفضول انما
 ينطلق على ما زاد على قدر الكفاية وقد قال الله تعالى لبيبه صلى الله عليه وسلم
 فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب قال اهل التأويل فاذا فرغت من امور
 دنياك فانصب في عبادة ربك وايس هذا القول منه ترغيبا لبيد صلى الله عليه وسلم
 فيها ولكن ندبه الى اخذ البلغة منها وعلى هذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم
 ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن خيركم من اخذ من هذه
 وهذه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نعم المطية الدنيا فارتحلوها
 تبلغكم الآخرة وذم رجل الدنيا عند على بن ابي طالب كرم الله وجهه فقال رضى
 الله عنه الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار نجاة لمن فهم عنها ودار غنى لمن
 تزود منها وحكى مقاتل ان ابراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام قال
 يارب حتى متى اتردد في طلب الدنيا فتقيل له امسك عن هذا فليس طلب المعاش
 من طلب الدنيا وقال سفيان الثوري رحمة الله عليه مكتوب في التوراة اذا كان
 في البيت بر فتعبد واذا لم يكن فاطلب يا ابن آدم حرك يدك يسبب لك رزقك
 وقال بعض الحكماء ليس من الرغبة اكتساب ما يصون العرض فيها وقال بعض

الادباء ليس من الخرص اجتلاب ما يقوت البدن وقال محمود الوراق
 * لا تتبع الدنيا وایامها * ذما وان دارت بك الدائرة
 * من شرف الدنيا ومن فضلها * ان بها تستدرك الآخرة
 فاذا قدر لم بما يثناه النظر في امور الدنيا فواجب ستر احوالها والكشف عن
 جهة انتظامها واختلالها لتعلم اسباب صلاحها وفسادها ومواد عمرانها
 وخرابها لتتقى عن اهلها شبه الخير * وتجتلي لهم اسباب الخير * فيقصدا
 الامور من ابوانها * ويعتمدوا صلاح قواعدها واسبابها * واعلم ان صلاح
 الدنيا معتبر من وجهين اولهما ما ينظم به امور جلتها والثاني ما يصلح
 به حال كل واحد من اهلها فهما شيان لا صلاح لاحدهما الا بصاحبه لان
 من صلحت حاله مع فساد الدنيا واختلال امورها ان يعدم ان يتعدى اليه
 فسادها * ويقدر فيه اختلالها * لان منها ما يستمد * ولها يستعد * ومن
 فسدت حاله مع صلاح الدنيا وانتظام امورها لم يجد لصلاحها لذة ولا لاستقامتها
 اثرا لان الانسان دنياه نفسه فليس يرى الصلاح الا اذا صلحت له ولا يجد الفساد
 الا اذا فسدت عليه لان نفسه اخص وحاله امس فصار نظره الى ما يخصه
 مصروفا * وفكره على ما يسهل موقوفا * واعلم ان الدنيا لم تكن
 قط لجميع اهلها مسعدة ولا عن كفاية ذويها معرضة لان اعراضها
 عن جميعهم عطب واسعادها لكافةهم فساد لاتلافهم بالاختلاف
 والتباين * واتفاقهم بالمساعدة والتعاون * فاذا تساوى جميعهم لم يجد
 احدهم الى الاستعانة بغيره سبيلا وبهم من الحاجة والعجز ما وصفنا
 فيذهبوا ضيعة ويهلكوا عجزا واذا تباينوا واختلفوا صاروا مؤتلفين
 بالمعونة متواصلين بالحاجة لان ذا الحاجة وصول * والمحتاج اليه موصول *
 وقد قال الله تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم قال
 الحسن مختلفين في الرزق فهذا غني وهذا فقير ولذلك خلقهم يعني للاختلاف
 بالفقر والفقير وقال الله تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق غير ان
 الدنيا اذا صلحت كان اسعادها موفورا * واعراضها ميسورا * الا انها اذا
 منحت هنت واودعت * واذا استردت رقت وابقت * واذا فسدت الدنيا كان

اسعادها مكرًا * واعراضها غدرا * لانها اذا منحت كدت واتعت * واذا
استردت استأصلت واجحفت * ومع هذا فصلاح الدنيا يصلح لسائر اهلها لوفور
اماناتهم وظهور دياناتهم وفسادها مفسد لسائر اهلها لقلة اماناتهم وضعف
دياناتهم وقد وجد ذلك في مشاهد الحال تجربة وعرفا * كما يقتضيه دليل الحال
تعليلًا وكشفا * فلا شيء انفع من صلاحها * كما لا شيء اضر من فسادها *
لان ما تقوى به ديانات الناس وتتوفر اماناتهم فلا شيء احق به نفعًا كما ان ما به
تضعف دياناتهم وتذهب اماناتهم فلا شيء اجدر به ضررًا والشدت لابي بكر
ابن زيد

- * الناس مثل زمانهم * قسدت الخدء على مثاله *
- * ورجال دهرك مثل دهرك في قلبه وحاله *
- * وكذ اذا فسد الزما * ن جرى الفساد على رجاله *

واذ قد بلغ بنا القول الى ذلك فسنبدأ بذكر ما يصلح الدنيا ثم نلوه بوصف
ما يصلح به حال الانسان فيها اعلم ان ما به تصلح الدنيا حتى تصير احوالها
منتظمة * وامورها ملتبسة * ستة اشياء هي قواعدها وان تفرعت وهي
﴿ دين متبع ﴾ و ﴿ سلطان قاهر ﴾ و ﴿ عدل شامل ﴾ و ﴿ امن عام ﴾
و ﴿ خضب دائم ﴾ و ﴿ امل فسيح ﴾ فاما القاعدة الاولى ﴿ فهي الدين
المتبع فلانه يصرف النفوس عن شهواتها * ويعطف القلوب عن اراداتها *
حتى يصير قاهرا للسرائر * زاجرا للضمائر * رقيبًا على النفوس في خلواتها *
نصوحًا لها في مباتها * وهذه الامور لا يوصل بغير الدين اليها * ولا يصلح
الناس الا عليها * فكان الدين اقوى قاعدة في صلاح الدنيا واستقامتها *
واجدى الامور نفعًا في انتظامها وسلامتها * ولذلك لم يخل الله تعالى خلقه
مذ فطرهم عقلاء من تكليف شرعي واعتقاد ديني يتقادون لحكمه فلا تختلف
بهم الآراء * ويستسلمون لامره فلا تتصرف بهم الاهواء * وانما اختلف العلماء
رضي الله عنهم في العقل والشرع هل جاء احيانًا واحدا ام سبق العقل ثم تبعه
الشرع فقالت طائفة جاء العقل والشرع معًا مجيئًا واحدًا لم يسبق احدهما
صاحبه وقالت طائفة اخرى سبق العقل ثم تبعه الشرع لان بكمال العقل يستدل

على صحة الشرع وقد قال الله تعالى أيمسب الانسان ان يترك سدى وذلك لا يوجد منه الا عند كمال عقله فثبت ان الدين من اقوى القواعد فى صلاح الدنيا وهو الفرد الاوحد فى صلاح الآخرة وما كان به صلاح الدنيا والآخرة فحقيق بالعقل ان يكون به متمسكا وعليه محافظا وقال بعض الحكماء الادب ادب ان ادب شريعة وادب سياسة فادب الشريعة ما ادى الفرض وادب السياسة ما عمر الارض وكلاهما يرجع الى العدل الذى به سلامة السلطان * وعمارة البلدان * لان من ترك الفرض فقد ظلم نفسه ومن خرب الارض فقد ظلم غيره وقال سعيد ابن جريد ما صححة ابدأ بنافعة حتى يصح الدين والخلق واما القاعدة الثانية * فهى سلطان قاهر تتألف من رهبة الاهواء المختلفة وتجمع لهيبته القلوب المتفرقة وتنكف بسطوته الايدي المتغالبية وتمنع من خوفه النفوس العاصية لان فى طابع الناس من حب المغالبة على ما آثروه والقهر لمن عاندوه ما لا ينكفون عنه الا بمانع قوى ورايع ملى وقد افصح المتنبي بذلك فى قوله

* لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم *
* والظلم من شيم النفوس فان تجدد * ذاعفة فلعلة لا ينظلم *

وهذه العلة المانعة من الظلم لا تخلو من احد اربعة اشياء اما عقل زاجر او دين حاجر او سلطان رادع او عجز صاد فانما تأسلتها لم تجد خامسا يقترن بها ورهبة السلطان ابغها لان العقل والدين ربما كانا مضعوفين او بدواعى الهوى مغلوبين فتكون رهبة السلطان اشد زجرا واقوى ردعا وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال السلطان ظل الله فى الارض ياوى اليه كل مظلوم وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليرى بالسلطان اكثر مما يزع بالقرآن وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله حراسا فى السماء وحراسا فى الارض فحراسه فى السماء الملائكة وحراسه فى الارض الذين يقبضون ارزاقهم يذبون عن الناس وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الامام الجائر خير من الفتنه وكل لا خير فيه وفى بعض الشر خير وقال ابوهريرة

رضى الله عنه سبت العجم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهى عن ذلك وقال لا تسبوها فإنها عمرت بلاد الله تعالى فعاش فيها عباد الله تعالى وقال بعض البلغاء السلطان في نفسه امام متبوع * وفي سيرته دين مشروع * فان ظلم لم يعدل احد في حكم * وان عدل لم يحسر احد على ظلم * وقال بعض الادباء ان اقرب الدعوات من الاجابة دعوة السلطان الصالح * واولى الحسنات بالاجر والثواب امره ونهيه في وجوه الصالح * فهذه آثار السلطان في احوال الدنيا وما ينظم به امورها ثم لما في السلطان من حراسة الدين والدينا والذب عنهما ودفع الاهواء منه وحراسة التبديل فيه وزجر من شذ عنه بارتداد * او بنى فيه بعتاد * اوسعى فيه بفساد * وهذه امور ان لم تحسم عن الدين بسلطان قوى ورعاية وافية اسرع فيه تبديل ذوى الاهواء وتحريف ذوى الاراء فليس دين زال سلطانه الا بدلت احكامه * وطهست اعلامه * وكان لكل زعيم فيه بدعة ولكل عصر فيه وهاية اثر كما ان السلطان ان لم يكن على دين تجتمع به القلوب حتى يرى اهله الطاعة فيه فرضا والتناصر عليه حتما لم يكن للسلطان لبث ولا لايامه صفو وكان سلطان قهر * ومفسدة دهر * ومن هذين الوجهين وجب اقامة امام يكون سلطان الوقت وزعيم الامة ليكون الدين محروسا بسلطانه والسلطان جاريا على سنن الدين واحكامه قال عبد الله بن المعتز الملك بالدين يبقى والدين بالملك بقوى واختلف الناس هل وجب بالعدل او بالشرع فقالت طائفة وجب بالعدل لانه معلوم من حال العقلاء على اختلافهم الفزع الى زعيم مندوب للنظر في مصالحهم وذهب آخرون الى وجوبه بالشرع لان المقصود بالامام القيام بامور شرعية كاقامة الحدود واستيفاء الحقوق وقد كان يجوز الاستغناء عنها بان لا يراد التعبد بها فبان يجوز الاستغناء عما يراد الا لها اولى وعلى هذا اختلفوا في وجوب بعثة الانبياء فمن قال بوجوب ذلك بالعدل قال بوجوب بعثة الانبياء ومن قال بوجوب ذلك بالشرع منع من وجوب بعثة الانبياء لانه لما كان المقصود ببعثتهم تعريف المصالح الشرعية وكان يجوز من المكلفين ان لا تكون هذه الامور مصلحة لهم لم يجب بعثة الانبياء اليهم فاما اقامة امامين او ثلاثة في عصر واحد وبلد واحد فلا يجوز اجاعا فاما في بلدان شتى وامصار

متباعدة فقد ذهبت طائفة شاذة الى جواز ذلك لان الامام مندوب للمصالح
واذا كان اثنين في بلدين او ناحيتين كان كل واحد منهما اقوم بما في يديه واضبط
لما يليه ولانه لما جاز بعثة نبيين في عصر واحد ولم يؤد ذلك الى ابطال النبوة كانت
الامامة اولى ولا يؤدي ذلك الى ابطال الامامة وذهب الجمهور الى ان اقامة
امامين في عصر واحد لا يجوز شرعا لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال اذا بويع اميران فاقتلوا احدهما وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا وليتم ابا بكر تجددوه قويا في دين الله عز وجل ضعيفا في بدنه واذا وليتم
عمر تجددوه قويا في دين الله عز وجل قويا في بدنه وان وليتم عليا تجددوه هاديا
مهديا فبين بظاهر هذا الكلام ان اقامة جميعهم في عصر واحد لا يصح ولو
صح لاشارة اليه ولنبه عليه والذي يلزم سلطان الامة من امورها سبعة اشياء
﴿ احدها ﴾ حفظ الدين من تبديل فيه والحث على العمل به من غير اهمال
﴿ والثاني ﴾ حراسة البيضة والذب عن الامة من عدو في الدين او باغى
نفس او مال ﴿ الثالث ﴾ عمارة البلدان باعتماد مصالحها وتهذيب سبلها
ومسالكتها ﴿ والرابع ﴾ تقدير ما يتولاه من الاموال بسنن الدين من غير
تحريف في اخذها واعطائها ﴿ والخامس ﴾ معاناة المظالم والاحكام بالتسوية
بين اهلها واعتماد النصفة في فصلها ﴿ والسادس ﴾ اقامة الحدود على
مستحقها من غير تجاوز فيها ولا تقصير عنها ﴿ والسابع ﴾ اختيار خلفاء
في الامور ان يكونوا من اهل الكفاية فيها والامانة عليها فاذا فعل من افضى
اليه سلطان الامة ما ذكرنا من هذه الاشياء السبعة كان مؤديا لحق الله تعالى فيهم
مستوجبا لطاعتهم ومناصحتهم مستحقا لصدق ميلهم ومحبتهم وان قصر عنها
ولم يقم بحققها وواجبها كان بها مؤاخذا ثم هو من الرعية على
استبطن معصية ومقت يتربصون الفرص لاطهارها ويتوقعون الدوائر لاعلانها
وقد قال الله تعالى قل هو القادر على ان يعث عليكم عذابا من فوقكم او من
تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا وفي قوله تعالى عذابا من فوقكم او من تحت
ارجلكم تأويلان احدهما ان العذاب الذي هو من فوقهم امرء السوء والذي
من تحت ارجلهم عبيد السوء وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما والثاني

ان العذاب الذي هو من فوقهم الرجم والذي من تحت ارجلهم الحسف وهذا قول مجاهد وسعيد بن جبير وفي قوله تعالى او يأسكم شيئا تأويلان احدهما انه الاهواء المختلفة وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما والثاني انه الفتن والاختلاط وهذا قول مجاهد وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من امير على عشرة الا وهو يمجي يوم القيامة مغاوله يده الى عنقه حتى يكون عمله هو الذي يطلقه او يوثقه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير ائمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وشر ائمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم وهذا صحيح لانه اذا كان ذا خير احبهم واحبوه واذا كان ذا شر ابغضهم وابغضوه وقد كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه ان الله تعالى اذا احب عبدا حبه الى خلقه فاعرف منزلك من الله تعالى بمنزلك من الناس واعلم ان مالك عند الله مثل ما لله عندك فكان هذا موضعنا لمعنى ما ذكرنا واصل هذا ان خشية الله تبعث على طاعته في خلقه وطاعته في خلقه تبعث على محبته فلذلك كانت محبتهم دليلا على خيره وخشيته وبغضهم دليلا على شره وقلة مراقبته وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لبعض خلفائه اوصيك ان تخشى الله في الناس ولا تخشى الناس في الله وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه انى اخاف الله فيما تقلدت فقال له لست اخاف عليك ان تخاف الله وانما اخاف عليك ان لا تخاف الله وهذا واضح لان الخائف من الله تعالى مأمون كالذى روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال لابي مريم السلولى وكان الذى قتل اخاه زيدا والله انى لا احبك حتى تحب الارض الدم قال أفيمعنى ذلك حتما قال لا قال فلا ضير انما بأسى على الحب النساء وروى عبد الرحمن بن محمد قال اصدق طلحة بن عبد الله ام كلثوم بنت ابى بكر مائة الف درهم وهو اول من اصدق هذا القدر فر بالمال على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال ما هذا قالوا صدق ام كلثوم ابنة ابى بكر فقال ادخلوه بيت المال فاخبر بذلك طلحة وقيل له كلفه في ذلك فقال ما انا بفاعل لئن كان عمر يرى له فيه حقا لا يرده لكلامى وان كان لا يرى فيه حقا ليردنه قال فلما اصبح عمر امر بالمال فدفع الى ام كلثوم وحكى ان الرشيد حبس ابى الغضاهية

فكتب على حائط الحبس

* أما والله ان الظلم شؤم * وما زال المنيء هو الظلوم *
 * الى ديان يوم الدين نمضى * وعند الله تجتمع الخصوم *
 * ستعلم في المعاد ان التقينا * غدا عند الملك من الظلوم *
 فاخبر الرشيد بذلك فبكى بكاء شديدا ودعى بابي العتاهية فاستحله ووهب له
 الف دينار واطلقه واما ❖ القاعدة الثالثة ❖ فهي عدل شامل يدعو الى الالفة
 ويبعث على الطاعة وتتمر به البلاد وتنمى به الاموال ويكثر معه النسل ويأمن به
 السلطان فقد قال المرزبان لعمر حين رآه وقد نام متبذلا عدلت فامت فمت
 وليس شئ اسرع في خراب الارض ولا افسد لضمائر الخلق من الجور لانه
 ليس يقف على حد ولا يتهى الى غاية ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى
 يستكمل وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يئس الزاد الى المعاد *
 العدوان على العباد * وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث منجيات وثلاث مهلكات
 فاما المنجيات فالعدل في الغضب والرضى وخشية الله في السر والعلانية
 والقصد في الغنى والفقر واما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وانجاب
 المرء بنفسه وحكى ان الاسكندر قال للحكماء الهنود وقد رأى قلة الشرائع بها
 لما صارت سنن بلادكم قليلة قالوا لاعطائنا الحق من انفسنا ولعدل ملوكنا فينا
 فقال لهم ايما افضل العدل او الشجاعة قالوا اذا استعمل العدل اغنى عن الشجاعة
 وقال بعض الحكماء بالعدل والانصاف تكون مدة الأتلاف وقال بعض البلغاء
 ان العدل ميراث الله الذي وضعه للخلق * ونصبه للحق * فلا تخالفه في ميراثه *
 ولا تعارضه في سلطانه * واستغن على العدل بخمسين قلة الطمع وكثرة
 الورع فاذا كان العدل من احدى قواعد الدنيا التي لا انتظام لها الا به
 ولا صلاح فيها الا معه وجب ان تبدأ بعدل الانسان في نفسه ثم بعدله في غيره
 فاما عدله في نفسه فيكون بمحملها على المصالح * وكفها عن القبائح *
 ثم بالوقوف في احوالها على اعدل الامرين من تجاوز او تقصير فان تجاوز
 فيها جور والتقصير فيها ظلم ومن ظلم نفسه فهو لغيره اظلم ومن جار عليها فهو
 على غيره اجور وقد قال بعض الحكماء من توانى في نفسه ضاع واما عدله

في غيره فقد ينقسم حال الانسان مع غيره على ثلاثة اقسام * فالقسم الاول عدل الانسان فيمن دونه كالسلطان في رعيته والرئيس مع صحبته فعده فيهم يكون باربعة اشياء باتباع الميسور وحذف المعسور وترك التسلط بالقوة وابتغاء الحق في الميسور فان اتباع الميسور اذوم * وحذف المعسور اسلم * وترك التسلط اعطف على المحبة وابتغاء الحق ابعث على النصرة وهذه امور ان لم تسلم للرعيه المدير كان الفساد ينظره اكثر * والاختلاف بتدبيره اظهر * روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اشد الناس عذابا يوم القيامة من اشركه الله في سلطانه بخار في حكمه وقال بعض الحكماء الملك يبق على الكفر ولا يبق على الظلم وقال بعض الادباء ليس للجائر جار * ولا تعم له دار * وقال بعض البلغاء اقرب الاشياء صرعة الظلوم وانفذ السهام دعوة المظلوم وقال بعض حكماء الملوك العجب من ملك استفسد رعيته وهو يعلم ان عزه بطاعتهم وقال ازديشير ابن بابك اذا رغب الملك عن العدل رغب الرعية عن طاعته وعوتب انوشروان على ترك عقاب المذنبين فقال هم المرضى ونحن الاطباء فاذا لم نداوهم بالعقوبن لهم * والقسم الثاني عدل الانسان مع من فوقه كالرعية مع سلطانها والصحابة مع رئيسها فقد يكون بثلاثة اشياء باخلاص الطاعة وبذل النصرة وصدق الولاء فان اخلاص الطاعة اجع للشم وبذل النصرة انفع للوهن وصدق الولاء انفي لسوء الظن وهذه امور ان لم تجتمع في المرء تسلط عليه من كان يدفع عنه واضطر الى اتقاء من يتقى به كما قال البحري

* متى احوجت ذا كرم تحطأ * اليك ببعض اخلاق اللئام *

وفي استمرار هذا حل نظام جامع وفساد صلاح شامل وقال ابرويس اطع من فوقك يطعمك من دونك وقال بعض الحكماء الظلم مسلبة النعم * والبنفي مجلبة النقم * وقال بعض الحكماء ان الله تعالى لا يرضى عن خلقه الا بتأدية حقه وحقه وشكر النعمة * ونصح الامة * وحسن الصنعة * ولزوم الشريعة * والقسم الثالث عدل الانسان مع اكفائه ويكون بثلاثة اشياء بترك الاستطالة ومجانبة الادلال وكف الاذى لان ترك الاستطالة اكف * ومجانبة الادلال اعطف * وكف الاذى انصف * وهذه امور ان لم تخلص في الاكفاء

اسرع فيهم تقاطع الاعداء ففسدوا وافسدوا وقد روى عمر بن عبد العزيز عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بشرار الناس قالوا بلى يا رسول الله قال من اكل وحده ومنع رفقده وجلد عبده (وفي نسخة بدل هذا من لا يرجي خيره ولا يؤمن شره) ثم قال ألا انبئكم بشر من ذلك قالوا بلى يا رسول الله قال من يبغيض الناس و يبغيضونه و روى ان عيسى بن مريم عليهما السلام قام خطيبا في بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم ولا تسكثوا ظالما فيبطل فضلكم يا بني اسرائيل الامور ثلاثة امر تبين رشده فاتبعوه * وامر تبين غيه فاجتنبوه * وامر اختلفتم فيه فردوه الى الله تعالى وهذا الحديث جامع لآداب العدل في الاخوال كلها وقال بعض الحكماء كل عقل لا يدارى به الكل فليس بعقل تام وقال بعض الشعراء

* ما دمت حينا فدار الناس كلهم * فانما انت في دار المدارات *
 * من يدر داري ومن لم يدر سوف يرى * عما قليل نديما للندامات *
 وقد يتعلق بهذه الطبقات امور خاصة يكون عدلهم فيها بالتوسط في حالتى التقصير والسرف لان العدل مأخوذ من الاعتدال فما جاوز الاعتدال فهو خروج عن العدل وقد قالت الحكماء الفضائل هيأت متوسطة بين خلتين ناقصتين وافعال الخير تتوسط بين رذيلتين ❖ فالحكمة ❖ واسطة بين الشر والجهالة ❖ والشجاعة ❖ واسطة بين التعمم والجن ❖ والعفة ❖ واسطة بين الشره وضعف الشهوة ❖ والسكينة ❖ واسطة بين السخط وضعف الغضب ❖ والغيرة ❖ واسطة بين الجسد وسوء العادة ❖ والظرف ❖ واسطة بين الخلاعة والعرامة ❖ والتواضع ❖ واسطة بين الكبر ودناءة النفس ❖ والسخاء ❖ واسطة بين التبذير والتقتير ❖ والجلم ❖ واسطة بين افراط الغضب وعدمه ❖ والمودة ❖ واسطة بين الخلاصة وحسن الخلق ❖ والحياء ❖ واسطة بين القحة والحقه ❖ والوقار ❖ واسطة بين الهزء والسخافة واذا كان ما خرج عن الاعتدال الى ما ليس باعتدال خروجا عن العدل الى ما ليس بعدل فالاولى اجتنابه والوقوف مع الاوسط اقتداء

بالحديث وقال بعض البلقاء البلد السوء يجمع السفلى ويورث الطفل والولد السوء
 يشين السلف ويهدم الشرف والجار السوء يفتش السر ويهتك الست فجعل هذه
 الاشياء بخروجها عن الاولى الى ما ليس باولى خروجا عن العدل الى ما ليس
 بعدل ولست نجد فسادا الا وسبب نتيجة الخروج فيه من حال العدل الى ما ليس
 بعدل من حالى الزبانة والنقصان فاذا لاشئ انفع من العدل كما لاشئ اضر
 مما ليس بعدل واما ﴿ القاعدة الرابعة ﴾ فهي امر عام تطمئن اليه
 النفوس وتنتشر فيه الهم ويسكن اليه البرى ويأنس به الضعيف فليس
 لجأئف راحة ولا لحاذر طمأنينة وقد قال بعض الحكماء الامن اهنا عيش *
 والعدل اقوى جيش * لان الخوف يقبض الناس عن مصالحهم ويحجزهم عن
 تصرفهم ويكفهم عن اسباب المواد التى بها قوام اودهم وانتظام جلتهم لان
 الامن من نتائج العدل والجور من نتائج ما ليس بعدل وقد يكون الجور تارة
 بمقاصد الاكديمين الخارجة عن العدل وتارة تكون باسباب حادثة من غير
 مقاصد الاكديمين فلا تكون خارجة عن حال العدل فمن اجل ذلك لم يكن ما سبق
 من حال العدل مقبعا عن ان يكون الامن فى انتظام الدنيا قاعدة كمال العدل
 فاذا كان ذلك كذلك فالامن المطلق ما عم والخوف قد يتنوع تارة ويعم فتشوع بان
 يكون تارة على النفس وتارة على الاهل وتارة على المال وعمومه ان يستوجب
 جميع الاحوال ولكل واحد من انواعه حظ من الوهن ونصيب من الحزن
 وقد يختلف باختلاف اسبابه ويتفاضل ببيان جهاته ويكون بحسب اختلاف
 الرغبة فيما خيف عليه فمن اجل ذلك لم يحجز ان يصف حال كل واحد
 من انواعه بمقدار من الوهن ونصيب من الحزن لاسيما والخائف على الشئ
 مختص الهم به منصرف الفكر عن غيره فهو يظن اذ لا خوف له الا اياه * فيغفل
 عن قدر النعمة بالامن فيما سواه * فصار كالمرضى الذى هو بمرضه متشاغل *
 وعماسواه غافل * ولعل ما صرف عنه اعظم مما ابتلى به وانما يوكل بالادنى
 وان جل ما يمضى وحكى ان رجلا قل واعرابى حاضر ما اشد وجع الضرس
 فقال الاعرابى كل داء اشد داء وكذلك من عمه الامن كمن استولت عليه العافية

فهو لا يعرف قدر النعمة بأمته حتى يخاف كما لا يعرف المصافي قدر النعمة حتى يصاب وقال بعض الحكماء انما يعرف قدر النعمة بمقاساة ضدها فاخذ ذلك ابو تمام الطائي فقال

* والحادثات وان اصابك بؤسها * فهو الذى اتيك كيف نعيمها *
فالاولى بالعقل ان يتذكر عند مرضه وخوفه قدر النعمة فيما سوى ذلك من عافيته وامنه وما انصرف عنه مما هو اشد من مرضه وخوفه فيستدل بالشكوى شكرا * وبالجزع صبورا * فيكون فرحا مسرورا حكى ان يعقوب قال ليوסף عليهما السلام حين اتيه اى شئ كان خبرك بعدى قال لا تسأل عما فعله بي اخوتى سلنى عما صنعه بى ربى وقال الشاعر

* لا تنس في الصحة ايام السقم * فان عقبى تارك الحزم ندم *
واما * القاعدة الخامسة * فهي خصب دار تتسع النفوس به في الاحوال *
وتشارك فيه ذو الاكثار والاقلال * فيقل في الناس الحسد وينتفى عنهم تباغض
العدم وتتسع النفوس في التوسع وتكثر المواساة والتواصل وذلك من اقوى
الدواعى لصلاح الدنيا وانتظام احوالها ولان الخصب يؤول الى الغنى والغنى
يورث الامانة والسخاء وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى ابي موسى
الاشعري لا تستقضى الا اذا حسب ومال فان ذا الحسب يخاف العواقب وذا
المال لا يرغب فى مال غيره وقال بعض السلف اتى وجدت خير الدنيا والآخرة
فى التقى والغنى وشر الدنيا والآخرة فى الفجور والفقر وقال بعض الشعراء
* ولم ار بعد الدين خيرا من الغنى * ولم ار بعد الكفر شرا من الفقر *
وبحسب الغنى يكون اقلال البخيل واعطايؤه * واكثر الجواد وسخاؤه * كما
قال دعبل

* لان كنت لا تولى ندى دون امرة * فليست بمول نائلا آخر الدهر *
* واى اناه لم يفض عند ملئه * واى بخيل لم ينل ساعة الوفر *
واذا كان الخصب يحدث من اسباب الصلاح ما وصفت كان الجذب يحدث
من اسباب الفساد ما ضاهاها وكما ان صلاح الخصب عام فكذلك فساد الجذب
عام وما عم به الصلاح ان وجد * وما عم به الفساد ان فقد * فاحرى ان يكون

من قواعد الصلاح ودواعي الاستقامة والخصب يكون من وجهين خصب في المكاسب وخصب في المواد فاما خصب المكاسب فقد يتفرع من خصب المواد وهو من نتائج الامن المقترن بها واما خصب المواد فقد يتفرع عن اسباب الهية وهو من نتائج العدل المقترن بها واما ❖ القاعدة السادسة ❖ فهي امل فسيح يبعث على اقتناء ما يقصر العمر عن استيعابه * ويبعث على اقتناء ما ليس يؤمل في دركه بحياة اربابه * ولولا ان الثاني يرتفق بما انشأه الاول حتى يصير به مستغنيا لاقتراهل كل عصر الى انشاء ما يحتاجون اليه من منازل السكنى وارضى الحرث وفي ذلك من الاعواز وتعذر الامكان ما لا خفاء به فاذنك ما ارفق الله تعالى خلقه باتساع الآمال الا حتى عمر به الدنيا فعم صلاحها وصارت تنقل بعمرانها الى قرن بعد قرن فيتم الثاني ما ابقاه الاول من عمارتها ويرم الثالث ما احده الثاني من شعبها لتكون احوالها على الاعصار ملتئمة * وامورها على عمر الدهور منتظمة * ولو قصرت الآمال ما تجاوز الواحد حاجة يومه ولا تعدى ضرورة وقته ولكانت تنقل الى من بعده خرابا لا يجد فيها بلغة ولا يدرك منها حاجة ثم تنقل الى من بعد بأسوأ من ذلك حالا حتى لا ينبي بها نبت ولا يمكن فيها لبث وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الامل رحمة من الله لامتي ولولا لما غرس غارس شجرا ولا ارضعت ام ولدا وقال الشاعر

* وللنفوس وان كانت على وجل * من المنية آمال تقويها *
 * فالمرء يبسطها والدهر يقبضها * والنفوس تنشرها والموت يطويها *
 واما حال الامل في امر الآخرة فهو من اقوى الاسباب في الغفلة عنها وقلة الاستعداد لها وقد افصح لبید مع اعرابية بما تبين به حال الامل في الامرين فقال

* وأكذب النفس اذا حدثتها * ان صدق النفس يزرى بالامل *
 * غير ان لا تكذبني بالتقى * واجزها بالبر لله الاجل *
 وفرق ما بين الآمال والآمانى ان الآمال ما تقيدت باسباب والآمانى ما تجردت عنها فهذه القواعد الست التي تصلح بها احوال الدنيا وتنظم امور جللتها

فان كملت فيها كل صلاحها وبعيد ان يكون امر الدنيا تاما كاملا * وان يكون صلاحها عاما شاملا * لانها موضوعة على التغير والفناء * منشأة على التصرم والانتضاء * وسمع بعض الحكماء رجلا يقول قلب الله الدنيا قال فاذا تستوى لانها مقلوبة وقال بعض الشعراء

* ومن عادة الايام ان خطوبها * اذا سر منها جانب ساء جانب *
 * وما اعرف الايام الا ذميمة * ولا الدهر الا وهو للشار طالب *
 وبحسب ما اختلف من قواعدها يكون اختلالها ❖ فصل ❖ واما ما يصلح به حال الانسان فيها فثلاثة اشياء هي قواعد امره ونظام حاله وهي نفس مطيعة الى رشدها منتهية عن غيها والفة جامعة تعطف القلوب عليها ويندفع المكروه بها ومادة كافية تسكن نفس الانسان اليها ويستقيم اوده بها فاما القاعدة الاولى التي هي ❖ نفس مطيعة ❖ فلانها اذا اطاعته ملكها واذا عصته ملكته ولم يملكها ومن لم يملك نفسه فهو بان لا يملك غيرها اخرى ومن عصته نفسه كان بمعصية غيرها اولى وقال بعض الحكماء لا ينبغي للعاقل ان يطلب طاعة غيره ونفسه بمنفعة عليه وقد قال الشاعر

* أنظم ان يطيعك قلب سعدى * وتزعم ان قلبك قد عصاك *
 وطاعة نفسه تكون من وجهين احدهما نصح والثاني انقياد فاما النصح فهو ان ينظر الى الامور بحقائقها فيرى الرشد رشدا ويستحسنه ويرى الغي غيا ويستفجه وهذا يكون من صدق النفس اذا سلمت من دواعي الهوى ولذلك قيل من تفكر ابصر فاما الانقياد فهو ان تسرع الى الرشد اذا امرها * وتنتهي عن الغي اذا زجرها * وهذا يكون من قبول النفس اذا كفيت منازعة الشهوات قال الله تعالى ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما وللنفس آداب هي تمام طاعتها وكمال مصلحتها وقد افردنا لها من هذا الكتاب بابا واقتصرنا في هذا الموضع على ما قد اقتضاه الترتيب * واستداه القريب * واما القاعدة الثانية وهي ❖ اللفة الجامعة ❖ فلان الانسان مقصود بالاذية محسود بالذمة فاذا لم يكن آلفا مأنوقا تخطفته ايدي حاسديه * وتحكمت فيه اهواء اعاديه * فلم تسلم له

نعمة ولم تصف له مدة فاذا كان ألفا مألوفاً انتصر بالالفه على اعانيه * وامتنع
من حاسديه * فسلبت نعمته منهم * وصفت مدته عنهم * وان كان صفو
الزمان عمراً * وسلمه خطراً * وقد روى ابن جريح عن عطاء رحهما الله عن
جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن ألف مألوف
ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس انفعهم للناس وروى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً يرضى
لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وان تعصموا بحبله جميعاً ولا تفرقوا وان
تاتوا من وراء الله امركم ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال
وكل ذلك حث منه صلى الله عليه وسلم على الفلفة والعرب تقول من قل ذل
وقل قيس بن عاصم

* ان القداح اذا اجتمعن فرامها * بالكسر ذو حنق وبطش ايد
* عزت فلم تكسر وان هي بددت * فالوهن والتكسير للمتبدد
واذا كانت الفلفة بما اثبت تجمع الشمل وتمنع الذل اقتضت الحال ذكر اسبابها واسباب
الفلفة خمسة وهي الدين والنسب والمصاهرة والمودة والبر فاما * الدين *
وهو الاول من اسباب الفلفة فلائنه يبعث على التناصر * ويمنع من التقاطع
والندابر * وبمثل ذلك وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه فروى سفيان
عن الزهري عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقاطعوا
ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخواناً لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه
فوق ثلاث وهذا وان كان اجتماعهم في الدين يقتضيه فهو على وجه التحذير من
تذكر ثرات الجاهلية واحسن الضلالة فقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم والعرب
اشد تقاطعاً وتعادياً * واكثر اخلاقاً وتمادياً * حتى ان بني الاب الواحد
يتفرقون احزاباً فتثير بينهم بالهزب والافتراق احقاد الاعداء * واحسن البعداء *
وكانت الانصار اشد هماً تقاطعاً وتعادياً وكان بين الاوس والخزرج من الاختلاف
والتيابن اكثر من غيرهم الى ان اسلموا فذهبت احنتهم وانقطعت عداوتهم
وصاروا بالاسلام اخواناً متواصلين * وبالفلفة الدين اعواناً متناصرين *
قال الله تعالى واذكروا اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمة

اخوانا يعني اعداء في الجاهلية فالف بين قلوبكم بالاسلام وقال تعالى ان
 الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا يعني حبا وعلى حسب
 التألف على الدين تكون العداوة فيه اذا اختلف باهلها فلان الانسان قد
 يقطع في الدين من كان به برا وعليه مشفقا هذا ابو عبيدة بن الجراح وقد كانت
 له المنزلة العالية في الفضل والاثر المشهور في الاسلام قتل ابا يوم بدر واتى
 برأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة لله عز وجل ورسوله حين بقي
 على ضلاله وانهمك في طغيانه فلم يعطفه عليه رجة ولا كفه عنه شفقة وهو
 من ابر الابناء تغليب الدين على النسب وطاعة الله تعالى على طاعة الاب وفيه
 انزل الله لا تجحدوا قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله
 ولو كانوا آباءهم او ابنائهم او اخوانهم او عشيرتهم وقد يختلف اهل الدين
 على مذاهب شتى وآراء مختلفة فيحدث بين المختلفين فيه من العداوة والتباين مثل
 ما يحدث بين المختلفين في الاديان وعلته ذلك ان الدين والاجتماع على العقد
 الواحد فيه لما كان اقوى اسباب الالفة كان الاختلاف فيه اقوى اسباب الفرقة
 واذا تكافأ اهل الاديان المختلفة والمذاهب المتباينة ولم يكن احد الفريقين اعلى
 يدا * واكثر عددا * كانت العداوة بينهم اقوى والاحن فيهم اعظم لانه
 ينضم الى عداوة الاختلاف تمحاسد الاكفاء * وتنافس النظراء * واما ❖ النسب ❖
 وهو الثاني من اسباب الالفة فلان تعاطف الارحام وحية القرابة يبعثان على
 التناصر والالفة ويمنعان من الخاذل والفرقة انفة من استعلاء الاباعد على
 الاقارب * وتوقيا من تسلط الغرباء الاجانب * وقد روى عن النبي صلى الله
 عليه وسلم انه قل ان الرحم اذا تماسست تعاطفت ولذلك حفظت العرب انسابها
 لما امتنعت عن سماعين يقهرها ويكف الاذى عنها لتكون به مظاهرة
 على من ناواها * متاصرة على من شاقها وعادها * حتى بلغت بالفة الانساب
 تناصرهما على القوى الايد وتحكمت به تحكم التسلط المتشطط وقد اعذر نبي الله
 لوط عليه السلام نفسه حين عدم عشيرة تنصره فقال لمن بعث اليه لو ان لي
 بكم قوة او آوى الى ركن شديد يعني عشيرة مانعة وروى ابو سلمة عن ابي
 هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قل رحم الله لوطا لقد كان يأوى الى

ركن شديد يعنى الله عز وجل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى من بعده نبيا الا في ثروة من قومه وقال وهب لقد وردت الرسل على لوط وقالوا ان ركنك لشديد وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لا يترك المرء مفرجا حتى يضمه الى قبيلة يكون فيها قال الرياشي المفرج الذي لا ينتهي الى قبيلة يكون منها وكل ذلك حث منه صلى الله عليه وسلم على الالفة وكف عن الفرقة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من كثر سواد قوم فهو منهم واذا كان النسب بهذه المنزلة من الالفة فقد تعرض له عوارض تمنع منها وتبعث على الفرقة المتنافية لها فاذا قد لزمت ان نصف حال الانساب * وما يفرض لها من الاسباب * فجملة الانساب انها تنقسم ثلاثة اقسام قسم والدون وقسم مولودون وقسم مناسبون ولكل قسم منهم منزلة من البر والصلة وعارض يطرأ فيبعث على العقوق والقطيعة • فاما الوالدون فهم الآباء والامهات والاجداد والجدات وهم موسومون مع سلامة احوالهم بخلقين احدهما لازم بالطبع والثاني حادث باكتساب فاما ما كان لازما بالطبع فهو الحذر والاشفاق وذلك لا ينتقل عن الوالد بحال وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الوالد بمخلة بمخلة محبته محزنة فاخبر ان الحذر عليه يكسب هذه الاوصاف ويحدث هذه الاخلاق وقد كره قوم طلب الولد كراهة لهذه الحالة التي لا يقدر على دفعها عن نفسه للزومها طبعاً وحدوثها حتماً وقيل ليحيى بن زكريا عليهما السلام ما بالك تكره الولد فقال ما لي وللولد ان عاش كدني وان مات هدى وقيل لعيسى بن مريم عليهما السلام ألا تزوج فقال انما يحب التكاثر في دار البقاء واما ما كان حادثاً بالاكتساب فهي المحبة التي تنمي مع الاوقات وتتغير مع تغير الحالات وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الولد انوط يعنى ان حبه يلتصق بنياط القلب وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شيء ثمرة وثمره القلب الولد فان انصرف الوالد عن حب الولد فليس ذلك لبعض منه ولكن لسوء حدث من عقوق او تقصير مع بقاء الحذر والاشفاق الذي لا يزول عنه ولا يتقل منه فقد قال محمد بن علي رضي الله عنه ان الله تعالى رضى الآباء للابناء فحذرهم فثبتهم ولم يوصهم بهم ولم يرض الابناء للآباء

فأوصاهم بهم وإن شر الأبناء من دعاه التقصير إلى العقوق وشر الآباء من دعاه البر إلى الإفراط والامهات أكثر اشفاقا وأوفر حبا لما باشرن من الولادة وعابن من التربية فانهن ارق قلوبا وألين نفوسا وبحسب ذلك وجب ان يكون التعطف عليهن اوفر جزاء لفعلهن وكفاء لحقهن وإن كان الله تعالى قد اشرك بينهما في البر وجع بينهما في الوصية فقال تعالى ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وقد روى ان رجلا أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي اما انا مطيعها اقمدها على ظهري ولا اصرف عنها وجهي وأرد اليها كسبي فهل جزئتها قال لا لا برفة واحدة قال ولم قال لانها كانت تخدمك وهي تحب حياتك وانت تخدمها وتحب موتها وقال الحسن البصري حق الوالد اعظم وبر الوالد الزم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انها كم عن عقوق الامهات ووأد البنات ومنع وهات وروى خالد بن معدان عن المقدم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يوصيكم بامهاتكم ثم يوصيكم بالاقرب فالاقرب واما المولودون فهم الاولاد واولاد الاولاد والعرب تسمى ولد الولد الصفوة وهم مختصون مع سلامة احوالهم بخلقين احدهما لازم والاخر منتقل فاما اللازم فهو الانفة للآباء من تهضم او خول والانفة في الأبناء في مقابلة الاشفاق في الآباء وقد لحظ أبو تمام الطائي هذا المعنى في شعره فقال

* فاصبحت تلقاني الزمان لاجله * باعظام مولود واشفاق والد *
فاما المنتقل فهو الادلال وهو اول حال الولد والادلال في الأبناء في مقابلة المحبة في الآباء لان المحبة بالآباء اخص والادلال بالابناء اعم وقد روى عن عمر انه قال قلت يا رسول الله ما باننا نرق على اولادنا ولا يرقون علينا قال لاننا ولدناهم ولم يلدونا ثم الادلال في الأبناء قد ينتقل مع الكبر إلى احد امرين اما البر والاعظام واما إلى الجفاء والعقوق فان كان الولد رشيدا او كان الاب برا عطفوا صار الادلال برا واعظاما وقد روى الزهري عن عامر بن شراحيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجرير بن عبد الله ان حق الوالد على الولد ان يخشع له عند الفضب ويؤثره على نفسه عند النصب والسغب فان المكافي ليس بالواصل ولكن

الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها وان كان الولد غايبا او ~~صكان~~ الوالد جافيا صار الادلال قطيعة وعقوقا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم رحمه الله امرءا اعان ولده على بره وبشر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بمولود فقال زيجانة اشمها ثم هو عن قريب ولد بار او عدو ضار وقد قيل في مشور الحكيم العقوق ثكل من لم يشكل وقال بعض الحكماء ابنك ريحانك سبعا وخاتمك مبعأ ووزيرك سبعا ثم هو صديق او عدو واما المناسيون فهم من عدا الآباء والابناء ممن يرجع بتعصب او رحمه والذي يختصون به الحمية الباعثة على النصرة وهى ادنى رتبة الالفة لان الالفة تمتع من التهضم والتمول معا والحمية تمتع من التهضم وليس لها في كراهة التمول نصيب الا ان يقرن بها ما يبعث على الالفة وحمية المناسيين انما يدعو الى النصرة على البعداء والاجانب وهى معرضة لحسد الاداني والاقارب موصولة الى منافسة الصاحب بالصاحب فان حرس بالتواصل والتلاطف تأكدت اسبابها واقرن بحمية النسب مصافاة المودة وذلك اوكد اسباب الالفة وقد قيل لبعض قريش ايما احب اليك اخوك او صديقك قال اخي اذا كان صديقا وقال مسلمة بن عبد الملك العيش في ثلاث سعة المنزل وكثرة الخدم وموافقة الاهل وقال بعض الحكماء البغيد قريب بمودته والقريب بعيد بعداوته وان اهملت الحال بين المناسيين ثقة بلحمة النسب واعتمادا على حمية القرابة غلب عليها مقت الحسد ومنازعة التنافس فصارت المناسبة عداوة والقرابة بعدا وقال الكندي في بعض رسائله الاب رب والولد كبد والاخ فسخ والعم غم والحال وبال والاقارب عقارب وقال عبد الله بن المعتز

* لحومهم لحمى وهم يأكلونه * وما داهيات المرء الا اقاربه *

ومن اجل ذلك امر الله تعالى بصلة الارحام واثنى على واصلها فقال تعالى والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب قال المفسرون هى الرحم التى امر الله بوصلها ويخشون ربهم في قطعها ويخافون سوء الحساب في المعاقبة عليها وزوى عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل انا الرحمن وهى الرحم اشتقت لها من اسمي اسمنا فن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وروى عنه صلى

الله عليه وسلم انه قال صلة الرحم مائة للعدد مثراة للمال محبة في الاهل منساة في الاجل وقال بعض الحكماء ابلوا ارحامكم بالحقوق ولا تجفوها بالعقوق وقال بعض البلغاء املوا ارحامكم فانها لا تبلى عليها اصولكم ولا نهضم عليها فروعكم وقال بعض الادباء من لم يصلح لاهله لم يصلح لك ومن لم يذب عنهم لم يذب عنك وقال بعض الفصحاء من وصل رحمه وصله الله ورحمه ومن اجار جاره اعانه الله وجاره وقال محمد بن عبد الله الازدي

* وحسبك من ذل وسوء صنعة * مناولة ذى القربى وان قيل قاطع *
 * ولكن اواسيه وانسى ذنوبه * لترجمه يوما الى الرواجع *
 * ولا يستوى في الحكم عبدان واصل * وعبد لارحام القرابة قاطع *
 واما المصاهرة وهى الثالث من اسباب اللفة فلانها استحداث مواسلة وتمازج مناسبة صدرا عن رغبة واختيار انعقادا على خير وايثار فاجتمع فيها اسباب اللفة ومواد المظاهرة قال الله تعالى ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة يعنى بالمودة المحبة وبالرحمة الخنو والشفقة وهما من اوكد اسباب اللفة وفيها تأويل آخر قاله الحسن البصرى رحمه الله ان المودة النكاح والرحمة الولد وقال تعالى والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة اختلف المفسرون في الحفدة فقال عبد الله بن مسعود هما اختان الرجل على بناته وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما هم ولد الرجل وولد ولده وروى عنه انهم بنوا امرأة الرجل من غيره وسماوا حفدة لتحفدهم فى الخدمة وسرعتهم فى العمل ومنه قولهم فى القنوت واليك نسعى ونحفظ اى نسرع الى العمل بطاعتك ولم تزل العرب تجتذب البعداء وتتألف الاصدقاء بالمصاهرة حتى يرجع المناسف مؤانسا وبصير العدو مواليا وقد يصير للصهر بين الاثنين الفة بين القبيلتين وموالة بين العشيرتين حكى عن خالد بن يزيد بن معاوية انه قال كان ابغض خلق الله عز وجل الى آل الزبير حتى تزوجت منهم امرأة فصاروا احب خلق الله عز وجل الى وفيها يقول

* احب بنى العوام طرا لاجلها * ومن اجلها احببت اخوالها كلها *

* فان تسلى نسلم وان تنصرى * يحط رجال بين اعينهم صلبا *
ولذلك قيل المرء على دين زوجته لما يستتره الميل اليها من المتابعة ويحبذ به
الحب لها من الموافقة فلا يحد الى المخالفة سبيلا ولا الى المباعدة والمشاقة
طريقا واذا كانت المصاهرة للنكاح بهذه المنزلة من الالفة فقد يذبح لعندها
احد خمسة اوجء وهي المال والجمال والدين والالفة والتعفف وقدروى
سعيد بن ابى سعيد عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تنكح المرأة
لاربعة لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها فعليك بذات الدين تربت يداك فان كان
عقد النكاح لاجل المال وكان اقوى الدواعى اليه فلما اذا هو المنكوح فان
اقرن بذلك احد الاسباب الباعثة على الائتلاف جاز ان يلبث العقد وتدوم الالفة
فان تجرد عن غيره من الاسباب وعرى عما سواه من المواد فاخلق بالعقد ان ينحل
وبالالفة ان تزول لاسيما اذا غلب الطمع وقل الوفاء لان المال ان وصل
اليه فقد يتقضى سبب الالفة به فقد قيل من ودك لشيئ تولى مع انقضائه
وان اعوز الوصول اليه وتعذرت القدرة عليه اعقب ذلك استهانة الآيس
بعد شدة الامل فحدث منه عداوة الخائب بعد استحكام الطمع
فصارت الوصلة فرقة والالفة عداوة وقد قيل من ودك طمعا فيك ابغضك اذا
ايس منك وقال عبد الحميد من عظيمك لا كشارك استقلالك عند اقلالك فان
كان العقد رغبة في الجمال فذلك ادوم للالفة من المال لان الجمال
صفة لازمة والمال صفة زائلة ولذلك قيل حسن الصورة اول السعادة وقد
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اعظم النساء بركة احسنهن
وجهها واقلهن مهرا فان سلمت الحال من الادلال المفضى الى اللال استدامت
الالفة واستحكمت الوصلة وقد كانوا يكرهون الجمال البارع اما لما يحدث
عنه من شدة الادلال وقد قيل من بسطه الادلال قبضه الادلال واما لما يخاف
من محنة الرغبة وبلوى المنازعة وقد حكي ان رجلا شاور حكما في التزوج
فقال له افعل وائاك والجمال البارع فانه مرعى اتيق فقال الرجل وكيف ذلك قال
كما قال الاول

* ولن تصادف مرعى مرميا ابدا * الا وجدت به آثار منجم *

واما

واما لما يخافه اللبيب من شدة الصبوة ويتوقاه الحازم من سوء عواقب الفتنة وقد قال بعض الحكماء اياك ومحالطة النساء فان لحظ المرأة سهم ولفظها سم ورأى بعض الحكماء صيادا يكلم امرأة فقال يا صياد احذر ان تصاد وقال سليمان بن داود عليهما السلام لابنه امش وراء الاسد ولا تمش وراء المرأة وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه امرأة تقول هذا البيت

* ان النساء رياحين خلقن لكم * وكلكن يشتهى شم الرياحين *
 ﴿ فقال رضى الله عنه ﴾

* ان النساء شياطين خلقن لنا * نعوذ بالله من شر الشياطين *
 وان كان العقد رغبة في الدين فهو اوثق العقود حالا وادومها الفة واجدها بدأ وعاقبة لان طالب الدين متبع له ومن اتبع الدين انقاد له فاستقامت له حاله وامن زلله ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم فاطفر (لعل هذه رواية اخرى فان التي تقدمت فعلبك) بذات الدين تربت يداك وفيه تأويلان احدهما تربت يداك ان لم تظفر بذات الدين والثاني انها كلمة تذكر للمبالغة ولا يراد بها سوء كقولهم ما اشجعته قاتله الله وان كان العقد رغبة في اللفة فهذا يكون على احد وجهين اما ان يقصد به المكثرة باجتماع الفريقين والمظاهرة بتناصر الفتيين واما ان يقصد به تألف اعداء متسلطين استكفاء لعاديتهم وتسكيناً لصولتهم وهذان الوجهان قد يكونان في الامائل واهل المنازل وداعى الوجه الاول هو الرغبة وداعى الوجه الثانى هو الرهبة وهما سببان في غير المتساكين فان استدام السبب دامت اللفة وان زال السبب بزوال الرغبة والرهبة خيف زوال اللفة الا ان ينضم اليها احد الاسباب الباعثة عليها والمقربة لها وان كان العقد رغبة في التعفف فهو الوجه الحقيقى المبتغى بعقد النكاح وما سوى ذلك فاسباب معانة عليه ومضافة اليه وروى انه لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها قال النبي صلى الله عليه وسلم خلق الرجل من التراب فهمه في التراب وخلقت المرأة من الرجل فهمهما في الرجل وروى عطية بن بشر عن عكاف بن رفاعة الهلالي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا عكاف

ألك زوجة قال لا قال فانت اذا من اخوان الشياطين ان كنت من رهبان
النصارى فالحق بهم وان كنت من اهل سنتنا النكاح فكان هذا القول منه
حشا على ترك الفساد وباعثا على التكاثر بالاولاد ولهذا المعنى كان النبي صلى الله
عليه وسلم يقول للفقهاء من غزوهم اذا افضيتهم الى نساكنكم فالكيس الكيس
يعنى فى طلب الولد فلزم حينئذ فى عقد التعفف تحكّم الاختيار فيه والتماس
الادوم من دواعيه وهى نوعان نوع يمكن حصر شروطه ونوع لا يمكن لاختلاف
اسبابه وتغاير شروطه فاما الشروط المحصورة فيه فثلاثة شروط ﴿ احدها ﴾
الدين المفضى الى السر والعتاف والمؤدى الى القناعة والكفاف قال ابو هريرة
رضى الله عنه لا يعجل مؤمن مؤمنة ان يكره منها خلقا رضى منها خلقا
وخطب رجل من عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يتيمة كانت عنده فقال
لا ارضاها لك قال ولم وفى دارك نشأت قال انها تشرف قال لا ابالي فقبال
الآن لا ارضاها لك وفى معنى هذا قول بعض العلماء من رضى بصحبة من لا خير
فيه لم يرض بصحبته من فيه خير ﴿ والشرط الثانى ﴾ العقل الباعث على حسن
التقدير الامر بصواب التدبير فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
العقل حيث كان الوف ومألوف وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
عليكم بالودود الولود ولا تنكحوا الحفماء فان صحبتها بلاء وولدها ضياع
﴿ والشرط الثالث ﴾ الاكفاء الذين يتفق بهم العار ويحصل بهم الاستكثار
فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تخيروا لنطفكم ولا تضيعوها
الا فى الاكفاء وروى ان صبي بن اكنم قال لولده يا بني لا يحملنكم جمال النساء
عن صراحة النسب فان المناكح اللئيمة مدرجة للشرف وقال ابو الاسود الدبلى
لبنيه قد احسنت اليكم صغارا وكبارا وقبل ان تولدوا قالوا وكيف احسنت الينا
قبل ان نولد قال اخترت لكم من الامهات من لا تسبون بها واشد الرياشى
* فاول احسانى اليكم تخيرى * لما جدة الاعراق باء عفافها *

وقد تنضم الى هذه الشروط من صفات الذات واحوال النفس ما يلزم الحرز
منه لبعده الخير عنه وقلة الرشد فيه فان كوامن الاخلاق بادية فى الصور
والاشكال كمال الذى روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لزيد بن حارثة

أتزوجت يا زيد قال لا قال تزوج تستعفف مع عفتك ولا تزوج من النساء خجسا
قال وما هن يا رسول الله قال لا تزوج شهيرة ولا لهيرة ولا نهيرة ولا هبيرة ولا
لفوتا فقال يا رسول الله اني لا اعرف مما قلت شيئا قال اما الشهيرة فلزرقاء البذية
واما الهيرة فالطويلة المهزولة واما النهيرة فالحجوز المدبرة واما الهبيرة فالقصيرة
الدميمة واما اللفوت فذات الولد من غيرك وقال شيخ من بني سليم لابنه يا بني
ايك والرقوب الغضوب القطوب الرقوب التي تراقبه ان يموت فتأخذ ماله واوصي
بعض الاعراب ابنه في التزوج فقال ايك والحنانة والمنانة والانانة فالخسانة التي
تحن لزوج كان لها والمنانة التي تم على زوجها بمالها والانانة التي تن كسلا
وتقارضا وقال اوفى بن دهم النساء اربع فتنهن مقمع لها سننها اجمع ومنهن بمنع
تضرر ولا تنفع ومنهن مصدع تفرق ولا تجمع ومنهن غيث وقع ببلد فامرع وقال
الشاعر

* ارى صاحب النسوان يحسب انها * سوء وبون بينهن بعيسد *
* فتنهن جنسات يفي ظلالها * ومنهن نيران لهن وقود *
❖ وانشد ابو العيلاء عن ابي زيد ❖

* ان النساء كاشجار نبتن معا * منهن مر * وبعض المر ما كول *
* ان النساء ولو صمرون من ذهب * فيهن من هفوات الجهل تخيل *
* ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واجب لا يسد مفسول *
* وما وعدك من شروفين به * وما وعدك من خير فمطول *

فاما النوع الآخر فانه لا يمكن حصر شروطه لانه قد يختلف باختلاف الاحوال
وينقل ينتقل الانسك والازمان فانه لا يستغنى به عن موافقة النفس ومتابعة
الشهوة ليكون اذوم لحال الالفه وامد لاسباب الوصلة فان رأى العلول لا يبقى
على حاله والميل المدخول لا يدوم على دخله فلا بد ان ينتقل الى احدى حالتين
اما الى الزيادة والكمال واما الى النقصان والزوال حكى ان رجلا قال لعلي
كرم الله وجهه اني احبك واحب معاوية فقال رضى الله عنه اما الآن فانت
اعور فاما ان تبرأ واما ان تعمى فاذا كان كذلك فلا بد من كشف السبب
الباعث على هذا النوع فانه لا يخلو من ثلاثة احوال ❖ احدها ❖ ان يكون

لطلب الولد والاحد فيه التماس الحداثة والبراءة لانها اخص بالولادة وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالابكار فانهن اعذب افواها وانتق ارحاما وارضى باليسير ومعنى قوله انتق ارحاما اي اكثر اولادا وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه عليكم بالابكار فانهن اكثر حبا واقل خنا وهذه الحال هي اولى الاحوال الثلاث لان النكاح موضوع لها والشرع وارد بها وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سوداء ولود خير من حسناء عاقر والعرب تقول من لا يلد لا ولد وقد كانوا يختارون لمثل هذه الحال انكاح البعده الاجانب ويرون ان ذلك انجب للولد وابهى للخلة ويحبون انكاح الاهل والاقارب ويرونه مضرا بخلق الولد بعيدا من نجابته روى عن النبي صلى الله عليه انه قال اغربوا لاتضووا وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال يا بني السائب قد اضويتهم فانكحوا في الغرائب وقال الشاعر

* تجاوزت بنت العم وهي حبية * مخافة ان يضوى على سليبي *

وكانت حكماء المتقدمين يرون ان انجب الاولاد خلقا وخلقاً من كانت سن امه بين العشرين والثلاثين وسن ابيه ما بين الثلاثين والخمسين والعرب تقول ان ولد الغريب لا ينجب وان انجب النساء الفروك لان الرجل يغلها على الشبه لزهدها في الرجال وقالوا ان الرجل اذا اكره المرأة وهي مذعورة ثم اذكرت انجبت * والحالة الثانية * ان يكون المقصود به القيام بما يتولاه النساء من تدبير المنازل فهذا وان كان مختصا بمعانة النساء فليس بالزم حالتى الزوجات لانه قد يجوز ان يعاينه غيرهن من النساء ولذلك قيل المرأة ربحانة وليست بقهرمانة وليس في هذا القصد تأثير في دين ولا قدح في مروءة والاحد في مثل هذا التماس ذوى الاسنان والخفة فمن قد خبرن تدبير المنازل وعرفن عادات الرجال فانهن اقوم بهذه الحال * والحالة الثالثة * ان يكون المقصود به الاستمتاع وهي اذم الاحوال الثلاث واولها للمروءة لانه يعتمد فيه لاخلاقه البهيمية ويتابع شهوته الذميمة وقد قال الحارث بن النضر الازدي شر النكاح نكاح الغلة الا ان يفعل ذلك لكسر الشهوة وقهرها بالضعاف لها عند الغلبة او تسكين النفس عند المنازعة حتى لا تطمع له عين لربة ولا تنازعه نفس الى فجور ولا

يلحقه في ذلك ذم ولا يناله وسم وهو بالحمد اجدد وبالثناء احق ولو تنزه في مثل هذه الحال عن استبدال الحرائر الى الاماء كان اكل لمروته وابلغ في صيانتها وهذه الحال تقف على شهوات النفوس لا يمكن ان يرجح فيها اولى الامور وهي اخطر الاحوال بالنكوح لان للشهوات غايات متناهية يزول بزوالها ما كان متعلقا بها فتصير الشهوة في الابتداء كراهية في الانتهاء ولذلك كرهت العرب البنات وودتتهن اشفاقا عليهم وحبة لهن من ان يتبدلن اللثام بهذه الحال وكان من تحوب من قتل البنات لرقه ومحبة كان موتهن احب اليه وآثر عنده ولما خطب الى عقيل بن علقمة ابنه الحرياء قال اتى وان سبق الى المهر الف وعبدان وذود عشر احب اصهارى الى القبر وقال عبد الله بن طاهر

* لكل ابى بنت يراعى شؤونها * ثلاثة اصهار اذا جد انصهر *
 * فبعل يراعيها وخدر يكتنها * وقبر يواربها وفضلها القبر *
 ﴿ فصل ﴾ واما المواخاة بالودعة وهي الرابع من اسباب الالفة لانها تكسب بصادق الميل اخلاصا ومصافاة ويحدث بخلوص المصافاة وفاء ومحاماة وهذا اعلى مراتب الالفة ولذلك آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه لتزيد الفهم ويقوى تضافرهم وتناصرهم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم باخوان الصفاء فانهم زينة في الرخاء وعصمة في البلاء وروى ابو الزبير عن سهل بن سعد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المرء كثير باخيه ولاخير في صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لقاء الاخوان جلاء الاحزان وقال خالد بن صفوان ان اعجز الناس من قصر في طلب الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وقال على كرم الله وجهه لابنه الحسن يا بنى الغريب من ليس له حبيب وقال ابن المعتز من اتخذ اخوانا كانوا له اعوانا وقال بعض الادباء افضل الذخائر اخ وفي وقال بعض البلغاء صديق مساعد عضيد وساعد وقال بعض الشعراء

* هموم رجال في امور كثيرة * وهمى من الدنيا صديق مساعد *
 * نكون كروح بين جسمين قسمت * لجسماهما جسمان والروح واحد *
 وقيل انما سمي الصديق صديقا لصدقه والعدو عدوا لعدوه عليك وقال

ثعلب انما سمي الخليل خليلا لان محبته تخلل القلب فلا تدع فيه خلا الا ملائحته
وانشد الرياشي قول بشار

* قد تخلت مسلك الروح مني * وبه سمي الخليل خليلا *
والمواخاة في الناس قد تكون على وجهين احدهما اخوة مكتسبة بالاتفاق
الجاري مجرى الاضطرار والثانية مكتسبة بالقصد والاختيار فاما المكتسبة
بالاتفاق فهي اوكد حالا لانها تنعقد عن اسباب تعود اليها والمكتسبة بالقصد
تنعقد لهما اسباب تنقاد اليها وما كان جاريا بالطبع فهو الزم مما هو حادث
بالقصد ونحن نبدأ بالوجه الاول المكتسب بالاتفاق ثم نعبه بالوجه الثاني
المكتسب بالقصد اما المكتسب بالاتفاق فله اسباب يتبدى بها ثم ننقل في غاية
احواله المحدودة الى سبع مراتب ربما استكملتهن وربما وقفت على بعضهن ولكل
مرتبة من ذلك حكم خاص وسبب موجب قال الشاعر

* ما هوى الاله سبب * يتبدى منه وينشعب *
فاول اسباب الاخاء التجانس في حال يجتمعان فيها ويألفان بها فان قوى التجانس
قوى الاثلاف به وان ضعف كان ضعيفا ما لم تحدث علة اخرى يقوى بها الاثلاف
وانما كان ذلك كذلك لان الاثلاف بالتشاكل والتشاكل بالتجانس فاذا عدم
التجانس من وجه انتفى التشاكل من وجه ومع انقضاء التشاكل يعدم الاثلاف
فثبت ان التجانس وان تنوع اصل الاخاء وقاعدة الاثلاف وقد روى يحيى
ابن سعيد عن عمر عن عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الارواح جنود مجنونة فما تعارفت منها ائلفت وما تناكر منها اختلف
وهذا واضح وهى بالتجانس متعارفة وبفقدته متناكرة وقيل في مشور الحكم
الاضداد لا تتفق والاشكال لا تفرق وقال بعض الحكماء بحسن تشاكل الاخوان
يلتص التواصل وبعضهم

* فلا تحقر نفسى وانت خليلها * فكل امرئ يصبو الى من يشاكل *
❖ وقال آخر ❖

* فقلت اخي قالوا اخ من قرابة * فقلت لهم ان الشكول اقارب *
* نسبي في رأبي وعزى وهمتى * وان فرقنا في الاصول المناسب *

ثم يحدث بالتجانس الموصلة بين المتجانسين وهى المرتبة الثانية من مراتب الاخاء
وسبب الموصلة بينهما وجود الاتفاق منهما فصارت الموصلة نتيجة التجانس
والسبب فيه وجود الاتفاق لان عدم الاتفاق منفرد وقد قال الشاعر

* الناس ان وافقتهم عذبوا * او لا فان جناهم مر
* كم من رياض لا انيس بها * تركت لان طريقها وعمر *

ثم يحدث عن الموصلة رتبة ثالثة وسببها الانبساط ثم يحدث عن المؤانسة رتبة
رابعة وهى المصافاة وسببها خلوص النية ورتبة خامسة وهى المودة وسببها الثقة
وهذه الرتبة هى اننى الكمال فى احوال الاخاء وما قبلها اسباب تعود اليها فان
افترن بها المعاضدة فهى الصداقة ثم يحدث عن المودة رتبة سادسة وهى المحبة
وسببها الاستحسان فان كان الاستحسان لفضائل النفس حدثت رتبة سابعة
وهى الاعظام وان كان الاستحسان للصورة والحركات حدثت رتبة ثامنة وهى
العشق وسببه الطمع وقد قال المأمون رحمه الله تعالى

* اول العشق مزاح وولع * ثم يزداد اذا زاد الطمع
* كل من يهوى وان غالت به * رتبة الملك لمن يهوى تبع *

وهذه الرتبة آخر الرتب المحدودة وليس لما جاوزها رتبة مقدرة ولا حالة محدودة
لانها قد تؤدى الى ممازجة النفوس وان تميزت ذواتها وتفضى الى مخالطة
الارواح وان تفارقت اجسادها وهذه حالة لا يمكن حصر غايتها ولا الوقوف
عند نهايتها وقد قال الكندى الصديق انسان هو انت الا انه غيرك ومثل هذا
القول المروى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه حين اقطع طلحة بن عبيد الله
ارضا وكتب له بها كتابا واشهد فيه ناسا منهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه
فاثى طلحة بكتابه الى عمر ليختمه فامتنع عليه فرجع طلحة مغضبا الى ابى بكر رضى
الله عنه وقال والله ما ادرى انت الخليفة ام عمر فقال بل عمر لكنه انا واما
المكتسبة بالقصد فلا بد لها من داع يدعو اليها وباعث يبعث عليها وذلك
من وجهين رغبة وفاقفة فاما الرغبة فهى ان يظهر من الانسان فضائل تبعث
على اخائه ويتوسم بمحامل يدعو الى اصطفاؤه وهذه الحالة اقوى من التى بعدها
لظهور الصفات المطلوبة من غير تكلف لطلبها وانما يخاف عليها من

الاغترار بالتصنع لها فليس كل من اظهر الخير كان من اهله ولا كل من تخلق بالحسنى كانت من طبعه والتكلف للشيء منافي له الا ان يدوم عليه مستحسنا له في العقل او متدينا به في الشرع فيصير مطبعا به لا مطبوعا عليه لانه قد تقدم من كلام الحكماء ليس في الطبع ان يكون ما ليس في التطبع ثم نقول في المتعذر ان تكون اخلاق الفاضل كاملة بالطبع وانما الاغلب ان يكون بعض فضائله بالطبع وبعضها بالتطبع الجارى بالعادة مجرى الطبع حتى يصير ما تطبع به في العادة اغلب عليه مما كان مطبوعا عليه اذ خالف العادة ولذلك قيل العادة طبع ثان وقال ابن الرومي رحمه الله

* واعلم بان الناس من طينة * يصدق في الثلب لها الثالب *
 * لولا علاج الناس اخلاقهم * اذا لفاح الجمأ اللارب *
 واما الفاقة فهي ان يقتقر الانسان لوحشة انفراده ومهانة وحدته الى اصطفاء من يأنس بمواخاته ويشق بخصرته وموالاته وقد قالت الحكماء من لم يرغب بثلاث بلى بست من لم يرغب في الاخوان بلى بالعداوة والخذلان ومن لم يرغب في السلامة بلى بالشدائد والامتهان ومن لم يرغب في المعروف بلى بالتدانة والخسران ولعمري ان اخوان الصدق من انفس الذخائر وافضل العدد لانهم سبهاء النفوس واولياء النوائب وقد قالت الحكماء رب صديق اود من شقيق وقيل معاوية ايماء احب اليك قال صديق يميني الى الناس وقال ابن المعتز القريب بعداوته بعيد والبعيد بمودته قريب وقال الشاعر

* لمودة ممن يحبك محلصا * خير من الرحم القريب الكاشح *

وقال آخر

* يخونك ذو القربى مرارا وربما * وفي لك عند العهد من لا تناسبه *

فاذا عزم على اصطفاء الاخوان سبر احوالهم قبل اخائهم وكشف عن اخلاقهم قبل اصطفاتهم لما تقدم من قول الحكماء اسبر تخبر ولا تبعثه الوحدة على الاقدام قبل الخبرة ولا حسن الظن على الاغترار بالتصنع فان الملق مصائد العقول والتفاق تدليس الفطن وهما سحبة التصنع وليس فين يكون التفاف والملق بعض سببهايه خير يرجى ولا صلاح يؤمل ولاجل ذلك قالت الحكماء

اعرف الرجل من فعله لا من كلامه واعرف محبته من عينه لا من لسانه وقال
خالد بن صفوان انما اتفقت على اخواني الا اني لم استعمل معهم التفاسق ولا
قصرت بهم عن الاستحقاق وقال حماد بن عمار

* كم من اخ لك ليس تنكره * ما دمت في دنياك في يسر *
* متصنع لك في مودته * يلقاك بالترحيب والبشر *
* فاذا عدا والدهر ذو غير * دهر عليك عدا مع الدهر *
* فارفض باجال مودة من * يقلى المقل ويعشق المثرى *
* وعليك من حاله واحدة * في العسرا ما كنت واليسر *

على ان الانسان موسوم بسياء من قارب ومنسوب اليه افاعيل من صاحب
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب وقال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه الصاحب مناسب وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ما من
شيء اذل على شيء ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب وقال
بعض الحكماء اعرف اخاك باخيه قبلك وقال بعض الادباء يظن بالمرء ما يظن
بقريته وقال معدي بن زيد

* عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرن بالمقارن يقتدى *
* اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الازدي فتزدي مع الردى *
فلزم من هذا الوجه ايضا ان يحرص من دخل السوء ويحاذر اهل الرب
ليكون موفور العرض سليم العيب فلا يلام بلامه غيره وهذا قبل التثبت والارتياح
ومداومة الاختيار والابتلاء متعذر بل مفقود وقد ضرب ذو الرمة مثلا بالماء
فمين حسن ظاهره وخبت باطنه فقال

* ألم تر ان الماء يخبت طعمه * وان كان لون الماء ابيض صافيا *
ونظر بعض الحكماء الى رجل سوء حسن الوجه فقال اما البيت فحسن واما
الساكن فردى فاخذ جحظة هذا المعنى فقال

* رب ما ابين التباين فيه * منزل عامر وعقل خراب *
* وانشد في بعض اهل العلم *

* لا تركن الى ذى مظهر حسن * قرب زائقة قد ساء مخبرها *

* ما كل اصفر دينار لصفرة * صفز العقارب ارداها وانكرها *
ثم قد تقدم من قول الحكماء من لم يقدم الامتحان قبل الثقة و الثقة قبل الانس
اثرت مودته ندما وقال بعض البلغاء مصارمة قبل اختيار افضل من مواخاة على
اغترار وقال بعض الادباء لا تثق بالصدى قبل الخبرة ولا تقع بالعدو قبل القدرة
وقال بعض الشعراء

* لا تحمدن امرا حتى تجربه * ولا تذمنه من غير تجرب *
* فحمدك المرء ما لم تبله خطأ * وذمه بعد حمد شر تكذيب *

واذا قد لزمت من هذين الوجهين سبر الاخوان قبل اخائهم وخبرة اخلاقهم
قبل اصطفايهم فالخصال المعبرة في اخائهم بعد المجانسة التي هي اصل
الاتفاق اربع خصال ﴿ فالخصلة الاولى ﴾ عقل موفور يهتدى الى مرشد
الامور فان الحق لا تثبت معه مودة ولا تدوم لصاحبه استقامة وقد روى عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال البذاء لؤم وصحبة الاحق شؤم وقال بعض
الحكماء عداوة العاقل اقل ضررا من مودة الاحق لان الاحق ربما ضر وهو
يقدر ان ينفع و العاقل لا يتجاوز الحد في مضرة فضرته لها حد يقف عليه
العقل ومضرة الجاهل ليست بذات حد والمحدود اقل ضررا مما هو غير محدود
وقال المنصور للمسيب بن زهير ما مادة العقل فقال مجالسة العتلاء وقال بعض
البلغاء من الجاهل صحبة ذوى الجهل ومن المحال مجادلة ذوى المحال وقال بعض
الادباء من اشار عليك باصطناع جاهل او عاجز لم يخل ان يكون صديقا جاهلا
او عدوا عاقلا لانه يشير بما يضرك ويحتال فيما يضع منك وقال بعض الشعراء

* اذا ما كنت متخذاً خليلاً * فلا تثق بكل اخي اخاء *
* فان خيرت بينهم فالصق * باهل العقل منهم والحياء *
* فان العقل ليس له اذا ما * تفاضلت الفضائل من كفاء *

﴿ والخصلة الثانية ﴾ الدين للواقف بصاحبه على الخيرات فان تارك الدين
عدو لنفسه فكيف يرجي منه مودة غيره وقال بعض الحكماء اصطف من الاخوان
ذا الدين والحسب والرأى والادب فانه رء لك عند حاجتك ويد عند نائبتك

وانس عند وحشتك وزين عند عافيتك وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه

- * اخلاء الرخاء هم كثير * وان كان في البلاء هم قليل
- * فلا يفررك خلة من تواخى * فما لك عند نائبة خليل
- * وكل اخ يقول انا وفى * وان كان ليس يفعل ما يقول
- * سوى خل له حسب ودين * فذاك لما يقول هو الفعول

﴿ وقال آخر ﴾

- * من لم يكن فى الله خلة * فخليله منه على خطر
- ﴿ والحصلة الثالثة ﴾ ان يكون محمود الاخلاق مرضى الافعال مؤثرا للخير
- أمرأ به كارها للشر ناهيا عنه فان مودة الشرير تكسب الاعداء وتفسد الاخلاق
- ولا خير فى مودة تجلب عداوة وتورث مذمة فان المتبوع تابع صاحبه وقال عبد الله
- ابن المعتز اخوان الشر كشجر النارنج يحرق بعضها بعضا وقال بعض الحكماء
- مخالطة الاشرار على خطر والصبر على صحبتهم كركوب البحر الذى من سلم
- منه يبدنه من التلف فيه لم يسلم بقلبه من الحذر منه وقال بعض البلغاء صحة
- الاشرار تورث سوء الظن بالاخيار وقال بعض البلغاء من خير الاختيار صحة
- الاخيار ومن شر الاختيار صحة الاشرار وقال بعض الشعراء .

- * بمجالسة السفه سفاه رأى * ومن عقل بمجالسة الحكيم
- * فالك والقرين معا سواء * كما قد اديم من الاديم
- ﴿ والحصلة الرابعة ﴾ ان يكون من كل واحد منهما ميل الى صاحبه ورغبة
- فى مواخاته فان ذلك اوكد لخال المواخاة واعد لاسباب المصافاة اذ ليس كل مطلوب
- اليه طالب ولا كل مرغوب اليه راغب ومن طلب مودة تمتنع عليه ورغب الى
- زاهد فيه كان معنى خائبا كما قال الجعفى

- * وطلبت منك مودة لم اعطها * ان المعنى طالس لا يظفر
- ﴿ وقال العباس بن الاحنف ﴾

- * فان كان لا يدريك الاشفاعة * فلا خير فى ود يكون بشافع
- * واقسم ما ترى عتابك عن قلى * ولكن لعلنى انه غير نافع
- * وانى اذا لم ازم الصبر طائعا * فلا بد منه مكرها غير طائع

فاذا استكملت هذه الحاصل في انسان وجب اخاؤه وتمين اصطفاؤه وبحسب وفورها فيه يجب ان يكون الميل اليه والثقة به وبحسب ما يرى من غلبة احدهما عليه يجعل مستعملا في الخلق الغالب عليه فان الاخوان على طبقت مختلفة وانحاء متشعبة ولكل واحد منهم حال يختص بها في المشاركة وثلة يسدها في الموازنة والمظاهرة وليس تتفق احوال جميعهم على حد واحد لان التباين في الناس غالب واختلافهم في الشيم ظاهر وقال بعض الحكماء الرجال كالشجر شرابه واحد وثمره مختلف فاخذ هذا المعنى منصور بن اسماعيل فقال

- * بنو آدم كالثب * ونبت الارض الوان *
- * فمنهم شجر الصندل والكافور والبان *
- * ومنهم شجر افضل ما يحمل قطران *

ومن رام اخوانا تتفق احوال جميعهم رام متعذرا بل لو اتفقوا لكان رجا وقع به خلل في نظامه اذ ليس الواحد من الاخوان يمكن الاستعانة به في كل حال ولا المجبولون على الخلق الواحد يمكن ان يتصرفوا في جميع الاعمال وانما بالاختلاف يكون الائتلاف وقد قال بعض الحكماء ليس بليب من لم يعاشر بالعرف من لم يجد من معشرته بدا وقال المأمون الاخوان ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه وطبقة كالدواء يحتاج اليه احيايا وطبقة كالداء لا يحتاج اليه ابداء ولعمري ان الناس على ما وصفهم لا الاخوان منهم وليس من كان منهم كالداء من الاخوان المعدودين بل هم من الاعداء المحذورين وانما يداجون المودة استكفافا لشربهم وتحززا من مكاشفتهم فدخلوا في عداد الاخوان بالمظاهرة والمسايرة وفي الاعداء عند المكاشفة والمهاجرة قال بعض الحكماء مثل العدو الضاحك اليك كالخفلة الخضراء اوراقها القاتل من ارقها وقد قيل في منشور الحكم لا تغترن بمقاربة العدو فانه كالماء وان اطبل اسنانه بالنار لم يمنع من اطفائها وقال يزيد ابن الحكم الثقفي

- * تكاشرنى ضحكا كأنك ناصح * وعينك تبدى ان صدرك لى دوى *
- * لسانك معسول ونفسك علقم * وشرك مبسوط وخيرك ملتوى *
- * فليت كفافا كان خيرك كله * وشرك عني ما ارتوى الماء مرتوى *

فاذا خرج من كان كالداء من عداو الاخوان فالاخوان هم الصنفان الآخران اللذان من كان منهم كالغذاء وكالدواء لان الغذاء اقوم للنفس وحياتها والدواء علاجها وصلاحها وافضلها من كان كالغذاء لان الحاجة اليه اعم واذا تميز الاخوان وجب ان ينزل كل منهم حيث نزلت به احواله اليه واستقرت خصاله وخلاله عليه فن قويت اسبابه قويت الثقة به وبحسب الثقة به يكون الركون اليه والتعويل عليه وقال الشاعر

* ما انت بالسبب الضعيف وانما * نجح الامور بقوة الاسباب *
 * فاليوم حاجتنا اليك وانما * يدعى الطيب لشدة الاوصاب *

وقد اختلفت مذاهب الناس في اتخاذ الاخوان فبهم من يرى ان الاستكثار منهم اولى ليكونوا اقوى منعة ويذا واوفر تحببا وتوددا واكثر تصاونا وتفقدا وقيل لبعض الحكماء ما العيش قال اقبال الزمان وعز السلطان وكثرة الاخوان وقيل حلية المرء كثرة اخوانه ومنهم من يرى ان الاقلال منهم اولى لانه اخف اثقالا وكلفا واقل تنازعا وخلفا وقال الاسكندر المستكثر من الاخوان من غير اختيار كالمستوفر من الحجارة والمقل من الاخوان المتخير لهم كالذى يتخير الجواهر وقال عمرو بن العاص من كثر اخوانه كثر غرماؤه وقال ابراهيم بن العباس مثل الاخوان كالنار قليلهما متاع وكثيرهما بوار ولقد احسن ابن الرومي في هذا المعنى ونبه على العلة حيث يقول

* عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب *
 * فان الداء اكثر ما تراه * يكون من الطعام او الشراب *
 * ودع عنك الكثير فكم كثير * يعاف وكم قليل مستطاب *
 * فما اللجج السلاح بمرويات * وتلقى الرى في النطف العذاب *

وقال بعض البلغاء ليكن غرضك في اتخاذ الاخوان واصطناع النصحاء تكثير العدة لا تكثير العدة وتحصيل النفع لا تحصيل الجمع فواحد يحصل به المراد خير من الف تكثر الاعداد واذا كان التجانس والتشاكل من قواعد الاخوة واسباب المودة كان وفور العقل وظهور الفضل يقتضى من حال صاحبه قلة اخوانه لانه يروم مثله ويطلب شكله وامثاله من ذوى العقل والفضل اقل من اصداده من ذوى الجمق

والنقص لان الخيار في كل شيء هو الاقل فلذلك قل وفور العقل والفضل وقد قال الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون فقل بهذا التعليل اخوان اهل الفضل لانهم وكثر اخوان ذوى النقص والجهل لكثرتهم وقد قال في ذلك الشاعر

* لنكل امرئ شكل من الناس مثله * فاكثرهم شكلا اقلهم عقلا *
 * وكل اناس آلفون لشكلهم * فاكثرهم عقلا اقلهم شكلا *
 * لان كثير العقل لست بواجد * له في طريق حين يسلكه مثلا *
 * وكل سفيه طائش ان فقدته * وجدت له في كل ناحية عدلا *

واذا كان الامر على ما وصفنا فقد تنقسم احوال من دخل في عدد الاخوان اربعة اقسام منهم من يعين ويستعين ومنهم من لا يعين ولا يستعين ومنهم من يستعين ولا يعين ومنهم من يعين ولا يستعين فاما المعين والمستعين فهو معاوض منصف يؤدى ما عليه ويستوفى ما له فهو القروض يسعف عند الحاجة ويسترد عند الاستغناء وهو مشكور في معونته ومعذور في استعانه فهذا اعدل الاخوان واما من لا يعين ولا يستعين فهو منازل قد منع خيره وقع شره فهو لا صدق يرجى ولا عدو يخشى وقد قال المغيرة بن شعبة رضى الله عنه التارك للاخوان متروك واذا كان كذلك فهو كالصورة المثلثة يروقك حسناتها ويخونك نفعها فلا هو مذموم لتمع شره ولا هو مشكور لمنع خيره وان كان باللوم اجدر وقد قال الشاعر

* واسوأ ايام الفتي يوم لا يرى * له احد يزرى عليه وينكر *
 * غير ان فساد الوقت وتغير اهله يوجب شكر من كان شره مقطوعا وان كان خيره ممنوعا كما قال المتنبي

* انا لى زمن ترك التبع به * من اكثر الناس احسان واجال *
 * واما من يستعين ولا يعين فهو لثيم كل ومهين مستذل قد قطع عنه الرغبة وبسط فيه الرهبة فلا خيره يرجى ولا شره يؤمن وحسبك مهانة من رجل مستقل هند اقلاله ويستقل عند استقلاله فليس لثمه في الاخاء حظ ولا في الوداد نصيب وهو ممن جعله المأمون من داء الاخوان لا من دوائهم ومن سمهم لا من غدائهم

وقال بعض الحكماء شر ما في الكريم ان يمنعك خيره وخير ما في اللئيم ان يكف عنك شره وقال ابن الرومي

* عذرتنا النخل في ابداء شوك * يرد به الانامل عن جنباه *
 * فما للعوسج الملعون ابداء * لنا شوكا بلا ثمر نراه *
 واما من يعين ولا يستعين فهو كرم الطبع مشكور الصنع وقد حاز فضيلتي الابتداء
 والاكتفاء فلا يرى ثقيلًا في نأية ولا يقعد عن نهضة في معونة فهذا اشرف
 الاخوان نفسا واکرمهم طبعًا فينبغي لمن اوجده الزمان مثله وقل ان يكون له
 مثل لانه البر الكريم والدر اليتيم ان يفي عليه خنصره وبعض عليه ناجذه
 ويكون به اشد ضنا منه بنفائس امواله وسني ذخائره لان نفع الاخوان عام ونفع
 المال خاص ومن كان اعم نفعًا فهو بالادخار احق وقال الفرزدق
 * يميضي اخوك فلا تلق له خلفا * والمال بعد ذهاب المال مكتسب *

﴿ وقال آخر ﴾

* لكل شيء عذمته عوض * وما لفقد الصديق من عوض *
 ثم لا ينبغي ان يزهد فيه خلق او خلتين ينكرهما منه اذا رضى سائر اخلاقه
 وجد اكثر شيمه لان السير مغفور والكمال معوز وقد قال الكندي كيف تريد
 من صديقك خلقًا واحدا وهو ذو طبائع اربع مع ان نفس الانسان التي هي
 اخص النفوس به ومدة باختياره وارادته لا تعطيه قيادها في كل ما يريد ولا
 تجيبه الى طاعته في كل ما يحب فكيف بنفس غيره وحسبك ان يكون لك
 من اخيك اكثره وقد قال ابو الدرداء رضي الله عنه معاتبه الاخ خير من فقده
 ومن لك باخيك كله فاخذ الشعراء هذا المعنى فقال ابو العتاهية

* أأخي من لك من بنى الدنيا بكل اخيك من لك *
 * فاستبق بعضك لا يملك كل من اعطيت كك *

﴿ وقال ابو تمام الطائي ﴾

* ما غبن المغبون مثل عقله * من لك يوما باخيك كله *
 وقال بعض الحكماء طلب الانصاف من قلة الانصاف وقال بعض البلغاء لا يزهدنك
 في رجل حدث سيرته وارتضيت وتيرته وعرفت فضله وبطنت عقله عيب يحيط

به كثرة فضائله او ذنب صغير تستغفر له قوة وسائله فالك لن تجد ما بقيت مهذبا
لا يكون فيه عيب ولا يقع منه ذنب فاعتبر نفسك بعد ان لا تراها بعين الرضى
ولا تجرى فيها على حكم الهوى فان فى اعتبارك واختيارك لها ما يؤيسك مما تطلب
ويعطفك على من يذنب وقد قال الشاعر

* ومن ذا الذى ترضى سبحانه كلها * كنى المرء نبلا ان تعد معايبه *

﴿ وقال النابغة الذبياني ﴾

* ولست بمستبق اخا لآلته * على شعث اى الرجل المهذب *
وليس ينقض هذا القول ما وصفنا من اختياره واختيار الخصال الاربع فيه لان
ما اعوز فيه معفو عنه وهذا لا ينبغي ان توحشك فترة تجدها منه ولا ان
تسئ الظن فى كعبه تكون منه ما لم تتحقق تغيره وتيقن تنكره وليصرف ذلك
الى فترات النفوس واستراحات الخواطر فان الانسان قد يتغير عن مراعاة نفسه
التي هى اخص النفوس به ولا يكون ذلك من عداوة لها ولا ملل منها وقد قيل
فى منشور الحكم لا يفسدك الظن على صديق قد اصلحك اليقين له وقال جعفر
ابن محمد لابنه يا بني من غضب من اخوانك ثلاث مرات فلم يقل فيك سوءا فاتخذته
لنفسك خلا وقال الحسن بن وهب من حقوق المودة اخذ عفو الاخوان
والاغضاء عن تقصير ان كان وقد روى على رضى الله عنه فى قوله تعالى فاصفح
الصفح الجليل قال الرضى بغير عتاب وقال ابن الرومى

* هم الناس والدنيا ولا بد من قذى * يلم بعين او يكدر مشربا *

* ومن قلة الانصاف انك تتبغى المذهب فى الدنيا ولست المهذبا *

﴿ وقال بعض الشعراء ﴾

* تواصلنا على الايام باق * ولكن هجرنا مطر الربيع *

* يروعك صوبه اكن تراه * على علاته داني النزوع *

* معاذ الله ان نلقى غضابا * سوى ذل المطاع على المطيع *

﴿ وانشدنى الازدى ﴾

* لا يؤيسنك من صديق نبوة * يذو الفتى وهو الجواد الخضرم *

* فاذا نبا فاستبقه وتأنه * حتى تنئى به وطبعك اكرم *

واما الملول وهو السريع التغير الوشيك التنكر فوداده خطر واخاؤه غرر لانه لا يبقى على حالة ولا يخلو من استحالة وقد قال ابن الرومي

* اذا انت ماتت الملول فلما * تخط على صحف من الماء احرفا *
* وهبه اروعى بعد العتاب ألم تكن * مودته طبعاً فصارت ككلفا *

وهم نوعان منهم من يكون مله استراحة ثم يعود الى المعهود من اخائه فهذا اسلم الملائن واقرب الرجلين يسامح في وقت استراحته وحين فترته ليرجع الى الحسنى ويؤوب الى الاخاء وان تقدم المثل بما نظمه الشاعر حيث قال

* وقالوا يعود الماء في النهر بعد ما * عفت منه آثار وجفت مشارعه *
* فقلت الى ان يرجع الماء عائدا * ويعشب شطاه تموت ضفادعه *

لكن لا يطرح حقه بالتوهم ولا يسقط حرمة بالظنون وقال الشاعر

* اذا ما حال عهد اخيك يوما * وحاد عن الطريق المستقيم *
* فلا تجعل بلومك واستدمه * فان اخا الحفاظ المستديم *

* فان تك زلة منسه والا * فلا تبعد عن الخلق الكريم *
ومنهم من يكون مله تركا واطراحا ولا يراجع اخا ولا ودا ولا يتذكر حفاظا ولا عهدا كما قال اشجع بن عمر السلمي

* انى رأيت لها مواصلة * كالسم تفرغه على الشهد *
* فاذا اخذت بعهد ذمتها * لعب الصدود بذلك العهد *

وهذا اذم الرجلين حالا لان مودته من وساوس الخطرات وعوارض الشهوات وليس الاستدراك الحال معه بالاقلاع قبل المخالطة وحسن المتاركة بعد الورطة كما قال العباس بن الاحف

* تداركت نفسي فعريتها * وبفضتها فيك آمالها *
* وما طابت النفس عن سلوة * ولكن جلت عليها لها *

وما مثل من هذه حاله الا كما قد قال ابراهيم بن هرمة

* فانك واطراحك وصل سلمي * لآخري في مودتها ككوب *
* ككثاقبة حللى مستعار * لاذنيها فشانها الثقوب *

* فأدت حللى جارتها اليها * وقد بقيت باذنيها ندوب *

واذا وصفت له اخلاق من سببه وتهتدت لديه احوال من خبره واقدم على اصطفاؤه اخا وعلى اتخاذه خدنا لزمته حينئذ حقوقه ووجبت عليه حرمانه وقال عمر بن مسعود العبودية عبودية الاخاء لا عبودية الرق وقال بعض الحكماء من جاد لك بمودته فقد جعلك عديل نفسه قائل حقوقه اعتقاد مودته ثم ابتأسه بالانديساظ اليه في غير محرم ثم نصحه في السر والعلانية ثم تخفيف الاثقال عنه ثم معاونته فيما ينوبه من حادثة او يناله من نكبة فان مر اقْبته في الظاهر نفاق وتركه في الشدة لؤم وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير اصحابك المعين لك على دهرك وشرهم من سعى لك بسوق (كذا في الاصل) يوم وقيل يا رسول الله اى الاصحاب خير قال الذى اذا ذكرت اعانك وواساك وخير منه من اذا نسيت ذكرك وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه خير اخوانك من واساك وخير منه من كافاك وكان ابو هريرة رضى الله عنه يقول اللهم انى اعوذ بك ممن لا يلتصم خالص مودتى الا بموافقة شهوتي ومن ساعدنى على سرور ساعتى ولا يفكر فى حوادث غدنى وقال بعض البلغاء عقود الفادر محلولة وعهوده مدخولة وقال بعض البلغاء ما ودك من اهمل ودك ولا احبك من ابغض حبك وقال بعض الشعراء

* وكل اخ عند الهونا ملاطف * ولكئنا الاخوان عند الشدائد *
وقال صالح بن عبد القدوس شر الاخوان من كانت مودته مع الزمان اذا اقبل فاذا ادبر الزمان ادبر عنك فاخذ هذا المعنى الشاعر فقال
* شر الاخلاء من كانت مودته * مع الزمان اذا ما خاف او رغبا *
* اذا وترت امراء فاحذر عداوته * من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا *
* ان العدو وان ابدى مسالمة * اذا رأى منك يوما فرصة وثبا *
وينبغي ان يتوقى الافراط في محبته فان الافراط داع الى التقصير ولان تكون الحال بينهما نامية اولى من ان تكون متناهية وقد روى ابن سيرين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بفيضك يوما ما وابغض بفيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما وقال عمر بن

دليل على قلة الاكتراث بامر الصديق وقد قيل علة المعادة قلة المبالاة بل تنوسط
حالتا تركه وعتابه فيسأح بالتاركة ويستصلح بالمعابة فان المساعدة والاستصلاح
اذا اجتمعا لم يلبث معهما نفور ولم يبق معهما وجد وقد قال بعض الحكماء
لا تكثرن معابة اخوانك فيهنون عليهم سخطك وقال منصور النمرى

* اقل عتاب من استربت بوده * ليست نال مودة بعتاب *

﴿ وقال بشار بن برد ﴾

* اذا كنت في كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه *
* وان انت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وائى الناس تصفو مشاربه *
* فعش واحدا او صل اخاك فانه * مقارفى ذنب مرة ومجانبه *
ثم ان من حق الاخوان ان تغفر هفوتهم وتستر زلتهم لان من رام بريشا من
الهفوات سليما من الزلات رام امرا معوزا واقترح وصفا معجزا وقد قالت الحكماء
اى عالم لا يهفو وائى صارم لا ينبو وائى جواد لا يكيو وقالوا من حاول صديقا
يامن زلته ويدوم اغتباطه به كان كضال الطريق الذى لا يزداد لنفسه اتعابا الا
ازداد من غايته بعدا وقيل لخالد بن صفوان اى اخوانك احب اليك قال من
غفر زللى وقطع عللى وبلغنى املى وقال بعض الشعراء

* ما كنت الفخص عن اخى ثقة * الاندمت عواقب الفخص *

﴿ وانشدت عن الربيع للشافعى رضى الله عنه ﴾

* احب من الاخوان كل موأتى * وكل غضيض الطرف عن عثرأتى *
* يوافقنى فى كل امر اریده * ويحفظنى حيا وبعد وفأتى *
* فنلى بهذا ليت انى اصبته * فقاسمته مالى من الحسنات *
* تصفحت اخوانى وكان اقلهم * على كثرة الاخوان اهل ثقتانى *

﴿ وانشد ثعلب ﴾

* اذا انت لم تستقبل الامر لم تجد * بكفك فى ادياره متعلقا *
* اذا انت لم تترك اخاك وزلة * اذا زلها او شكتما ان تفرقا *
وحكى الاصمعى عن بعض الاعراب انه قال تناس مساوى الاخوان يدم لك ودهم

وروى بعض الادباء اخاله فقال كن للود حافظا وان لم تجد محافظا وللخل واصلا
وان لم تجد مو اصلا وقال رجل من اباد ليريد بن المهلب
* اذا لم تجاوز عن اخ عند زلة * فلست غدا عن عثرتي متجاوزا *
* وكيف يرجيك البعيد لنفعه * اذا كان عن مولاك خيرك عاجزا *
* ظلمت اخا كلفته فوق وسعه * وهل كانت الاخلاق الا غرازا *
وقال ابو مسعود كاتب الرضى كنا في مجلس الرضى فشكى رجل من اخيه
فانشد الرضى

* اعذر اخاك على ذنوبه * واستر وغط على عيوبه *
* واصبر على بهت السفينة وللزمان على خطوبه *
* ودع الجواب تفضلا * وكل الظلوم الى حسبه *
* واعلم بان الحسب عند الغيظ احسن من ركوبه *

وحكى عن بنت عبد الله بن مضيع انها قالت لزوجها طلحة بن عبد الرحمن بن
عوف الزهرى وكان اجود قريش في زمانه ما رأيت قوما ألائم من اخوانك قال
مه ولم ذلك قالت اراهم اذا ايسرت لزموك واذا اعسرت تركوك قال هذا
والله من كرمهم بأنونا في حال القوة بنا عليهم ويتكوننا في حال الضعف بنا
عنهم فانظر كيف تأول بكرمه هذا التأويل حتى جعل قبيح فعلهم حسنا وظاهر
غدرهم وفاء وهذا محض الكرم ولباب الفضل وبمثل هذا يلزم ذوى الفضل ان
يتأولوا الهفوات من اخوانهم وقد قال بعض الشعراء

* اذا ما بدت من صاحب لك زلة * فكن انت محتالا لزلته عذرا *
* احب الفتى بنى الفواحش سمعه * كأن به عن كل فاحشة وقرا *
* سليم دواعى الصبر لا باسط اذى * ولا مانع خيرا ولا قاتل هجرا *

والداعى الى هذا التأويل شيان التفاؤل الحادث عن الفطنة والتألف الصادر
عن الوفاء وقال بعض الحكماء وجدت اكثر امور الدنيا لا تجوز الا بالتغافل وقال
اكرم بن صفي من شدد نفر ومن تراخى تألف والشرف في التغافل وقال شبيب
ابن شيبه الاديب العاقل هو الفطن المتغافل وقال الطائي

* ليس الغي بسيد في قومه * لكن سيد قومه المتغابي *

❖ وقال ابو العنابه ❖

- * ان في صحة الاخاء من الناس * س وفي خلة الوفاء لقلة *
- * فالبس الناس ما استطعت على النقص والا لم تستقم لك خلة *
- * عش وحيدا ان كنت لا تقبل الغد * روان كنت لا تجاوز زله *
- * من اب واحد وام خلفنا * غير انا في المال اولاد عله *

ومما يتبع هذا الفصل تألف الاعداء بما يشبههم عن البغضاء ويعطفهم على المحبة وذلك قد يكون بصنوف من البر ويختلف بسبب اختلاف الاحوال فان ذلك من سمات الفضل وشروط السؤدد فانه ما اخذ يعدم عدوا ولا يفقد حاسدا وبسبب قدر النعمة تكثر الاعداء والحسدة كما قال البخري

- * ولن تستبين الدهر موقع نعمة * اذا انت لم تدلل عليها بحاسد *
- * فان اغفل تألف الاعداء مع وفور النعمة وظهر الحسدة توالى عليه من مكر حليمهم وبادة سفيهم ما يصير به النعمة غراما والزمانة ملاما وروى ابن المسيب عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس العقل بعد الايمان بالله تعالى التودد الى الناس وقال سليمان بن داود عليهما السلام لابنه لا تستكثر ان يكون لك الف صديق فالالف قليل ولا تستقل ان يكون لك عدوا واحدا فالواحد كثير فنظم ابن الرومي هذا المعنى فقال

- * فكثر من الاخوان مما استطعت انهم * بطون اذا استجدتهم وظهر *
- * وليس كثيرا الف خل وصاحب * وان عدوا واحدا لكثير *
- وقيل لعبد الملك بن مروان ما افدت في ملكك هذا قال مودة الرجال وقال بعض الحكماء من علامة الاقبال اضطناع الرجال وقال بعض البلغاء من استصلح عدوه زاد في عدده ومن استفسد صديقه نقص من عدده وقال بعض الادباء العجب ممن يطرح عاقلا كافيا لما يضمه من عداوته ويصطنع عاجزا جاهلا لما يظهره من محبته وهو قادر على استصلاح من يعاديه بحسن صناعته واياديه وانشد عبد الله بن الزبير ثلاثة ايات بجامعة لكل ما قالته العرب وهي للافوه واسمه صله بن عمرو حيث يقول

- * بلوت الناس قرنا بعد قرن * فلم ار غير ختال وقال *

* وذقت مرارة الاشياء جمعا * فطعم امر من السؤال *
 * ولم ار في الخطوب اشد هولاً * واصعب من معاداة الرجال *
 * وقال القاضي النوخى *

* الق العدو بوجه لا قطوب به * يكاد يقطر من ماء البشاشات *
 * فاحزم الناس من يلقي اعاديه * في جسم حقد وثوب من مودات *
 * الرفق بين وخير القول اصدقه * وكثرة المرح مفتاح العداوات *
 * وانشدت عن الربيع الشافعي رضي الله عنه *

* لما عفوت ولم احقد على احد * ارجت نفسي من هم العداوات *
 * اتى احبي عدوى عند رؤيته * لادفع الشر عنى بالحيات *
 * واطهر البشر للانسان ابغضه * كأنما قد حشى قلبى محبات *
 * الناس داء دواء الناس قربهم * وفي اعترالهم قطع المودات *

وليس وان كان بتألف الاعداء مأمورا والى مقاربتهم مندوبا ينبغي ان يكون لهم
 رآكنا وبهم واثقاب يكون منهم على حذر ومن مكرهم على تحرز فان العداوة
 اذا استحكمت فى الطباع صارت طبعاً لا يستحيل وجبلة لا تزول وانما يستكفى
 بالتألف اظهارها ويستدفع به اضرارها كالتار يستدفع بالماء احراقها ويستفاد
 به انضاجها وان كانت محرقة بطبع لا يزول وجوه لا يتغير وقال الشاعر

* واذا عجزت عن العدو فداره * وامزح له ان المزاح وفاق *
 * فالتار بالماء الذى هو ضدها * تعطى النضاج وطبعها الاحراق *

* فصل * واما البر وهو الخامس من اسباب الالفة فلائنه يوصل الى
 القلوب الطافا ويثنيها محبة وانعطافا ولذلك ندب الله تعالى الى التعاون به
 وقرنه بالتقوى له فقال وتعاونوا على البر والتقوى لان فى التقوى رضى الله تعالى
 وفى البر رضى الناس ومن جمع بين رضى الله تعالى ورضى الناس فقد تمت سعادته
 وعمت نعمته وروى الامميش عن خزيمة عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من
 اساء اليها وحكى ان الله تعالى اوحى الى داود على نبينا وعليه السلام ذكر

عبادى احسانى اليهم ليحبوني فانهم لا يحبون الا من احسن اليهم وانشدنى
ابو الحسن الهاشمى

* الناس كلهم عيا * ل الله تحت ظلاله *

* فاحبهم طرا اليه ابرهم لعيساله *

والبر نوعان صلة ومعروف فاما الصلة فهي التبرع ببذل المال فى الجهات
المحمودة لغير عوض مطلوب وهذا يبعث عليه سماحة النفس وسخاؤها
ويمنع منه شحها واباؤها قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
وروى محمد بن ابراهيم التيمى عن عروة بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال السخي قريب من الله عز وجل قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من
النار والبخل بعيد من الله عز وجل بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من
النار وقال صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم رفع الله عن ايك العذاب الشديد
لسخائه وبلغه صلى الله عليه وسلم عن الزبير امساك فحذب عمامته اليه وقال
يا زبير انا رسول الله اليك والى غيرك يقول انفق انفق عليك ولا تؤل فأول عليك
وروى ابو الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم غربت
فيه شمس الا وملكنا يناديان اللهم أعط منفقنا خلفا وممسكا تلفا وانزل فى ذلك
القرآن فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فستيسره اليسرى واما من بخل
واستغنى وكذب بالحسنى فستيسره اليسرى قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى
من اعطى فيما امر واتقى فيما حظر وصدق بالحسنى يعنى بالخلف من عطائه
فعند هذا قال ابن عباس رضى الله عنهما لسادات الناس فى الدنيا الاسخياء وفى
الآخرة الاتقياء وقيل فى منشور الحكم الجود عن موجود وقيل فى المثل سؤدد
بلا جود كمالك بلا جنود وقال بعض الحكماء الجود حارس الاعراض وقال بعض
الادباء من جاد ساد ومن اضعف ازداد وقال بعض الفصحاء جود الرجل يحببه
الى اضداده وبخله يبعثه الى اولاده وقال بعض الفصحاء خير الاموال ما استرق
حرا وخير الاعمال ما استحق شكرا وقال صالح بن عبد القدوس

* ويظهر عيب المرء فى الناس ببخله * ويستتره عنهم جميعا سخاؤه *

* تضط باثواب السخاء فانى * ارى كل عيب فالسخاء غطاؤه *

وحد السخاء بذل ما يحتاج اليه عند الحاجة وان يوصل الى مستحقة بقدر العطافة
وتدبير ذلك مستصعب ولعل بعض من يحب ان ينسب الى الكرم ينكر حد
السخاء ويجهل تقدير العطية فيه نوعا من البخل وان الجود بذل الموجود وهذا
تكلف يفضي الى الجهل بمحدود الفضائل ولو كان الجود بذل الموجود لما كان
للسرف موضعا ولا للتبذير موقعا وقد ورد الكتاب بذهمهما وجاءت السنة بالهوى
عنهما واذا كان السخاء محدودا فن وقف على حده سمي كريما وكان للحمد
مستحقا ومن قصر عنه كان بخيلا وكان للذم مستوجبا وقد قال الله تعالى
ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم
سيطوفون ما بخلوا به يوم القيامة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اقسم الله تعالى بعزته لا يجاوره بخيل وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال طعام
الجواد دواء وطعام البخيل داء وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقول
الشحيح اعذر من الظالم فقال لعن الله الشحيح ولعن الظالم وقال بعض الحكماء
البخل جلابب المسكنة وقال بعض الادباء البخيل ليس له خليل وقال بعض البلغاء
البخيل حارس نعمته وخازن ورثته وقال بعض الشعراء

- * اذا كنت جاعا للمالك ممسكا * فانت عليه خازن وامين *
- * تؤديه مذموما الى غير حامد * فيأكله عفوا وانت دفين *
- وتظاهر بعض ذوى النباهة بحب الثناء مع امساك فيه فقال بعض الشعراء
- * اراك تؤمل حسن الثناء * ولم يرزق الله ذاك البخيلا *
- * وكيف يسود اخو بطنة * بين كثير وبعطي قليلا *
- وقد بينا حب الثناء وحب المال لان الثناء يبعث على البذل وحب المال يمنع منه
فان ظهرا كان حب الثناء كاذبا وقد قال بعض الشعراء
- * جمعت امرين ضاع الحزم بينهما * تيه الملوكة واخلاق الممالك *
- * اردت شكرا بلا بر ولا صلة * لقد سلكت طريقا غير مسلوك *
- * ظننت عرصك لم يقرع بقارعة * وما اراك على حال بمترك *
- * لئن سبقت الى مال حظيت به * فاسبقت الى شيء سوى التوك *
- وقد يحدث عن البخيل من الاخلاق المذمومة وان كان ذريعة الى كل مذمة اربعة

اخلاق ناهيك بها ذما وهي الحرص والشره وسوء الظن ومنع الحقوق • فانا
الحرص فهو شدة الكدح والاسراف في الطلب واما الشره فهو
استقلال الكفاية والاستكثار لغير حاجة وهذا فرق ما بين الحرص والشره وقد
روى العلاء بن جرير عن ابيه عن سالم بن مسروق قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من لا يحزبه من الغيش ما يكفيه لم يجد ما عاش ما يقنيه وقال بعض الحكماء
الشره من غرائز اللؤم واما سوء الظن فهو عدم الثقة بمن هو لها اهل فان
كان بالحائق كان شكاً يؤول الى ضلال وان كان بالمخلوق كان استخانة يصير
بها محتاناً وخواناً لان ظن الانسان بغيره بحسب ما يراه من نفسه فان وجد فيها
خيراً ظنه في غيره وان رأى فيها سوءاً اعتقده في الناس وقد قيل في المثل كل
اناء ينضح بما فيه فان قيل قد تقدم من قول الحكماء ان الحرص سوء الظن
قيل تأويله قلة الاسترسال اليهم لا اعتقاد السوء فيهم واما منع الحقوق فان
نفس البخيل لا تسمح بفراق محبوبها ولا تنادى الى ترك مطلوبها فلا تدع الحق
ولا تجيب الى انصاف واذا آل البخيل الى ما وصفنا من هذه الاخلاق المذمومة
والشيم اللثيمة لم يبق معه خير مرجو ولا صلاح مأمول وقد روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال للانصار من سيدكم قالوا الحر بن قيس على بخل
فيه فقال صلى الله عليه وسلم وائى داء ادوأ من البخل قالوا وكيف ذاك
يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ان قوماً نزلوا بساحل البحر فكروهوا البخلهم
نزول الاضياف بهم فقالوا ليبعد الرجال منا عن النساء حتى يعتذر الرجال الى
الاضياف بعد النساء وتعتذر النساء بعد الرجال ففعلوا وطال ذلك بهم
فاشتغل الرجال بالرجال والنساء بالنساء واما السرف والتبذير فان من زاد على
حد السخاء فهو مسرف ومبذر وهو بالذم جدير وقد قال الله تعالى ولا تسرفوا
انه لا يحب المسرفين وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما عال من
اقتصد وقد قال المأمون رحمه الله لا خير في السرف ولا سرف في الخير وقال
بعض الحكماء صديق الرجل قصده وسرفه عدوه وقال بعض البلغاء لا كثير
مع اسراف ولا قليل مع احتراف واعلم ان السرف والتبذير قد يفرق معناهما
فالسرف هو الجهل بمقادير الحقوق والتبذير هو الجهل بمواقع الحقوق وكلاهما

مذموم واذم التبذير اعظم لان السرف يخطئ في الزيادة والبذر يخطئ في الجهل
ومن جهل مواقع الحقوق ومقاديرها بماله واخطأها فهو كمن جهلها بفعاله فتعدها
وكما انه بتبذيره قد يضع الشيء في غير موضعه فهكذا قد يعدل به عن موضعه لان
المال اقل من ان يوضع في كل موضع من حق وغير حق وقد قال معاوية رضي
الله عنه كل سرف فبازائه حق مضيع وقال بعض الحكماء الخطأ في اعطاء ما
لا ينبغي ومنع ما ينبغي واحد وقال سفيان الثوري رضي الله عنه الحلال لا يحتمل
السرف وليس يتم السخاء ببذل ما في يده حتى تسخو نفسه عما يد غيره فلا يميل
الى طالب ولا يكف عن بذل وقد حكى ان الله تعالى اوحى الى ابراهيم الخليل
على نبينا وعليه السلام ائدري لما اتخذت خيلا قال لا يارب قال لاني رأيتك
تحب ان تعطى ولا تحب ان تأخذ وروى سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه
قال اتى رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله مرني بعمل يحبني
الله عليه ويحبني الناس فقال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي
الناس يحبك الناس وقال ايوب السخنياني لا يبدل الرجل حتى يكون فيه خصلتان
العفة عن اموال الناس والتجاوز عنهم وقيل لسفيان ما الزهد في الدنيا قال
الزهد في الناس وكتب كسرى الى ابنه هرمز يا بني استقل الكثير مما تعطى
واستكثر القليل مما تأخذ فان قرة عيون الكرام في الاعطاء وسرور اللثام في
الاخذ ولا تعد الشحج امينا ولا الكذاب حرافة لا عفة مع الشح ولا مروءة مع
الكذب وقال بعض الحكماء السخاء سخاء ان اشرفهما سخاؤك عما يد غيرك
وقال بعض البلغاء السخاء ان تكون بمالك متبرعا وعن مال غيرك متورعا وقال بعض
الصالحاء الجود غاية الزهد والزهد غاية الجود وقال بعض الشعراء
* اذا لم تكن نفس الشريف شريفة * وان كان ذا قدر فلا يس له شرف *
والبذل على وجهين احدهما ما ابتدأ به الانسان من غير سؤال والثاني ما كان عن
طلب وسؤال فاما المبتدئ به فهو اذ بهما سخاء واشرفهما عطاء وسئل علي
كرم الله وجهه عن السخاء فقال ما كان منه ابتداء فاما ما كان عن مسألة فخياء
وقال بعض الحكماء اجل النوال ما وصل قبل السؤال وقال بعض الشعراء
* وفني خلا من ماله * ومن المزومة غير خالي *

* اعطاك قبل سؤاله * وكفاك مكروه السؤال *
 وهذا النوع من البذل قد يكون لتسعة اسباب ❀ فالسبب الاول ❀ ان يرى
 خلة يقدر على سدها وفاقه يتمكن من ازالته فلا يدعه الكرم والتدين الا ان
 يكون زعيم صلاحها وكفيل نجاحها رغبة في الاجر ان تدين وفي الشكر ان
 تكرم وقال ابو العناهية

* ما الناس الا آلة معتملة * للخير والشر جميعا فعلة *
 ❀ والسبب الثاني ❀ ان يرى في ماله فضلا عن حاجته وفي يده زيادة عن
 كفايته فيرى انتهاز الفرصة بها فيضعها حيث تكون له ذخرا معدا وغنا
 مستجدا وقد قال الحسن البصري رحمه الله ما انصفك من كلفك اجلاله ومنعك
 ماله وقيل لهند بنت الحسن من اعظم الناس في عينك قالت من كان لي اليه
 حاجة وقال الشاعر

* وما ضاع مال ورث الحمد اهله * ولكن اموال البخيل تضيع *
 ❀ والسبب الثالث ❀ ان يكون لتعريض يتنبه عليه لفتنة واشارة يستدل
 عليها بكرمه فلا يدعه الكرم ان يغفل ولا الحياء ان يكف وقد حكى ان رجلا
 سائر بعض الولاة فقال ما اهزل برؤيتك فقال يده مع ايدينا فوصله اكتفاء بهذا
 التعريض الذي بلغ ما لا يبلغه صريح السؤال ولذلك قال اكثم بن صيفي السخاء
 حسن الفتنة واللؤم سوء التفاضل وحكى ان عبيد الله بن سليمان لما تقلد وزارة
 المتضد كتب اليه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

* ابي دهرنا اسعافنا في نفوسنا * واسعفنا فيمن نحب ونكرم *
 * فقلت له نعماك فيهم اتعها * ودع امرنا ان المهم مقدم *
 فقال عبيد الله ما احسن ما شكا امره بين اضعاف مدحه وقضى حاجته وقال
 بعض الشعراء

* ومن لا يرى من نفسه مذكرا لها * رأى طلب المستجدين ثقيلًا *
 ❀ والسبب الرابع ❀ ان يكون ذلك رعاية ليد او جزاء على صنعة فيرى
 تأدية الحق عليه طوعا اما انفة واما شكرا ليكون من اسر الامتنان طليقا ومن

رق الاحسان وعبوديته عتيقا قال بعض الحكماء الاحسان رق والمكافاة عتق
وقال ابو العتاهية رحمه الله تعالى

* وليست اياذى الناس عندى غنيمه * ورب يد عندى اشد من الاسر *
* والسبب الخامس * ان يؤثر الاذعان بتقديمه والاقرار بتعظيمه توطيدا
لرئاسة هو لها محب وعلى طلبها مكب وقد قال الشاعر

* حب الرئاسة داء لا دواء له * وقل ما تجدد الاراضين بالقسم *
فتستصعب عليه اجابة النفوس له طوعا الا بالاستعطاف واذعانها له الا بالرغبة
والاسعاف وقد قال بعض الادباء بالاحسان يرتبط الانسان وقال بعض البلغاء
من بذل ماله ادرك آماله وقال بعض الشعراء

* أترجو ان تسود بلا عناء * وكيف يسود ذو الدعة الخيل *
* والسبب السادس * ان يدفع به سطوة اعدائه ويستكف به نفار خصمائه
لصبروا له بعد الخصومة اعوانا وبعد العداوة اخوانا اما لصيانة عرض واما
لحراسة مجد وقد قال ابو تمام الطائي

* ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد * ولا المجد في كف امرئ والدرهم *
* ولم ار كالمعروف تدعى حقوقه * مغارم في الاقوام وهى مغنم *
وقال بعض الادباء من عظمت مرافقه اعظمه مرافقه * والسبب السابع * ان
يرب به سالف صنيعه اولاهها ويراعى به قديم نعمته اسداها كيلا ينسى ما اولاه
او يضاع ما اسداه فان مقطوع البر ضائع ومهمل الاحسان ضال وقد قال
الشاعر

* وسمت امرءا بالبر ثم اطرحته * ومن افضل الاشياء رب الصنائع *
* وقال محمد بن داود الاصبهاني *

* بدأت بنعمى اوجبت لى حرمة * عليك فعد بالفضل فالعود اجد *
* والسبب الثامن * المحبة يؤثر بها المحبوب على ماله فلا يرضن عليه بمرغوب
ولا يتنفس عليه بمطلوب للذة التى هى عنده احظى الى نفسه اشهى لان
النفس الى محبوبها اشوق والى ما يليه اسبق وقد قال الشاعر
* فآزرتكم عدا ولكن ذا الهوى * الى حيث يهوى القلب تهوى به الرجل *

وهذا وان دخل في اقسام العطاء فخرج عن حد السخاء وهكذا الخامس والسادس من هذه الاسباب وانما ذكرناها لدخولها تحت اقسام العطاء ❖ والسبب التاسع ❖ وليس بسبب ان يفعل ذلك لغير ما سبب وانما هي سجية قد فطر عليها وشية قد طبع بها فلا يميز بين مستحق ومحروم ولا يفرق بين محمود ومذموم كما قال بشار

* ليس يعطيك للرجاء ولا للخوف لكن يلذ طعم العطاء *
وقد اختلف الناس في مثل هذا هل يكون منسوباً الى السخاء فيحمد او خارجاً عنه فيذم وقال قوم هذا هو السخى طبعاً والحواد كرماء وهو احق من كان به بمدحاً واليه منسوباً وقال ابو تمام

* من غير ما سبب بدني كفي سيباً * للحر ان يجتدي حراً بلا سبب *
وقال الحسن بن سهل اذا لم اعط المستحقاً فكأنى اعطيت غريباً وقال الشرف في السرف فقبل له لا خير في السرف فقال ولا سرف في الخير وقال الفضل بن سهل العجب لمن يرجو من فوقه كيف يحرم من دونه وقال بشار

* وما الناس الا صاحبك فتهم * سخى ومغلول الدين من البخل *
* فساح يدا ما امكنتك فانها * تقل وتثرى والعواذل في شغل *
وقال آخرون هذا خارج من السخاء المحمود الى السرف والتبذير المذموم لان العطاء اذا كان لغير سبب كان المنع لغير سبب لان المال يقل عن الحقوق ويقصر عن الواجبات فاذا اعطى غير المستحق فقد بمنع مستحقاً وما يناله من الذم بمنع المستحق اكثر مما يناله من الحمد لاعطاء غير المستحق وحسبك ذماً بمن كانت افعاله تصدر عن غير تميز وتوجد لغير علة وقد قال الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً فنهى عن بسطها سرفاً كما نهى عن قبضها بخلاً فدل على استواء الامرين ذماً وعلى اتفاقهما لوماً وقال الشاعر

* وكان المال يأئتنا فكنا * نبذره وليس لنا عقول *
* فلما ان تولى المال عنا * عقلنا حين ليس لنا فضول *
قالوا ولان العطاء والمنع اذا كانا لغير علة افضيا الى ذم المنوع وقلة شكر

المعطي اما المنوع فلائنه قد فضل عليه من سواء واما المعطي فانه وجد ذلك اتفاقا وربما امل بالاتفاق اضعا فصار ذلك مفضيا الى اجتلاب الذم واحباط الشكر وليس فيما افنى الى واحد منهما خير يرجى وهو جدير ان يكون شرا يتق ولئل هذا كان منع الجميع ارضاء للجميع. وعطاء يكون التمتع ارضى منه خسران مبين فاما اذا كان البذل والعطاء عن سؤال فشروطه معتبرة من وجهين احدهما في السائل والثاني في المسئول فاما ما كان معتبرا في السائل فثلاثة شروط ﴿ فالشرط الاول ﴾ ان يكون السؤال لسبب والطلب لموجب فان كان لضرورة ارتفع عنه الحرج وسقط عنه اللوم وقد قال بعض الحكماء الضرورة توقع الصورة وقال بعض الشعراء

* ألا قبح الله الضرورة انهما * تكلف اعلى الخلق ادنى الخلائق *
* والله در الاتساع فانه * بين فضل السبق من غير سابق *
* وقال الكميث *

* اذا لم تكن الا الاسنة مركبا * فلا رأى للمضطر الا ركوبها *
فان ارتفعت الضرورة ودعت الحاجة فيما هو اولي الامر ان يكون وان جاز ان لا يكون فالنفس المسامحة تغلب الحاجة وتسمع في الطلب وتراعى ما استقام به الامر وان ناله ذل ولحقه وهن فيأول صاحبها قول البحترى
* وربما كان مكروه الامور الى * محبوبها سببا ما مثله سبب *

والنفس الشريفة تطلب الصيانة وتراعى الزاهة وتحتل من الضر ما احتملت ومن الشدة ما طاقت فيبقى تحملها ويدوم تصونها فتكون كما قال الشاعر
* وقد يكتسى المرء خذ الثيا * ب ومن دونها حالة مضنيه *
* كما يكتسى خده حرة * وعلته ورم في الريه *
فلا يرى ان يتدنس بمطالب الشؤم ومطامع الاؤم فان البهائم الوحشية تأبى ذلك وتأنف منه قال الشاعر

* وليس الليث من جوع بغاد * على جيف تطيف بها الكلاب *
فكيف بالانسان الفاضل الذي هو اكرم الحيوان جنسا واشرفه نفسا هل يحسن

به ان يرى لوحش البهائم عليه فضلا وقد قال الشاعر

* على كل حال يأكل المرء زاده * على البؤس والضرآء والحدثان *
والفضل في مثل ما قيل لبعض الزهاد لو سألت جارك اعطاك فقال والله ما اسأل
الدنيا ممن يملكها فكيف ممن لا يملكها ووصف بعض الشعراء قوما فقال
* اذا افتقروا اغضوا على الضر خشية

* وان ايسروا عادوا سراعا الى الفقر
فاما يسأل من غير ضرورة مست ولا حاجة دعت فذلك صريح اللؤم ومحض
الدناءة وقلي تجده مثله لمحوظا او ممولا محظوظا لان الحرمان قاده الى اضيق
الارزاق واللؤم ساقه الى اخبث المطاعم فلم يبق لوجهه ماء الا اراقه ولا ذل
الاذاقه كما قال عبد الصمد بن المعدل لابي تمام الطائي

* انت بين اثنين تبرز لنا * س وكلناهما بوجه مذل
* لست تفك طالبا لوصال * من حبيب او طالبا لنوال
* اى ماء لحر وجهك يبقى * بين ذل الهوى وذل السؤال
ولو استعج العار وانف من الذل لوجد غير السؤال مكتسبا يئونه ولقد ر على ما
بصونه وقد قال الشاعر

* لا تطلبن معيشة بتذل * فليأتينك رزقك المقدور
* واعلم بانك آخذ كل الذى * لك فى الكتاب مقدر مسطور
❖ والشرط الثانى ❖ من شروط السؤال ان يضيق الزمان عن ارجائه
ويقتصر الوقت عن ابطائه فلا يجد لنفسه فى التأخير فسحة ولا فى التمداد مهلة
فيصير من المعذورين وداخلا فى عداد المضطرين فاما اذا كان الوقت متسعا
وازمان ممتدا فتجمل السؤال لؤم وقنوط وقال الشاعر

* ابى لى اغضاء الجفون على القذى * يقينى ان لا عسر الا مفرج
* الا ربما ضاق الفضاء باهله * وامكن من بين الاسنة مخرج
❖ والشرط الثالث ❖ اختيار المسئول ان يكون مرجو الاجابة مأمول
الحج اما حرمة السائل او كرم المسئول فان سأل لثيما لا يرعى حرمة ولا يولى
مكرمة فهو فى اختياره ملوم وفى سؤاله محروم وقد قال بعض البلغاء

المخذول من كانت له الى اللئام حاجة وقد قال بعض البلغاء اذل من اللئيم سائله
واقل من البخيل نائله وقال بعض الشعراء

* من كان يؤمل ان يرى * من ساقط نبلا سنيا *

* فلقدرجى ان يجتنى * من عوسج رطبا جنيا *

واما الشروط المعبرة في المسئول فثلاثة ﴿ الشرط الاول ﴾ ان يكتفى
بالتعريض ولا يلجئ الى السؤال الصريح ليصون السائل عن ذل الطلب فان
الحال ناطقة والتعريض كاف وقد قال الشاعر

* اقول وسر الدجى مسبل * كما قال حين شكى الضفدع *

* كلامى ان قلته ضائع * وفي الصمت حتى فما اصنع *

وربما فهم المسئول الاشارة فالجأ الى التصريح بالعبارة تهجينا للسائل فيجبل
ويستحي فيكيف كما قال ابو تمام

* من كان مفعود الحياء فوجهه * من غير بواب له بواب *

﴿ والشرط الثانى ﴾ ان يلجئ بالبشر والترحيب ويقابل بالطلاقة والتقريب
ليكون مشكورا ان اعطى ومعذورا ان منع وقد قال بعض الحكماء الق صاحب
الحاجة بالبشر فان عدمت شكره لم تعدم عذره وقال ابن لثك ان ابا بكر
ابن دريد قصد بعض الوزراء في حاجة فلم يقضها له وظهر له منه ضجر فقال

* لا تدخلنك ضجرة من سائل * فلخير دهرك ان ترى مسئولا *

* لا تجبهن بالرد وجهه مؤمل * فبقاء عزك ان ترى مأمولا *

* تلقى الكريم فتستدل ببشره * وترى العيوس على اللئيم دليلا *

* وأعلم بانك عن قليل صائر * خيرا فكن خيرا يروق جيلا *

﴿ والشرط الثالث ﴾ تصديق الامل وتحقيق الظن به ثم اعتبار حاله وحال
سائله فانها لا تخلو من اربع احوال فالحال الاول ان يكون السائل مستوجبا
والمسئول متمكنا فلاجابة ههنا تستحق كراما وتستلزم مروءة وليس للرد سبيل الا
لمن استولى عليه البخل وهان عليه الذم فيكون كما قال عبد الرحمن بن حسان

* انى رأيت من المكرم حسبكم * ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا *

* فاذا تذكرت المكرم مرة * فى مجلس انتم به فتنموا *

فنعوذ بالله من حرم ثروة ماله ومنع حسن حاله ان يكون مستودعا في صنيع مشكور وبر مذخور وقد قيل للبخل لما حبست مالك قال للنواب فقيل له قد نزلت بك وقال بعض الشعراء

* مالك من مالك الا الذي * قدمت فابذل طائعا مالكا *

* تقول اعمالى ولو قتشوا * رأيت اعمالك اعمى لكا *

وقد اسقط حق نفسه ورفع اسباب شكره فصار بان لاحق له مذموما كشكور ومأثوما ككأجور وقال ابو العتاهية

* خزن البخل على صالحه * اذ لم يتقبل به ظهري *

* ما فاتني خير امرئ وضعت * عنى يده مؤنة الشكر *

فاذا لم يكن للرد في مثل هذه الحال سبيل نظر فان كان التأخير مضرا بجعل بذله وقطع مطله وكانت اجابته فعلا وقوله عملا وقد قالت الحكماء من مروءة المطلوب منه ان لا يلجئ الى الخاح عليه وقال محمد بن حازم

* ومنظر سؤالك بالعطايا * واشرف من عطايه السؤال *

* اذا لم يأتك المعروف طوعا * فدعه فالتز به عنه مال *

وان كان في الوقت مهلة وفي التأخير فسحة فقد اختلفت مذاهب الفضلاء فيه فذهب بعضهم الى ان الاولى تعجيل الوعد قولاً ثم يعقبه الانجاز فعلا ليكون السائل مسرورا بتعجيل الوعد ثم بأجل الانجاز ويكون المستول موصوفا بالكرم ملحوظا بالوفاء وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العدة عطية وقال الفضل بن سهل لرجل سأله حاجة اعدك اليوم واحبوك غدا بالانجاز لتذوق حلاوة الامل واتزين بثبوت الوفاء ووعد يحيى بن خالد رجلا بحاجة سأله اياها فقيل له تعد وانت قادر فقال ان الحاجة اذا لم يتقدمها وعد ينظر صاحبه بمحبه لم يجد سرورها لان الوعد طعم والانجاز طعام وليس من فاجأ الطعام كن يجد ريمحه ويطعمه فدع الحاجة تختمر بالوعد ليكون لها طعم عند المصطنع اليه وقال بعض البلغاء اذا احسنت القول فاحسن الفعل ليجمع لك ثمرة اللسان وثمره الاحسان ولا تقل ما لا تفعل فأك لا تخلو في ذلك من ذنب تكسبه او عجز

تلتزمه ومنهم من ذهب الى ان تعجيل البذل فعلا من غير وعد اولى وتقديمه من غير توقيت ولا انتظار اخرى وانما يقدم الوعد احد رجلين اما معوز ينتظر وجده واما شحيح يروض نفسه توطئة وليس للوعد في غير هاتين الحالتين وجه يصح ولا رأى يتضح مع ما يفيره الليل والنهار وتقلب به الحال من يسار واعسار وقال بعض الشعراء

* يا ايها الملك المقدّم امره شرقا وغربا *
 * امنن بختم صحيفتي * مادام هذا الطين رطبا *
 * واعلم بان جفافه * مما يعيد السهل صعبا *
 قالوا ولان في الرجوع عنه من الانكسار وفي توقع الوعد من مراة الانتظار وفي العود اليه من بذلة الاقتضاء وذلة الاجتداء ما يكدر به ويوهن شكره وقال الشاعر

* ان الخراج ربما ازرى بها * عند الذي تقضى له تطويلها *
 * فاذا ضمنت لصاحب لك حاجة * فاعلم بان تمامها تعجيلها *
 ❖ والحال الثانية ❖ ان يكون السائل غير مستوجب والمسئول غير متمكن ففي الرد فسخة وفي المنع عذر غير انه يلين عند الرد ليناقيه الذم ويظهر عذرا يدفع عنه اللوم فليس كل مقل يعرف ولا معذور ينصف وقد قال ابو العتاهية يصف الناس

* يارب ان الناس لا ينصفونني * فكيف وان انصفتهم ظلوني *
 * فان كان لي شيء تصدوا لآخذه * وان جئت ابني شيأهم منعوني *
 * وان نالهم بذل فلا شكر عندهم * وان انا لم ابذل لهم شتموني *
 * وان طرقتني نكبة فكهوا بها * وان صحبتني نعمة حسدوني *
 * سامع قلبي ان يحسن اليهم * وانغض عنهم ناظري وجفوني *
 * واقطع ابلي يوم سهولة * اقضى بها عمري ويوم حزون *
 * ألا ان اصفي العيش ما طاب غيبه * وما نلت في لذة وسكون *

❖ والحال الثالثة ❖ ان يكون السائل مستوجبا والمسئول غير متمكن فبأنى بالجل على النفس ما امكن من يسير يسد به خلة او يدفع به مذمة او يوضح من اعدار

المعوزين وتوجع المتألمين ما يجعله في المنع معذورا وبالتوجع مشكورا وقد قال
ابو النصر الغنبي رحمه الله تعالى

* الله يعلم اني لست ذا بخل * ولست ملتصبا في البخل لى عللا *
* لكن طاقه مثلي غير خافية * والنمل يعذر في القدر الذي حلا *
وربما تحسر بمحدث العجز بعد تقدم القدرة على فوت الصنعة وزوال العادة
حتى صار اضنى جسدا وازيد كددا كما قال الشاعر

* وكنت كباز السوء قص جناحه * يرى حسرات كلما طار طائر *
* يرى طائرات الجو تخفق حوله * فيذكر اذ ريش الجناحين وافر *
والحال الرابعة * ان يكون السائل غير مستوجب والمسئول متمكنا وعلى
البذل قادرا فينظر فان خاف بالرد قدح عرض او قبح هجاء ممض كان
البذل مندوبا صيانة لاجودا فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة وان امن من ذلك وسلم منه فغن الناس من
غلب المسألة وامر بالبذل لئلا يقابل الرجاء بالخيبة والامل بالاياس ثم لما فيه من
اعتياد الرد واستسهال المنع المفضي الى الشح وانشد الاصمعي عن الكسائي
* كأكث في الكتاب وجدت لاء * محرمة عليك فلا تحمل *
* فأتدري اذا اعطيت مالا * أيكثر من سماحك ام يقل *
* اذا حضر الشتاء فانت شمس * وان حضر المصيف فانت ظل *
ومن الناس من اعتبر الاسباب وغلب حال السائل ونذب الى المنع اذا كان
العطاء في غير حق ليقوى على الحقوق اذا عرضت ولا يعجز عنها اذا لزم
وتعنت وقد قال بعض الشعراء

* لا تجدد بالعطاء في غير حق * ليس في منع غير ذي الحق بخل *
* انما الجود ان تجود على من * هو للجود والندي منك اهل *

فاما من اجاب السؤال ووعد بالبذل والنوال فقد صار بوعده مرهونا وصار
وفاؤه بالوعد مقرونا فالاعتبار بحق السائل بعد الوعد ولا سبيل الى مراجعة
نفسه في الرد فيستوجب مع ذم المنع لؤم البخل ومقت القادر وهجنة الكذب
ثم لا سبيل لمطلة بعد الوعد لما في المطل من تكدير الصنيع وتحقيق الشكر

والعرب تقول في أمثالها المطل احد المنعين واليأس احد النجحين وقال بشار
ابن برد

* اظلت علينا منك يوما غمامة * اضاءت لنا برقاً وابطأ رشاشها *
* فلا غيمها يجلي فيأس طامع * ولا غيشها يأتي فيروى عطاشها *
ثم اذا انجز وعده واوفى عهده لم يتبع نفسه ما اعطى ويسر ان كانت يده
العليا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى وقال
الشاعر

* فإك لا تدري اذا جاء سائل * أنت بما تعطيه ام هو اسعد *
* عسى سائل ذو حاجة ان منعه * من اليوم سؤالا ان يكون له غد *
وليكن من سروره اذ كانت الارزاق مقدرة ان تكون على يده جارية ومن جهته
واصله لا تنتقل عنه بمنع ولا تحول عنه بياس وحكى ان رجلا شكَا كثرة عياله
الى بعض الزهاد فقال انظر من كان منهم ليس رزقه على الله عز وجل فحوله
الى منزلي وقال ابن سيرين رجل كان يأتيه على دابة ففقد الدابة ما فعل برذونك
قال اشدت على مؤنته فبعثته قال أفتراه خلف رزقه عندك وقال ابن الرومي
رحمه الله

* ان لله غير مرعاك مرعى * يرتعيه وغير مائك ماء *
* ان لله بالبرية لطفاً * سبق الامهات والآباء *
ثم ليكن غالب عطائه لله تعالى وأكثر قصده ابتغاء ما عند الله عز وجل كالذي
حكاه ابو بكره عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان اعرابيا اتاه فقال
يا عمر الخير جزيت الجنة * اكس بنياتي وامهنة *
* وكن لنا من الزمان جنة * اقسام بالله لتفعلنه *
فقال عمر رضى الله عنه فان لم افعل يكون ماذا فقال
* اذا ابا حفص لاذبهنة *

فقال فاذا ذهب يكون ماذا فقال

* يكون عن حالى لتسألته * يوم تكون الاعطيات ثمة *
* وموقف المسئول بينهنه * اما الى نار واما جنة *

فبكى عمر رضى الله عنه حتى اخضلت لحيتيه ثم قال يا غلام أعطه قيصى هذا
لذلك اليوم لا لشعره اما والله لا املك غيره واذا كان العطاء على هذا الوجه خلا
من طلب جزاء وشكر وعرى عن امتنان ونشر فكان ذلك اشرف للبادل واهناً
للتقابل واما المعطى اذا التمس بعطائه الجزاء وطلب به الشكر والثناء فهو خارج
بعطائه عن حكم السخاء لانه ان طلب به الشكر والثناء كان صاحب سمعة ورياء
وفى هذين من الذم ما ينافى السخاء وان طلب به الجزاء كان تاجراً مترجحاً لا يستحق
حداً ولا مدحاً وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تأويل قوله تعالى ولا تمن
تستكثر انه لا يعطى عطية يلتبس بها افضل منها وكان الحسن البصرى رضى
الله عنه يقول فى تأويل ذلك لا تمن بعملك تستكثر على ربك وقال ابو الغضائفة
* وليست يد اوليتها بغنيمة * اذا كنت ترجو ان تعد لها شكراً *
* غنى المرء ما يكفيه من سد حاجة * فان زاء شيئاً عاد ذاك الغنى فقرأ *
واعلم ان الكريم يجتدى بالكرم والاعطف واللين يجتدى بالهانة والعنف
فلا يجوز الا خوفاً ولا يجب الا عنفاً كما قد قال الشاعر
* رأيتك مثل الجوز يمنع لبه * صيحاً ويعطى خيره حين يكسر *

فاحذر ان تكون المهانة طريقاً الى اجتدائك والخوف سبيلاً الى اعطائك فيجربى
عليك سفة الطغام وامتهان اللثام وليكن جودك كرمًا ورغبة لا لؤماً ورهبة كيلا
يكون مع الوصمة كما قال العباس بن الاحنف

* صرت كأنى ذبالة نصبت * تضى للناس وهى تترق *

واما النوع الثانى من البر فهو المعروف ويتنوع ايضا نوعين قولاً وعملًا فلما
القول فهو طيب الكلام وحسن البشر والتودد بجميل القول وهذا يبعث
عليه حسن الخلق ورقة الطبع ويجب ان يكون محدوداً كالسخاء فانه ان اسرف
فيه كان ملتما مذموماً وان توسط واقتصد فيه كان معروفاً وبراً محموداً وقد قال
ابن عباس رضى الله عنهما فى تأويل قوله تعالى والباقيات الصالحات خير عند ربك
ثواباً وخيراً املاً انهما الكلام العليب وكان سعيد بن جبير يتأول انها الصلوات
الخمس وروى سعيد عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انكم

لن تسعوا الناس بأموالكم فليسمعهم منكم بسط الوجوه وحسن الخلق وروى
 ان النبي صلى الله عليه وسلم انشد عنده قول الاعرابي هذا
 * وحتى ذوى الاثمان تسب قلوبهم * تحيتك الحسنى فقد يرقع النعل *
 * فان دحسوا بالمر فاعفوتك * وان حبسوا عنك الحديث فلا تسل *
 * فان الذى يؤذيك منه سماعه * وان الذى قالوا وراءك لم يقل *
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا وقيل
 للعنابي انك تلقى العامة ببشر وتقريب قال دفع صنعة بايسر مؤنة واكتساب
 اخوان بايسر مبذول وقيل فى مشور الحكم من قل حياؤه قل احباؤه وقال بعض
 الشعراء

* بنى ان البر شئ هين * وجه طليق وكلام لين *
 * وقال بعضهم ﴿

* المرء لا يعرف مقداره * ما لم تبين للناس افعاله *
 * وكل من يعنى بشره * فقل ما ينفعنى ماله *
 واما العمل فهو بذل الجاه والاسعاد بالنفس والمعونة فى النأبة وهذا يبعث عليه
 حب الخير للناس وايشار الصلاح لهم وليس فى هذه الامور سرف ولا لغايتها
 حد بخلاف النوع الاول لانها وان كثرت فهى افعال خير تعود بنفعين نفع على
 فاعلمها فى اكتساب الاجر وجيل الذكر ونفع على المعان بها فى التخفيف عنه
 والمساعدة له وقد روى محمد بن المنكدر عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
 كل معروف صدقة وقال النبي صلى الله عليه وسلم صنائع المعروف تقي مصارع
 السوء وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال المعروف كاسمه واول من يدخل الجنة
 يوم القيامة المعروف واهله وقال على بن ابي طالب كرم الله وجهه لا يزهدنك
 فى المعروف كفر من كفره فقد يشكر الشاكر باضعاف جمود الكافر وقال الخطيئة
 * من يفعل الخير لا يعدم جوائزه * لا يذهب العرف بين الله والناس *

﴿ وافشد الرياشى ﴾

* يد المعروف غنم حيث كانت * تحملها كفور ام شكور *
 * فى شكر الشكور لها جزاء * وعند الله ما كفر الكفور *

فينبغي لمن يقدر على ابتداء المعروف ان يجعله حذر فواته ويبادر به خيفة عجزه
وليعلم انه من فرص زمانه وغنائم امكانه ولا يهمله ثقة بقدرته عليه فكم
وائق بقدره فأت فاعقبت ندما ومعول على مكنة زالت فاورثت خجلا وقد قال
الشاعر

* ما زلت اسمع كم من وائق خجل * حتى ابتليت فكنت الواثق الخجلا *
ولو فطن لنوائب دهره وتحفظ من عواقب مكره لكانت مغامره مذكورة
ومغامره محبورة فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شئ
ثمرة وثمره المعروف تعجيل السراح وقيل لانوشروان ما اعظم المصائب عندكم
فقال ان تقدر على المعروف ولا تصطنعه حتى يفوت وقال عبد الحميد من اخر
الفرصة عن وقتها فليكن على ثقة من فواتها وقال بعض الشعراء

* اذا هبت رياحك فاعثمتها * فان لكل خافقة سكون *
* ولا تغفل عن الاحسان فيها * فا تدرى السكون متى يكون *
* وان درت نياقك فاحتلبها * فا تدرى الفصيل لمن يكون *
وروى ان بعض وزراء بني العباس مطل راغبا اليه في عمل يستكفيه اياه فكتب
اليه بعد طول المطل به .

* أما يدعوك طول الصبر متى * على استئاف منفعتي وشغلي *
* وعلمك ان ذا اللسطين غاد * على خطرين من موت وعزل *
* وانك ان تركت قضاء حق * الى وقت التفرغ والتخلي *
* ستصبح نادما اسفا معزى * على فوت الصنيعة عند مثلي *
وكتب بعض ذي الحرمان الى وال قد قصر في رعاية حرمة يقول

* أعلى الصراط تريد رعية حرمتي * ام في الحساب تمن بالانعام *
* للنفع في الدنيا اردت فانتبه * لحوائجي من رقدة النوم *
وكتب ابو علي البصير الى بعض الوزراء وقد اعتذر اليه بكثرة الاشغال يقول
* لنا كل يوم نوبة قد نوبها * وليس لنا رزق ولا عندنا فضل *
* فان تعتذر بالشغل عنا فانما * تناط بك الآمال ما اتصل الشغل *
واعلم ان المعروف شروطا لا يتم الا بها ولا يكمل الامعها فمن ذلك ستره عن

اذاعة يستطيل لها واخفاؤه عن اشاعة يستدل بها قال بعض الحكماء اذا
اصطنعت المعروف فاستره واذا صنع اليك فأنشره ولقد قال دعبل الخزاعي
* اذا انتقموا اعلوا امرهم * وان انعموا انعموا باكتسام *
* يقوم القعود اذا اقبلوا * وتقعّد هيتهم بالقياس *
على ان ستر المعروف من اقوى اسباب ظهوره وابلغ دواعي نشره لما جبلت
عليه النفوس من اظهار ما خفي وعلان ما كتم وقال سهل بن هارون
* خل اذا جتته يوما لتسأله * اعطاك ما ملكت كفاه واعتذرا *
* يخفى صنائعه والله يظهرها * ان الجليل اذا اخفيتها ظهرها *
ومن شروط المعروف تصغيره عن ان يراه مستكبرا وتقليله عن ان يكون مستكثرا
لئلا يصير به مدلا بطرا ومستطيلا اشرا وقال العباس بن عبد المطلب رضى الله
عنه لا يتم المعروف الا بثلاث خصال تعجيله وتصغيره وستره فلذا مجلته هناة واذا
صغرت عظمته واذا سترته اتمته وقال بعض الشعراء

* زائدك المعروف عندي عظما * انه عندك ميسور حقير *
* وتناسيت كأن لم تأت * وهو عند الناس مشهور خطير *

ومن شروط المعروف مجانية الامتان به وترك الاعجاب بفعله لما فيهما من اسقاط
الشكر واجباط الاجر فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم
والامتان بالمعروف فانه يبطل الشكر ويحقق الاجر ثم تلا ولا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى وسمع ابن سيرين رجلا يقول لرجل فعلت اليك وفعلت فقال ابن
سيرين اسكت فلا خير في المعروف اذا احصى وقال بعض الحكماء المن مفسدة
الصنيعة وقال بعض الادباء كدر معروفا امتنان وضع حسب امتهان
وقال بعض البلغاء من من بمعروفه اسقط شكره ومن اعجب بعمله احبط
اجره وقال بعض الفصحاء قوة المن من ضعف المن وقال بعض الشعراء

* افسدت بالمن ما اسديت من حسن * ليس الكريم اذا اسدى بمنان *

﴿ وقال ابو نواس ﴾

* فامض لا تمن على يدا * منك المعروف من كدره *

﴿ وانشدت عن الربيع للشافعي رضى الله عنه ﴾

- * لا تحمّلن لمن يمين من الانام عليك منه *
- * واختر لنفسك حفظها * واصبر فان الصبر جنة *
- * ممن الرجال على القلوب * ب اشد من وقع الاسنة *

ومن شروط المعروف ان لا يحتقر منه شيئا وان كان قليلا نورا اذا كان الكثير معوزا وكنيت عنه عاجزا فان من حقر بسيره فنع منه اعجزه ~~ك~~كثيره فامتنع عنه وفعل قليل الخير افضل من تركه فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يمتنعكم من المعروف صغيره وقال عبد الله بن جعفر لا تستحي من القليل فان النعم اقل منه ولا تجبن عن الكثير فانك اكثر منه وقال الشاعر

- * اعمل الخير ما استطعت وان كا * ن قليلا فلن تحيط بكله *
- * ومضى تفعل ~~الكثير~~ من الخير اذا كنت تاركا لاقبله *
- * على ان من المعروف ما لا كلفة على موليه ولا مشقة على مسديه وانما هو جاه يستظل به الادنى ويرتفق به التابع وقال الشاعر
- * ظل الفتى ينفع من دونه * وما له في ظله حظ *

واعلم انك لن تستطيع ان يسع جميع الناس معروفك ولا ان توليهم احسانك فاعتمد بذلك اهل الفضل منهم والحفاظ واقصد به ذوى الرعاية والوداد ليكون معروفك فيهم ناميا وصنيعك عندهم زائكا وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تنفع الصنعة الا عند ذي حسب ودين وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا جعل صنائعه في اهل الحفاظ وقال حسان ابن ثابت رضي الله عنه

- * ان الصنعة لا تكون صنعة * حتى يصاب بها طريق المصنع *
- * فاذا صنعت صنعة فاعمل بها * لله او لنوى القرابة او دع *
- * وقيل في منشور الحكم لا خير في معروف الى غير عروف وقد ضرب الشاعر به مثلا فقال
- * كحمار السوء ان اشبعته * رمح الناس وان جاع نهق *

وقال

وقال بعض الحكماء على قدر المغارس يكون اجتناء الفارس فاخذه بعض الشعراء فقال

* لعمرك ما المعروف في غير اهله * وفي اهله الا كجعض الودائع *
 * فستودع ضاع الذي كان عنده * ومستودع ما عنده غير ضائع *
 * وما الناس في شكر الصنيعة عندهم * وفي كفرها الا كجعض المزارع *
 * فزرعة طابت واضعفت نبتها * ومزرعة اكبت على كل زارع *
 واما من اسدى اليه المعروف واصطنع اليه الاحسان فقد صار باسر المعروف موثوقا وفي ملك الاحسان مرقوقا ولزمه ان كان من اهل المكافاة ان يكافئ عليها وان لم يكن من اهلها ان يقابل المعروف بنشره ويقابل الفاعل بشكره فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اودع معروفا فليشره فان نشره فقد شكره وان كتمه فقد كفره وروى الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اتمثل بهذين البيتين

* ارفع ضعيفك لا يخونك ضعفه * يوما فتدركه العواقب قدما *
 * يحزنك او يثني عليك وان من * اثني عليك بما فعلت فقد جزى *
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم ردى علي قول اليهودي قاتله الله لقد اتاني جبرائيل برسالة من ربي تعالى ايمارجل صنع الى اخيه صنيعة فلم يجد لها جزاء الا الدعاء والثناء فقد كافاه وقيل في مشور الحكم الشكر قيد النعم وقال عبد الحميد من لم يشكر الانعام فاعده من الانعام وقيل في مشور الحكم قيمة كل نعمة شكرها وقال بعض الحكماء كفر النعم من امارات البطر واسباب الغير وقال بعض الفضلاء الكرم شكور او مشكور والثلثم كفور او مكفور وقال بعض البلغاء لا زوال للنعمة مع الشكر ولا بقاء لها مع الكفر وقال بعض الادباء

* شكر الاله بطول الشاء * وشكر الولاة بصدق التواء *
 * وشكر النظير بحسن الجزاء * وشكرك الدون بحسن العطاء *

﴿ وقال بعض الشعراء ﴾

* فلو كان يستغنى عن الشكر ماجد * لعزة ملك او غلو مكان *
 * لما امر الله العباد بشكره * فقال اشكروا لى ايها الثقلان *
 فان من شكر معروف من احسن اليه ونشر افضال من انعم عليه فقد
 ادى حق النعمة وقضى موجب الصنعة ولم يبق عليه الا استدامة ذلك اتاما
 لشكره ليكون للمزيد مستحقا وللتابعة الاخسان مستوجبا حكي ان الحجاج اتى اليه
 يقوم من الخوارج وكان فيهم صديق له فامر بقتلهم الا ذلك الصديق فانه عفا
 عنه واطلقه ووصله فزجع الرجل الى قطرى بن الفجاءة فقال له عد الى قتال
 عدو الله فقال هيهات غل يدا مطلقها واسترق رقبة معتقها وانثأ يقول
 * أقاتل الحجاج فى سلطانه * بيد تقرب بانها مولاته *
 * انى اذا لآخو الدناءة والذى * شهدت بأفح فعله غدرا ته *
 * ما ذا أقول اذا وقفت ازاءه * فى الصف واحتجت له فعلا ته *
 * أقول جار على لا انى اذا * لا حق من جارت عليه ولا ته *
 * وتحدث الاقوام ان صنائعا * غرست لى فخطلت نخلاته *
 وقبل فى مشور الحكم المعروف رقى والمكافأة عتق ومن اشكر الناس الذى يقول
 * لا شكرنك معروفا هممت به * ان اهتمامك بالمعروف معروف *
 * ولا الوملك ان لم يعضه قدر * فالشئ بالقدر المحتوم مصروف *
 وهذا النوع من الشكر الذى يتجمل المعروف ويتقدم البر قد يكون على وجوه
 فيكون تارة من حسن الثقة بالمشكور فى وصول بره واسداء عرفه ولا رأى
 لمن يحسن به ظن شاكر ان يخلف حسن ظنه فيه فيكون كما قال العنابى
 * قد ادوقت فىك آمالى بوعدك لى * وليس فى ورق الآمال لى ثمر *
 وقد يكون تارة من فرط شكر الراجى وحسن مكافأة الآمل فلا يرضى لنفسه الا
 بتجمل الحق واسلاف الشكر وليس لمن صادق لمعرفه معدنا زاكيا ومفرسا تاميا
 ان يفوت نفسه غنما ولا يحرمها ربها فهذا وجه ثان وقد يكون تارة ارتها سانا
 للمأمول وحبا للمستول وبحسب ما اسلف من الشكر يكون الذم عند الالباس وقال

بعض الادباء من حكماء المتقدمين من شكرك على معروف لم تسده اليه فعاجله بالبر
والا انعكس فصار ذما وقال ابن الرومي

* وما الحقد الا توأم الشكر في الفتى * وبعض السجيا ينسب الى بعض *
* فحيث ترى حقدا على ذى اساءة * فثم ترى شكرا على حسن القرض *
* اذا الارض ادت ربع ما انت زراع * من البذر فيها فهي ناهيك من ارض *
واما من ستر معروف النعم ولم يشكره على ما اولاه من نعمة فقد كفر النعمة
وجحد الصنيعة وان من اذم الخلائق واسوأ الطوائق ما يستوجب به قبح الرد
وسوء النعم فقد روى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال لا يشكر الله من لا يشكر الناس وقال بعض الادباء من لم يشكر لمنعمه استحق
قطع النعمة وقال بعض الفصحاء من كفر نعمة المفيد استوجب حرمان المزيد وقال
بعض البلغاء من انكر الصنيعة استوجب قبح القطيعة وانشدني بعض الادباء
ما ذكر انه لعلى بن ابي طالب كرم الله وجهه

* من جاوز النعمة بالشكر لم * يخش على النعمة مغتالها *
* لو شكروا النعمة زادتهم * مقالة الله التي قالها *
* لئن شكرتم لازيدنكم * لكنما كفرهم غالها *
* والكفر بالنعمة يدعو الى * زوالها والشكر ابقى لها *

وهذا آخر ما يتعلق بالقاعدة الثانية من اسباب الالفة الجامعة فاما القاعدة
الثالثة فهي المادة الكافية لان حاجة الانسان لازمة لا يعرى منها بشر قال الله تعالى
وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين فاذا عدم المادة التي
هي قوام نفسه لم تدم له حياة ولم تستقم له دنيا واذا تعذر شئ منها عليه
لحقه من الوهن في نفسه والاختلال في دنياه بقدر ما تعذر من المادة عليه لان
الشئ القائم بغيره يكمل بكماله ويختل باختلاله ثم لما كانت المواد مطلوبة لحاجة
الكافة اليها اعوزت بغير طلب وعدمت لغير سبب واسباب المودة مختلفة
وجهات المكاسب منشعبة ليكون اختلاف اسبابها علة الائتلاف بها وتنشعب
جهاتها توسعة لطلابها كيلا يجتمعوا على سبب واحد فلا يلتئمون ويشتركوا
في جهة واحدة فلا يكتفون ثم هداهم اليها بقولهم وارشدهم اليها بطباعهم

حتى لا يتكلفوا اتلافهم في المعاش المختلفة فيعجزوا ولا يعاونوا بتقدير موادهم
بالمكاسب المتشعبة فيختلوا حكمة منه سبحانه وتعالى اطلع بها على عواقب الامور
وقد انبأ الله تعالى في كتابه العزيز اخبارا واذكارا فقال سبحانه وتعالى قال
ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى اخترف المفسرون في تأويل ذلك فقال
قادة اعطى كل شيء ما يصلحه ثم هدا وقال مجاهد اعطى كل شيء صورته ثم
هداه لمعيشته وقال ابن عباس رضى الله عنهما اعطى كل شيء زوجة ثم هدا
لنكاحها وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا يعنى معاشهم متى يزعمون ومتى
يغرسون وهم عن الآخرة هم غافلون وقال تعالى وقدر فيها اقواتها في اربعة
ايام سواء للسائلين قال عكرمة قدر في كل بلدة منها ما لم يجعله في الاخرى ليعيش
بعضهم من بعض بالتجارة من بلد الى بلد وقال الحسن البصرى وعبد الرحمن
ابن زيد قدر ارزاق اهلها سواء للسائلين الزيادة في ارزاقهم ثم ان الله تعالى
جعل لهم مع ما هداهم اليه من مكاسبهم وارشدتهم اليه من معاشهم ديناً
يكون حكماً وشرعاً يصكون قيميا ليصلوا الى موادهم بتقديره ويطلبوا
اسباب مكاسبهم بتدبيره حتى لا ينفردوا بارادتهم فيطالبوا وتستولي عليهم
اهواءهم فيتقاطعوا قال الله تعالى ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات
والارض قال المفسرون الحق في هذا الموضع هو الله جل جلاله فلاجل ذلك
لم يجعل المواد مطلوبة بالالهام حتى جعل العقل هاديا اليها والدين قاضيا
عليها لتم السعادة وتم المصلحة ثم انه جلت قدرته جعل سد حاجتهم
وتوصلهم الى منافعهم من وجهين بمادة وكسب فاما المادة فهي حادثة عن اقتناء
اصول نامية بنواتها وهي شيان بذت نام وحيوان متناسل قال الله تعالى وانه
هو اغنى واقنى قال ابو صالح اغنى خلقه بالمال واقنى جعل لهم قنية وهي
اصول الاموال واما المكسب فيصكون بالافعال الموصلة الى المادة والتصرف
المؤدى الى الحاجة وذلك من وجهين احدهما تلب في تجارة والثاني تصرف
في صناعة وهذان هما فرع لوجهي المادة فصارت اسباب المواد المألوفة وجهات
المكاسب المعروفة من اربعة اوجه نماء زراعة وتناج حيوان وربح تجارة
وكسب صناعة وحكى الحسن بن رجاء مثل ذلك عن المأمون قال سمعته يقول

معايش الناس على اربعة اقسام زراعة وصناعة وتجارة وامارة فن خرج عنها
 كان كلا عليها واذ قد تقررت اسباب المواد بما ذكرناه فنسصف حال كل واحد
 منها بقول موجز اما الاول من اسبابها وهي ﴿ الزراعة ﴾ فهي مادة
 اهل الحضر وسكان الامصار والمدن والاستمداد بها اعم نفعاً وافر
 فرعاً واذك ضرب الله تعالى به المثل فقال مثل الذين ينفقون اموالهم في
 سبيل الله كمثل حبة انبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف
 لمن يشاء وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير المال عين ساهرة
 لعين نائمة وقال صلى الله عليه وسلم نعمت لكم النخلة تشرب من عين خمرارة
 وتغرس في ارض خواراة وقال صلى الله عليه وسلم في النخل هي الراسخات
 في الوحل المطعمات في المحل وقال بعض السلف خير المال عين خمرارة
 في ارض خواراة تسهر اذا نمت وتشهد اذا غبت وتكون عتبا اذا
 مت وروى هشام بن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق في خبائيا الارض يعني الزرع وحكي عن
 المعتضد انه قال رأيت على بن ابي طالب رضي الله عنه في المنام يناولني المسحاة
 وقال خذها فانها مفاتيح خزائن الارض وقال كسرى للموبد ما قيمة تاجي هذا
 فاطرق ساعة ثم قال ما اعرف له قيمة الا ان تكون مطرة في نيسان فانها تصلح
 من معايش الرعية ما تكون قيمته مثل تاج الملك ولقي عبد الله بن عبد الملك بن
 شهاب الزهري فقال له ابائي على مال اعالجه فانثأ ابن شهاب يقول

* تتبع خبايا الارض وادع ملكها * لعلك يوما ان تجاب فترزقا *
 * فيؤتيك مالا واسعا ذامتانة * اذا ما مياه الارض غارت تدفقا *

وقد اختلف الناس في تفضيل الزرع والشجر بما ليس يتسع كتابنا هذا لبسط القول
 فيه غير ان من فضل الزرع فاقرب مداه ووفور جداه ومن فضل الشجر
 فلبثت اصله وتوالي ثمره واما الثاني من اسبابها وهو ﴿ تاج الحيوان ﴾ فهو
 مادة اهل الفلوات وسكان الخيام لانهم لما لم تستقر بهم دار ولم تضمهم امصار
 افقروا الى الاموال المتتملة معهم وما لا يتقطع غناؤه بالظعن والرحلة فاقفوا
 الحيوان لانه يستقل في الثقله بنفسه ويستغنى عن العلوفة برعيه ثم هو مركوب

ومحلوب فكان اقتناؤه على اهل الخيام ايسر لقلة مونه وتسهيل الكلفة به وكانت جدواه عليهم اكثر لوفور نسله واقنيات رسله الهاما من الله خلته في تعديل المصالح فيهم وارشاد العباد في قسم المنافع بينهم وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير المال مهرة مأمورة وسكة مأبورة ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم مهرة مأمورة اى كثيرة النسل ومنه تأول الحسن وقتادة قوله تعالى امرنا مترفيا اى كثرنا عددهم واما السكة المأبورة فهي النخل المؤبرة المجل وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الغنم سمنها معاش وصوفها ريش وروى عن ابي ظبيان انه قال قال لى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما مالك يا ابا ظبيان قال قلت عطائي الفان قال اتخذ من هذا الحرث والسائبات قبل ان تليك غلته من قريش لا تعد العطاء معهم مالا والسائبات النتاج وحكى ان امرأة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى اتخذت غنما ابتغى نسلها ورسلاها وانها لا تمى فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما ألوانها قالت سود فقال عفرى وهذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم فى مناكح الآدميين اغربوا ولا تضووا واما الثالث من اسبابها وهى ﴿ التجارة ﴾ فهي فرع لمادتي الزرع والنتاج فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تسعة اعشار الرزق فى التجارة والحرث والباقي فى السائبات وهى نوعان تقلب فى الحضر من غير نقلة ولا سفر وهذا تربص واختصار وقد رغب عنه ذووا الاقتدار وزهد فيه ذووا الاخطار والثانى تقلب بالمال بالاسفار ونقله الى الامصار فهذا أليق باهل المروءة واعم جدوى ومنفعة غير انه اكثر خطرا واعظم غمرا فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان المسافر وماله لعل تلف الا ما وفى الله يعنى على خطرو فى التوراة يا ابن آدم احدث سفرا احدث لك رزقا واما الرابع من اسبابها وهو ﴿ الصناعة ﴾ فقد يتعلق بما مضى من الاسباب الثلاثة وتنقسم اقساما ثلاثة صناعة فـكر وصناعة عمل وصناعة مشتركة بين فكر وعمل لان الناس آلات للصناعات واشرفهم نفسا متهى لاشرفها جنسا كما ان اردلهم نفسا متهى لا ردلها جنسا لان الطبع يبعث على ما يلائمه ويدعو الى ما يجانسه وحكى ان الاسكندر لما اراد الخروج

الى اقاصى الارض قال لارسطاطاليس اخرج معى قال قد نحل جسمى وضعفت
عن الحركة فلا تزججنى قال بما اصنع فى عمالى خاصة قال انظر الى من كان له
عبيد فأحسن سياستهم فوله الجنود ومن كانت له ضيعة فأحسن تدبيرها فوله
الخراج فنبه باعتبار الطباع على ما اغناه عن كلفة التجربة واشرف الصناعات
صناعة الفكر وهى مدبرة وارذلها صناعة العمل لان العمل نتيجة الفكر وتديره
فاما صناعة الفكر فقد تنقسم قسمين ﴿ احدهما ﴾ ما وقف على التدبيرات
الصادرة عن نتائج الآراء الصحيحة كسياسة الناس وتدير البلاد وقد
افردنا للسياسة كتابا لخصنا فيه من جلها ما ليس يحتمل هذا الكتاب
زيادة عليها ﴿ والثانى ﴾ ما ادت الى المعلومات الحادثة عن الافكار
النظرية وقد مضى فى فضل العلم من كتابنا هذا باب اغنى ما فيه عن زيادة
قول فيه واما صناعة العمل فقد تنقسم قسمين عمل صناعى وعمل بهيمى فالعمل
الصناعى اعلاها رتبة لانه يحتاج الى معاطاة فى تعلمه ومعاونة فى تصويره فصار
بهذه النسبة من المعلومات الفكرية والآخر انما هو صناعة كد وآلة مهنة وهى
الصناعة التى تقتصر عليها النفوس الرذلة وتقف عليها الطباع الخاسئة كما قال
اكرم به صنئى لكل ساقطة لاقطة وكما قال المنلس

* ولا يقيم على ضيم يسام به * الا الاذلان غير الحى والودد *
* هذا على الخسف مربوط برمته * وذا يشج فلا يرثى له احد *

واما الصناعة المشتركة بين الفكر والعمل فقد تنقسم قسمين احدهما ان تكون
صناعة الفكر اغلب والعمل تبعا كالكتابة والثانى ان تكون صناعة العمل اغلب
والفكر تبعا كالبناء واعلاهما رتبة ما كانت صناعة الفكر اغلب عليها والعمل
تبعا لها فهذه احوال الخلق التى ركبهم الله عز وجل عليها فى ارتياد موادهم
ووكلمهم الى نظرهم فى طلب مكاسبهم وفرق بين همهم فى التماسهم ليكون ذلك
سببا لالفتهم فسبحان من تفرد فينا بلطف حكمته واطهر فطننا بعزائم قدرته
واذ قد وضح القول فى اسباب المواد وجهات الكسب فليس يخلو حال الانسان
فيها من ثلاثة امور ﴿ احدها ﴾ ان يطلب منها قدر كفايته ويلتمس وفق
حاجته من غير ان يتعدى الى زيادة عليها او يقتصر على نقصان منها فهذه اجد

احوال الطالبين واعدل مراتب المتصدين وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اوحى الله تعالى الى كلمات فدخلن في اذني ووقرن في قلبي من اعطى فضل ماله فهو خير له ومن امسك فهو شر له ولا يلم الله على كفاف وروى حميد عن معاوية بن جندة قال قلت يا رسول الله ما يكفيني من الدنيا قال ما يسد جوعتك ويستر عورتك فان كان ذلك فذاك وان كان حرام فبح نج فلن من خير وجزء من ماء وانت مسئول عما فوق الازار وقد روى عن ابن عباس ومجاهد في قوله تعالى اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا ان كل من ملك بيتا وزوجة وخادما فهو ملك وروى زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له بيت وخادم فهو ملك وهو في المعنى صحيح لانه بالزوجة والخادم مطاع في امره وفي الدار محبوب الا عن اذنه وليس على من طالب الكفاية ولم يجاوز تبعات الزيادة الا توخى الحلال منه واجمال الطلب فيه ومجانبة الشبهة الممازجة له وقد روى نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين فذرع ما يريك الى ما لا يريك فلن تجد فقد شيء تركته الله وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزهد فقال اما انه ليس باضاعة المال ولا تحريم الحلال ولكن ان تكون بما يد الله اوثق منك بما في يديك وان يكون ثواب المصيبة ارجح عندك من بقائها وحكي عبد الله بن المبارك قال كتب عمر بن عبد العزيز الى الجراح بن عبد الله الحكمي ان استطعت ان تدع مما احل الله لك ما يكون حاجزا بينك وبين الحرام فافعل فانه من استوعب الحلال تاقث نفسه الى الحرام وقد اختلف اهل التأويل في قوله تعالى فان له معيشة ضنكا فقال عكرمة يعني كسبا حراما وقال ابن عباس هو انفاق من لا يوقن بالخلف وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان احسنت رقيتها والا فلا تأخذها وقيل من قل توقية كثر مساويه وقال بعض البلغاء خير الاموال ما اخذته من الحلال وصرفته في النوال وشر الاموال ما اخذته من الحرام وصرفته في الاكمام وكان الاوزاعي الفقيه كثيرا ما يمثّل بهذه الايات

* المال ينفد حله وحرامه * يوما ويبقى بعد ذاك اثمه *

* ليس التقي بمتيق لالهه * حتى يطيب شرابه وطعامه *
 * ويطيب ما يجني ويكسب اهله * ويطيب من لفظ الحديث كلامه *
 * نطق النبي لنا به عن ربه * فعلى النبي صلاته وسلامه *
 وحكى عن ابن المعتز السلي قال الناس ثلاثة اصناف اغنياء وفقراء واوسام
 فالفقراء موقى الا من اغناه الله بمن القناعة والاغنياء سكرى الا من عصمه
 الله تعالى بتوقع الغير واكثر الخير مع اكثر الاوساط واكثر الشر مع
 اكثر الفقراء والاغنياء لسخف الفقر وبطر الغنى * والامر الثاني *
 ان يقصر عن طلب كفايته ويزهد في التماس مادته وهذا التقصير قد يكون على
 ثلاثة اوجه فيكون تارة كسلا وتارة توكلا وتارة زهدا وتقنعان فان كان تقصيره
 لكسل فقد حرم ثروة النشاط ومرح الاختباط فلن يعدم ان يكون كلالا قصيا
 او ضائعا شقيا وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كاد الحسد ان
 يغلب القدر وكاد الفقر ان يكون كفرا وقال بزرجمهر ان كان شيء فوق الحياة
 فالصحة وان كان شيء مثلها فالغنى وان كان شيء فوق الموت فالمرض وان كان
 شيء مثله فالفقر وقيل في مشور الحكم الصبر خير من الفقر ووجه في نيل مصر
 مكتوب على حجر

* عقب الصبر نجاح وغنى * ورداء الفقر من تسج الكسل *
 * وقال بعض الشعراء *

* اعوذ بك اللهم من بطر الغنى * ومن نهكة البلوى ومن ذلة الفقر *
 * ومن امل يمتد في كل شارف * يرجعني منه بحظ يد صفر *
 * اذا لم تدنس الذنوب بعارها * فليست ابالي ما تشعث من امري *
 واذا كان تقصيره لتوكل فذلك عجز قد اعذر به نفسه وترك حزم قد غير اسمه
 لان الله تعالى امرنا بالتوكل عند انقطاع الحيل والتسليم الى القضاء بعد الاعذار
 وقد روى معمر عن ايوب عن ابي قلابة قال ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم
 رجل فنذكر فيه خير فقالوا يا رسول الله خرج معنا حاجا فاذا نزلنا منزلا لم يزل
 يصلي حتى نرحل فاذا ارتحلنا لم يزل يذكر الله عز وجل حتى ننزل فقال صلى الله
 عليه وسلم من كان يكفيه علف ناقته وصنع طعامه قالوا كلنا يا رسول الله قال كلكم

خير منه وقال بعض الحكماء ليس من توكل المرء اضاعته للحزم ولا من الحزم
اضاعة نصيبه من التوكل وان كان تقصيره زهد وتقع فهذه حال من علم بحاسبة
نفسه بتبعات الغنى والثروة وخاف عليها بوائق الهوى والقدرة فأثر الفقر على
الغنى وزجر النفس عن ركوب الهوى فقد روى ابو الدرداء قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من يوم طلعت فيه شمس الا وعلى جنبتيها ملكان يناديان
سمعهما خلق الله كلهم الا الثقلين يا ايها الناس هلموا الى ربكم ان ما قل وكفى
خير مما اكثر والهوى وروى زيد بن علي بن الحسين عن ابيه عن جده رضى الله
عنهم اجمعين انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظر الفرج من الله
بالصبر عبادة ومن رضى من الله عز وجل بالقليل من الرزق رضى الله عز وجل
منه بالقليل من العمل وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال من نبل
الفقر انك لا تجد احدا يعصى الله ليفتقر فاخذه محمود الوراق فقال

- * يا عائب الفقر ألا تزدجر * عيب الغنى اكثر لو تعتبر *
- * من شرف الفقر ومن فضله * على الغنى ان صح منك النظر *
- * انك تعصى لتسال الغنى * ولست تعصى الله كي تقتفر *

❁ وقال ابن المقفع ❁

- * دليلك ان الفقر خير من الغنى * وان قليل المال خير من المثرى *
- * لتساؤك مخلوقا عصى الله بالغنى * ولم تر مخلوقا عصى الله بالفقر *
- * وهذه الحال انما تصح لمن نصح نفسه فاطاعته وصدقها فاجابته حتى لان قيادها
- * وهان عنادها وعلمت ان من لم يقنع بالقليل لم يقنع بالكثير كما كتب الحسن
- * البصرى الى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنهما يا اخي من استغنى بالله اكتفى
- * ومن انقطع الى غيره تعنى ومن كان من قليل الدنيا لا يشبع لم يغنه منها كثرة
- * ما يجمع فعليك منها بالكفاف وألزم نفسك العفاف واياك وجمع الفضول
- * فان حسابه يطول وقال بعض الحكماء هيهات منك الغنى ان لم يقنعك ما حوت
- * فاما من اعرضت نفسه عن قبول نصيحة وجهت به عن قناعة زهد فليس الى
- * اكرهاها سبيل ولا للحمل عليها وجه الا بالرياضة والروءة وان يستز لها الى اليسير
- * الذى لا تنفر منه فاذا استقرت عليه انزلها الى ما هو اقل منه لتنتهى بالتدريج

الى الغاية المطلوبة وتستقر بالرياضة والتمرين على الحال المحبوبة وقد تقدم قول الحكماء ان المكره يسهل بالتمرين فهذا حكم ما في الامر الثانى من التقصير عن طلب الكفاية واما ﴿ الامر الثالث ﴾ فهى ان لا يقنع بالكفاية ويطلب الزيادة والكثرة فقد يدعو الى ذلك اربعة اسباب • احدها منازعة الشهوات التى لا تنال الا بزيادة المال وكثرة المادة فاذا نازعته الشهوة طلب من المال ما يوصله وليس للشهوات حدمتهاء فيصير ذلك ذريعة الى ان ما يطلبه من الزيادة غير متناه ومن لم يتناه طلبه استدام كده وتعبه ومن استدام الكد والتعب لم يف التذاذه بنيل شهواته بما يعانىه من استدامة كده واتعابه مع ما قد لزمه من ذم الانقياد لمضالمة الشهوات والتعرض لاكتساب التبعات حتى يصير كالبهيمة التى قد انصرف طلبها الى ما تدعو اليه شهواتها فلا تنزجر عنه بعقل ولا تنكف عنه بقناعة وقد روى عن على عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من اراد الله به خيرا حال بينه وبين شهوته وحال بينه وبين قلبه واذا اراد به شرا وكله الى نفسه وقد قال الشاعر

* واثك ان اعطيت بطنك هم * وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا *
والسبب الثانى ان يطلب الزيادة ويلتمس الكثرة ليصرفها فى وجوه الخير ويتقرب بها فى جهات البر ويصطنع بها المعروف ويغيث بها الملهوف فهذا اعذر وبالجملة اخرى واجدر اذا انصرف عنه تبعات المطالب وتوفى شبهات المكاسب واحسن التقدير فى حاله فائده وافادته على قدر الزمان وبقدر الامكان لان المال آلة للمكارم وعون على الدين ومتألف للاخوان ومن فقدته من اهل الدنيا قلت الرغبة فيه والرهبة منه ومن لم يكن منهم بموضع رهبة ولا رغبة استهانوا به وقد روى عبد الله بن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حساب اهل الدنيا هذا المال وقال مجاهد الخير فى القرآن كله المال وانه حب الخير لشديد يعنى المال واحببت حب الخير عن ذكر ربى يعنى المال فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا يعنى مالا وقال شعيب النبى عليه السلام انى اراكم بخير يعنى المال وانما سمي الله تعالى المال خيرا اذا كان فى الخير مصروفا لان ما ادى الى الخير فهو

في نفسه وقد اختلف اهل التأويل في قوله تعالى ومنهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فقال السدي وعبد الرحمن بن زيد الحسنة في الدنيا وفي الآخرة الجنة وقال الحسن البصري وسفيان الثوري الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقال ابن عباس الدراهم والدنانير خواتم الله في الأرض لا تؤكل ولا تشرب حيث قصدت بها قضيت حاجتك وقال قيس بن سعد اللهم ارزقني حذا ومجدا فانه لا حذا الا بفعل ولا مجدا الا بجال وقد قيل لابي الزناد لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا فقال هي وان ادتني منها فقد صانتني عنها وقال بعض الحكماء من اصلح ماله فقد صان الاعرامين الدين والعرض وقيل في منشور الحكم من استغنى كرم على اهله ومر رجل من ارباب الاموال ببعض العلماء فتحرك له واكرمه فقيل له بعد ذلك أكانت لك الى هذا حاجة قال لا ولكنني رأيت ذا المال مهيبا وسأل رجل محمد بن عمير بن عطار وعتاب بن ورقاء في عشر ديات فقال محمد علي دية وقال عتاب الباقي علي فقال محمد نعم العون اليسار علي المجد وقال الاحنف بن قيس

* فلو كنت مثرى بمال كثير لجذت وكنت له باذلا *
 * فان المروءة لا تستطعا * ع اذا لم يكن ماله فاضلا *
 وكان يقال الدراهم مراهم لانها تداوى كل جرح ويطيب بها كل صلح وقال ابن الجلال

* رزقت مالا ولم ارزق مروءته * وما المروءة الا كثرة المال *
 * اذا اردت رقي العلياء يفعدنني * عما ينوه باسمي رقة الحال *
 وقيل في منشور الحكم الفقر مخذلة والغنى مجذلة والبؤس مردلة والسؤال مبذلة وقال اوس بن حجر

* اقيم بدار الحزم مادام حزمها * واحرى اذا حالت بان انحولا *
 * فاني وجدت الناس الا اقلهم * خفاف عهدو يكثرون الثقلا *
 * بني ام ذي المال الكثير يرويه * وان كان عبدا سيد الامر جحفلا *
 * وهم لثقل المال اولاد عملة * وان كان محضا في العشيرة مخولا *

﴿ وقال بشر الضرير ﴾

* كفى حزنا انى اروح واغدى * وما لى من مال اصون به عرضى *
* واكثر ما اتى الصديق بمرحبا * وذلك لا يكتفى الصديق ولا يرضى *

﴿ وقال آخر ﴾

* اجلك قوم حين صرت الى الفنى * وكل غنى فى العيون جليل *
* وليس الفنى الا غنى زين الفتى * عشيّة يقرى او غداة ينيل *
وقد اختلف الناس فى تفضيل الفنى والفقر مع اتفاقهم ان ما احوج من الفقر
مكروه وما ابطر من الفنى مذموم فذهب قوم الى تفضيل الفنى على الفقر لان
الفنى مقتدر والفقير عاجز والقدرة افضل من العجز وهذا مذهب من غلب عليه
حب النباهة وذهب آخرون الى تفضيل الفقر على الفنى لان الفقير تارك والفنى
ملايس وترك الدنيا افضل من ملاستها وهذا مذهب من غلب عليه حب السلامة
وذهب آخرون الى تفضيل التوسط بين الامرين بان يخرج عن حد الفقر الى
ادنى مراتب الفنى ليصل الى فضيلة الامرين ويسلم من مذمة الحالين وهذا
مذهب من يرى تفضيل الاعتدال وان خيار الامور اوساطها وقد مضى شواهد
كل فريق فى موضعه بما اغنى عن اعادته • والسبب الثالث ان يطلب
الزيادة ويقتنى الاموال ليدخرها لولده ويخلفها على ورثته مع شدة ضنه على
نفسه وكفه عن صرف ذلك فى حقه اشفاقا عليهم من كدح الطلب وسوء
المنقلب وهذا شقى يجمعها مأخوذ بوزرها قد استحق اللوم من وجوه لا تخفى
على ذى لب ﴿ منها ﴾ سوء ظنه بخالقه انه لا يرزقهم الا من جعته وقد قيل قتل
القنوط صاحبه وفى حسن الظن بالله راحة القلوب وقال عبد الحميد كيف تبق
على حالتك والدهر فى حالتك ﴿ ومنها ﴾ الثقة ببيتاء ذلك على ولده مع
نواب الزمان ومصابته وقد قيل الدهر حسود لا يأتى على شئ الا غيره وقيل
فى مشور الحكم المال ملول وقال بعض الحكماء الدنيا ان بقيت لك لا تبقى لها
﴿ ومنها ﴾ ما حرم من منافع ماله وسلب من وفور حاله وقد قيل انما مالك لك
او للوارث او للباحثة فلا تكن اشقى الثلاثة وقال عبد الحميد اطرح كواذب آمالك
وكن وارث مالك ﴿ ومنها ﴾ ما لحقه من شقاء جمعه وناله من عناء كسده

حتى صار ساعيا محروما واجاهدا مذموما وقد قيل رب مغبوط بمسرة هي داؤه
ومرحوم من سقم هو شفاؤه وقال الشاعر

* ومن كلفته النفس فوق كفافها * فبايقضى حتى الممات عناؤه *
﴿ ومنها ﴾ ما يؤاخذ به من وزره واثامه ويحاسب عليه من تبعاته واجرامه
وقد حكى ان هشام بن عبد الملك لما ثقل بالبكاء ولده عليه قال لهم جاد لكم هشام
بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء وترك لكم ما كسب وتركتم عليه ما اكتسب ما اسوأ
حال هشام ان لم يغفر الله له فاخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال

* تمنع بمالك قبيل المما * ت والافلا مال ان انت متا *
* شقيت به ثم خلقته * لغريك بعدا وسحقا ومقنا *
* فجادوا عليك بزور البكا * ء وجدت عليهم بما قد جعنا *
* وارهتهم كل ما في يدك وخلوك رهنا بما قد كسبتا *

وروى ان العباس بن عبد المطلب جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله ولني فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم النبي صلى الله عليه وسلم
قليل يكفيك خير من كثير يريدك يا عباس يا عم النبي صلى الله عليه وسلم
من اماراة لا تحصيها يا عباس يا عم النبي صلى الله عليه وسلم ان الامارة اولها
ندامة واوسطها ملامة وآخرها خزي يوم القيامة فقال يا رسول الله الامن
عدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تبدلون مع الاقارب وقال رجل
للحسن البصري رحمه الله اني اخاف الموت واكرهه فقال انك خلقت مالك ولو
قدمته لسرك الحقوق به وقبل في منشور الحكم كثرة مال الميت تعزى ورثته عنه

فاخذ هذا المعنى ابن الرومي فقال وزاد

* ابقيت مالك ميراثا لسوارثه * فليت شعري ما ابقى لك المال *
* القوم بعدك في حال تسرههم * فكيف بعدهم حالت بك الحال *
* ملوا البكاء فانيك من احد * واستحكم القول في الميراث والقال *
* واتهم عنك دنيا اقبلت لهم * وادبرت عنك والايام احوال *
والسبب الرابع ان يجمع المال ويطلبه استخلا لا لجمعه وشغفا باحترامه
فهذا اسوأ الناس حالا فيه واشدهم حزنا له قد توجهت اليه سائر المالاوم حتى

صار وبالا عليه ومذام وفي مثله قال الله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم فقال النبي صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة فشق ذلك على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اي مال نخخذ فقال عمر رضي الله عنه انا اعلم لكم ذلك فقال يا رسول الله ان اصحابك قد شق عليهم فقالوا اي مال نخخذ فقال لسانا ذاكرا وقابسا شاكرا وزوجة مؤمنة تعين احدكم على دينه وروى شهر بن حوشب عن ابي امامة قال مات رجل من اهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال النبي صلى الله عليه وسلم كية ثم مات آخر فوجد في مئزره ديناران فقال صلى الله عليه وسلم كيتان وانما ذكر ذلك فوهما وان كان قد مات على عهده من ترك اموالا جنة واحوالا ضخمة فلم يكن فيه ما كان في هذين لانهما تظاهرا بالتقناعة واحتجنا ما ليس بهما اليه حاجة فصار ما احتجناه وزرا عليهم وعقابا لهما وقد قال الشاعر

* اذا كنت ذا مال ولم تكن ذا ندى * فانت اذا والمقترون سواء *
* على ان في الاموال يوما تباعة * على اهلها والمقترون براء *
❁ وانشدت عن الربيع للشافعي رضي الله عنه ❁

* ان الذي رزق اليسار ولم يصب * جدا ولا اجرا لغير موفق *
* والجد يدني كل شيء شاسع * والجد يفتح كل باب مغلق *
* واحق خلق الله بالهم امرؤ * ذوهمة عليا وعيش ضيق *
* ومن الدليل على القضاء وكونه * بؤس الليب وطيب عيش الاحق *
* فاذا سمعت بان مجدودا حوى * عودا فاورق في يديه فحقق *
* واذا سمعت بان مخذولا اتى * ماء ليشربه فجف فصدق *

اللب العقل تقول لبيب ذولب والجد في اللغة الخط وهو البخت والجد ايضا العظمة ومنه قوله تعالى وانه تعالى جد ربنا والجد مصدر جد الشيء اذا قطع والجد بالكسر الانكماش في الامور اى الاجتهاد فيها وهو ايضا الحق ضد الهزل وبالحاء اذا منع الرزق ومجد مجدود لا يقال فيهما الا بما لم يسم فاعله وآفة من بلى بالجمع والاستكثار ومنى بالامساك والادخار حتى انصرف عن رشده فغوى

وانحرف عن سنن قصده فهو ان يستولى عليه حب المال وبعد الامل فيبعثه
المال على الحرص في طلبه، ويدعوه بعد الامل على الشح به والحرص والشح
اسهل لكل ذم وسبب لكل ثوم لان الشح يمنع من اداء الحقوق ويبعث على القطيعة
والعقوف ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم شر ما اعطى العبد شح هالع وجبن
خالع وقال بعض الحكماء الغنى البخيل كالقوى الجبان واما الحرص فيسلب فضائل
النفس لاستيلائه عليها ويمنع من التوفر على العباداة لتشاغله عنها ويبعث
على التورط في الشبهات لقلة تحرزه منها وهذه الثلاث خصال هن
جامعات الرذائل سالبت الفضائل مع ان الحريص لا يستزيد بحرصه
زيادة على رزقه سوى اذلال نفسه واستخاط خالفه وروى عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال الحريص الجاعد والقنوع الزائد يستوفيان اكلهما
غير منتقص منه شيء فعلام التهافت في النار وقال بعض الحكماء الحرص مفسدة
للدين والمروءة والله ما عرفت من وجه رجل حرصا فرأيت ان فيه مصطنعا
وقال آخر الحريص اسير مهانة لا تفك اسره وقال بعض البلغاء المقادير الغالبة
لا تنال بالمغالبة والارزاق المكتوبة لا تنال بالشدة والمغالبة فذلل للمقادير نفسك
واعلم بانك غير نائل بالحرص الا حفظك وقال بعض الادباء رب حظ اذركه غير
طالبه ودر احرزه غير جالبه وانشدني بعض اهل الادب لمحمد بن حازم

* يا اسير الطمع الكاذب في غل الهوان *
* ان عز الياس خير * لك من ذل الاماني *
* سماح الدهر اذا عز وخذ صفو الزمان *
* انما اعدم ذو الحرص * واثرى ذو التواني *

وليس للحرص غاية مقصودة يقف عندها ولا نهاية محدودة يقنع بها لانه اذا
وصل بالحرص الى ما امل اغراه ذلك بزيادة الحرص والامل وان لم يصل رأى
اضاعة الغنى لثوما والصبر عليه حزما وصار بما سلف من رجائه اقوى رجاء
وابسط املا وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يشيب ابن آدم ويبقى
معه خصلتان الحرص والامل وقيل للمسيح عليه السلام ما بال المشايخ احرص
على الدنيا من الشباب قال لانهم ذاقوا من طعم الدنيا ما لم يذقه الشباب ولو

صدق الحريص نفسه واستنصح عقله لعلم ان من تمام السعادة وحسن التوفيق الرضاء بالقضا والقناعة بالقسم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اقتصدوا في الطلب فان ما رزقتموه اشد طلبا لكم منكم وما حرمتوه فلن تنالوه ولو حرصتم وروى ان جبريل على نبينا وعليه السلام هبط على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى يقرأ عليك السلام ويقول لك اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجنا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى فامر النبي صلى الله عليه وسلم بناديا ينادى من لم يتأدب بادب الله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات وقيل مكتوب في بعض الكتب ردوا ابصاركم عليكم فان لكم فيها شغلا وقال مجاهد في تأويل قوله تعالى ولهيئته حياة طيبة قال بالقناعة وقال اكثم بن صفي من باع الحرص بالقناعة ظفر بالفي والثروة وقال بعض السلف قد يخيب الجاهد الساعي ويظفر الوداع البهادي فاخذه المجترى فقال

* لم الق مقدورا على استحقاقه * في الحظ اما ناقصا او زائدا *
 * وعجبت للمجهود يحرم ناصبا * كلفا وللمجهود يغم قاعدا *
 * ما خطب من حرم الارادة قاعدا * خطب الذي حرم الارادة جاهدا *
 وقال بعض الحكماء ان من قنع كان غنيا وان كان مقترا ومن لم يقنع كان فقيرا وان كان مكثرا وقال بعض البلغاء اذا طلمت العز فاطلبه بالطاعة واذا طلمت الغنى فاطلبه بالقناعة فن اطاع الله عز وجل عز نصره ومن لزم القناعة زال فقره وقال بعض الادباء القناعة عز المعسر والصدقة حرز الموسر وقال بعض الادباء

* انى ارى من له قنوع * يدرك ما نال او غنى *
 * والرزق يأتى بلا عناء * وربما فات من تعنى *
 والقناعة قد تكون على ثلاثة اوجه فالوجه الاول ان يقنع بالبلغة من دنياه ويصرف نفسه عن التعرض لما سواه وهذا اعلى منازل القناعة وقال الشاعر
 * اذا شئت ان تحيى غنيا فلا تكن * على حالة الا رضيت بدونها *
 وقال مالك بن دينار ازهد الناس من لا تتجاوز رغبته من الدنيا بلفته وقال بعض

الحكماء الرضى بالكفاف يؤدى الى العفاف وقال بعض الادباء يارب ضيق افضل من سعة وعناء خير من دعة وانشدنى بعض اهل الادب وذكر انه لعلى بن ابي طالب كرم الله وجهه

- * افادتنا القناعة اى عن * واى غنى اعز من القناعة *
- * فصيرها لنفسك رأس مال * وصبر بعدها التقوى بضاعة *
- * تحرز حين تنفى عن بخيل * وتنعم فى الجنان بصبر ساعه *

والوجه الثانى ان تنتهى به القناعة الى الكفاية ويحذف الفضول والزيادة وهذه اوسط حال المقنع وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما من عبد الا بينه وبين رزقه حجاب فان قنع واقتصد اتاه رزقه وان هتك الحجاب لم يزد فى رزقه وقال بعض الحكماء ما فوق الكفاف اسرافى وقال بعض البلغاء من رضى بالمقدور قنع باليسور وقال البحرى

- * نطلب الاكثر فى الدنيا وقد * تبلغ الحاجة منها بالاقل *

﴿ وانشدت لابراهيم بن المدبر ﴾

- * ان القناعة والعفا * فى ليفنيان عن الغنى *
- * فاذا صبرت عن المني * فاشكر فقد نلت المني *

والوجه الثالث ان تنتهى به القناعة الى الوقوف على ما سئح فلا يكره ما اتاه وان كان كثيرا ولا يطلب ما تعذر وان كان يسيرا وهذه الحال ادنى منازل اهل القناعة لانها مشتركة بين رغبة ورهبة اما الرغبة فلانه لا يكره الزيادة على الكفاية اذا سئحت واما الرهبة فلانه لا يطلب المتعذر عن نقصان المادة اذا تعذرت وفى مثله قال ذو النون رحمة الله عليه من كانت قناعته سميئة طابت له كل مرقعة وقد روى الحسن بن على عن ابيه عن جده رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا دول فما كان منها لك اناك على ضعفك وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك ومن انقطع رجاءه مما فات استراح بدنه ومن رضى بما رزقه الله تعالى قرت عينه وقال ابو حازم الاعرج وجدت شيئين شيئا هو لى لن اعجله قبل اجله ولو طلبته بقوة السموات والارض وشيئا هو لغيرى وذلك مما لم انله فيما مضى ولا اناله فيما بقى يمنع الذى لى من غيرى

كما جمع الذي لغزى منى ففى اى هذين افنى عمرى واهلك نفسى وقال ابو تمام الطائى

* لا تأخذونى بالزمان وليس لى * تبعا ولست على الزمان كفيلا *
 * من كان مرعى غزاه وهمومه * روض الامانى لم يزل مهزولا *
 * لوجار سلطان القنوع وحكمه * فى الخلق ما كان القليل قليلا *
 * الرزق لا تكمد عليه فانه * يأتى ولم تبعث عليه رسولا *
 ﴿ وانشدنى بعض اهل الادب لابن الرومى ﴾

* جرى قلم القضاء بما يكون * فسيان التحرك والسكون *
 * جنون منك ان تسعى لرزق * ويرزق فى غشاوته الجنين *
 ونحن نسأل الله تعالى اكرم مشول وافضل مأمول ان يحسن الينا التوفيق
 فيما منح ويصرف عنا الرغبة فيما منع استكفافا لتبعات الثروة ومو بقات الشهوة
 روى شريك بن ابى نمر عن ابى الجذع عن اعمامه واجداده عن النبي صلى الله
 عليه وسلم انه قال خير امتى الذين لم يعطوا حتى ينظروا ولم يقتروا حتى يسألوا
 وقال ابو تمام الطائى

* عندى من الايام مبالو انه * اضحى بشارب مرقد ما غضا *
 * لا تطلبن الرزق بعد شمسه * فترومه شبا اذا ما غضا *
 * ما عوض الصبر امرؤ الا رأى * ما فاته دون الذى قد عوضا *

﴿ باب ادب النفس وهو الخامس من الكتاب ﴾

اعلم ان النفس مجبولة على شيم مهيمنة واخلاق مرسله لا يستغنى محمودها عن
 التأديب ولا يكتفى بالرضى منها عن التهذيب لان لمحمودها اعتدادا مقابلة
 يسعد بها هوى مضاع وشهوة غالبه فان اغفل تأديبها تقويضها الى انقراض او توكلا
 على ان تنقاد الى الاحسن بالطبع اعدمه التقويض درك المجتهدين واعقبه التوكل
 ندم الخاشعين فصار من الادب عاطلا وفى صورة الجهل داخلا لان الادب
 مكتسب بالتجربة او مستحسن بالعادة واكل قوم مواضعة وذلك لا ينال
 بتوقيف العقل ولا بالانقياد للطبع حتى يكتسب بالتجربة والمعاينة ويستفاد

بالدربة والمعاطاة ثم يكون العقل عليه قيميا وزكى الطبع اليه مسلما
ولو كان العقل مغنيا عن الادب لكان انبياء الله تعالى عن ادبه مستغنين وبعقولهم
مكتفين وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت لاتيهم مكارم
الاخلاق وقيل لعيسى بن مريم علي نبينا وعليه السلام من ادبك قال ما ادبني
احد ولكني رأيت جهل الجاهل بخائنه وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ان الله تعالى جعل مكارم الاخلاق ومحاسنها وصلا بينه وبينكم فحسب الرجل
ان يتصل من الله تعالى بخلق منها وقال ازدشير بن بابك من فضيلة الادب انه
ممدوح بكل لسان ومترين به في كل مكان وبقا ذكره على ايام الزمان وقال
مهود شبه العالم الشريف القديم الادب بالبنيان الخراب الذي كل ما علا سمكه
كان اشد لوحشته وبالنهر اليابس الذي كل ما كان اعرض واعمق كان اشد
لوعورته وبالأرض الجيدة المعطلة التي كلما طال خرابها ازداء نباتها غير
المتففع به التفافا وصار للهوام مسكنا وقال ابن المقفع ما نحن الى ما نتقوى به على
حواسنا من المطعم والمشرع باحوج منا الى الادب الذي هو لقاح عقولنا فان
الحبة المدفونة في الثرى لا تقدر ان تطلع زهرتها ونضارتها الا بالماء الذي
يعود اليها من مستودعها وحكي الاصمعي رحمه الله تعالى ان اعرابيا قال
لابنه يا بني الادب دعامة ايد الله بها الالباب وحلية زين الله بها عواطل
الاحساب فالعقل لا يستغنى وان صحت غريزته عن الادب المخرج زهرته
كما لا تستغنى الارض وان عذبت تربتها عن الماء المخرج ثمرتها وقال بعض
الحكماء الادب صورة العقل فصور عقلك كيف شئت وقال آخر العقل
بلا ادب كالشجر العاقر ومع الادب كالشجر الثمر وقيل الادب احد
المنصيين وقال بعض البلغاء الفضل بالعقل والادب لا بالاصل والحسب لان من
ساء اليه ضاع نسبه ومن قل عقله ضل اصله وقال بعض الادباء ذك قلبك بالادب
كما تذكي النار بالخطب واتخذ الادب غنما والحرص عليه حظا يرتجيك راغب
ويخاف صولتك راهب ويؤمل نفعك ويرجى عدلك وقال بعض العلماء الادب
وسيلة الى كل فضيلة وذريعة الى كل شريعة وقال بعض الفصحاء الادب يستر
قبح النسب وقال بعض الشعراء فيه

* فما خلق الله مثل العقو * ل ولا اكتسب الناس مثل الادب *
 * وما كرم المرء الا التقى * ولا حسب المرء الا النسب *
 * وفي العلم زين لاهل الحجا * وآفة ذى الحلم طيش الغضب *
 * وانشد الاصمعي رحمه الله *

* وان يك العقل مولودا فلست ارى * ذا العقل مستغنيا عن حادث الادب *
 * اني رأيتهما كالماء مختلطا * بالترب تظهر منه زهرة العشب *
 * وكل من اخطأه في موالده * غريزة العقل حاكي بهم في الحسب *
 * والتأديب يلزم من وجهين احدهما ما لزم الوالد لولده في صغره والثاني ما لزم
 الانسان في نفسه عند نشوه وكبره فاما التأديب اللازم للاب فهو ان يأخذ ولده
 بمبادئ الآداب ليأنس بها وينشو عليها فيسهل عليه قبولها عند الكبر لاستثنائه
 بمبادئها في الصغر لان نشو الصغير على الشيء يجعله متطبعا به ومن اغفل في
 الصغر كان تأديبه في الكبر عسيرا وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
 قال ما نحل والد ولده نحلة افضل من ادب حسن يفيد به اياه او جهل قبيح يكفه
 عنه ويمنع منه وقال بعض الحكماء بادروا بتأديب الاطفال قبل تراكم الاشغال
 وتفرق البال وقال بعض الشعراء

* ان الغصون اذا قومتها اعتدلت * ولا يلين اذا قومته الخشب *
 * قد ينفع الادب الاحداث في صغر * وليس ينفع عند الشبهة الادب *
 * وقال آخر *

* ينشو الصغير على ما كان والده * ان الاصول عليهما تنبت الشجر *
 * واما الادب اللازم للانسان عند نشوه وكبره فانبا ان ادب مواضعة واصطلاح
 وادب رياضة واستصلاح فاما ادب المواضعة والاصطلاح فيؤخذ تقليدا على
 ما استقر عليه اصطلاح العقلاء واتفق عليه استحسان الادباء وليس
 لاصطلاحهم على وضعه تعليل مستبطن ولا لاتفاقهم على استحسانه دليل موجب
 كاصطلاحهم على مواضعات الخطاب واتفاقهم على هيئات اللباس حتى ان
 الانسان الآن اذا تجاوز ما اتفقا عليه منها صار مجانباً للادب مستوجبا للذم

لان فراق المؤلف في العادة ومجانبة ما صار متفقاً عليه بالواضحة مفض الى استحقاق الذم بالعقل ما لم يكن لمخالفته علة ظاهرة ومعنى حادث وقد كان جائزاً في العقل ان يوضع ذلك على غير ما اتفقوا عليه فيرونه حسناً ويرون ما سواه قبيحاً فصار هذا مشاركاً لما وجب بالعقل من حيث توجه الذم على تاركة ومخالفا له من حيث انه كان جائزاً في العقل ان يوضع على خلافه واما ادب الرياضة والاستصلاح فهو ما كان محمولا على حال لا يجوز في العقل ان يكون بخلافها ولا ان تختلف العقلاء في صلاحها وفسادها وما كان كذلك فعليه بالعقل مستنبط ووضوح صحته بالدليل مرتبط ولا نفس على ما يأتي من ذلك شاهد ألهمها الله تعالى ارشادا لها قال الله تعالى فالهمها بخورها وتقواها قال ابن عباس رضي الله عنه بين لها ما تأتي من الخير وتذر من الشر وسنذكر تعليل كل شيء في موضعه فانه اولى به وحق فاول مقدمات ادب الرياضة والاستصلاح ان لا يسبق الى حسن الظن بنفسه فيخفى عنه مذموم شيء ومساوى اخلاقه لان النفوس بالشهوات آمرة وعن الرشد زاجرة وقد قال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء وقال صلى الله عليه وسلم اعدى اعدائك نفسك التي بين جنبك ثم اهلك ثم عيالك ودعت اعرابية لرجل فقالت كبت الله كل عدوك الا نفسك فاخذته بعض الشعراء فقال

* قلبي الى ما ضرني داعي * يكثر اسقامي واوجاعي *
 * كيف احتراسي من عدوي اذا * كان عدوي بين اضلاعي *
 فاذا كانت النفس كذلك فحسن الظن بها ذريعة الى تحكيمها وتحكيمها داع الى سلاطنتها وفساد الاخلاق بها فاذا صرف حسن الظن عنها وتوسمها بما هي عليه من التسويف والمكر فاز بطاعتها وانحاز عن معصيتها وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه العاجز من عجز عن سياسة نفسه وقال بعض الحكماء من ساس نفسه ساد ناسه فاما سوء الظن بها فقد اختلف الناس فيه فمنهم من كرهه لما فيه من اتهام طاعتها ورد مناصحتها فان النفس وان كان لها مكر يردى فلها نصح يهدي فلما كان حسن الظن بها يعمى عن محاسنها ومن عى عن محاسن نفسه كان كمن عى عن

مساويها فلم ينف عنها قبيحا ولم يهد اليها حسنا وقد قال الجاحظ في كتاب البيان يجب ان يكون في التهمة لنفسه معتدلا وفي حسن الظن بها مقتصدًا فإنه ان تجاوز مقدار الحق في التهمة ظلمها فلودعها ذلة المظالمين وان تجاوز بها الحق في مقدار حسن الظن اودعها تهاون الآمنين ولكل ذلك مقدار من الشغل ولكل شغل مقدار من الوهن ولكل وهن مقدار من الجهل وقال الاحنف بن قيس من ظلم نفسه كان لغيره اظلم ومن هدم دينه كان لمجده اهدم ونهب قوم الى ان سوء الظن بها ابلغ في صلاحها واوفر في اجتهادها لان للنفس جورا لا ينفك الا بالسخط عليها وغرورها لا يتكشف الا بالتهمة لها لانها محبوبة تجور ادلا ولا تفر مكرافان لم يسيء الظن بها غلب عليه جورها وتمو، عليه غرورها فصار ميسورها قلنا وبالشبهة من افعالها راضيا وقد قالت الحكماء من رضى عن نفسه اسخط عليه الناس وقال كشاجم

- * لم ارض عن نفسي بخافة سخطها * ورضى الفتى عن نفسه اغضابها *
- * ولو انني عنها رضيت لقصرت * عما تزيد بمثله آدابها *
- * وتبينت آثار ذاك فاكثرت * عذلى عليه فطال فيه عتابها *

﴿ وقد استحسن قول ابى تمام الطائي ﴾

- * ويبىء بالاحسان ظنا لا يكن * هو بانبسه وبشعره مقتون *
- فلم يروا اساءة ظنه بالاحسان ذما ولا استقلال عليه لوما بل رأوا ذلك ابلغ في الفضل وابعث على الازيد فاذا عرف من نفسه ما يحب وتصور منها ما تكن ولم يطاوعها فيما يحب اذا كان غيا ولا صرف عنها ما تكره اذا كان رشدا فقد ملكها بعد ان كان في ملكها وغلبها بعد ان كان في غلبها وقد روى ابو حازم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشديد من غلب نفسه وقال عون بن عبد الله اذا عصمتك نفسك فيما كرهت فلا تطعها فيما احبت ولا يفرئك نساء من جهل امرك وقال بعض البلغاء من قوى على نفسه تساهى في القوة ومن صبر عن شهوته بالغ في البروة فيبتذ ياخذ نفسه عند معرفة ما اكنت وخبرة ما اجبت بتقوم عوجها

واصلاح فاسدها وقد روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت يا رسول الله متى يعرف الانسان ربه قال اذا عرف نفسه ثم يراعى منها ما صلح واستقام من زيع يحدث عن اغفال او ميل يكون عن اهمال لئيم له الصلاح وتستديم له السعادة فان المغفل بعد المعاناة ضائع والمهمل بعد المراجعة زائع وسنذكر من احوال ادب الرياضة والاستصلاح فصولا تحتوى على ما يلزم مراعاته من الاخلاق ويحب معاناته من الادب وهى ستة فصول متفرعة ﴿ الفصل الاول ﴾ فى مجانبة الكبر والاعجاب لانهما يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وليس لمن استولى عليه اصفاء لنصح ولا قبول لتأديب لان الكبر يكون بالمنزلة والعجب يكون بالفضيلة فالتكبر يحل نفسه عن رتبة المتعلمين والمعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأديين فلذلك وجب تقديم القول فيهما بابانة ما يكسبانه من ذم ويوجبانه من لوم ﴿ فنقول ﴾ اما الكبر فيكسب المقت ويلهى عن التأف ويوغر صدور الاخوان وحسبك بذلك سواء عن استقصاء ذمه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لعنه العباس اذهاك عن الشرك بالله والكبر فان الله يحب منهما وقال ازدشير بن بابك ما الكبر الا فضل حق لم يدر صاحبه اين يذهب به فيصرفه الى الكبر وما اشبه ما قال بالحق وحكى ان مطرف بن عبد الله بن الشخير نظر الى المهلب بن ابي صفرة وعليه حلة يسحبها ويمشي الخلاء فقال يا ابا عبد الله ما هذه المشية التى يفضها الله ورسوله فقال المهلب أما تعرفنى فقال بل اعرفك اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قدرة وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة فأخذ بن عوف هذا الكلام فنظمه شعرا فقال

* عجت من معجب بصورته * وكان بالامس نطفة مذرة *
 * وفى غد بعد حسن صورته * يصير فى اللحد جيفة قدرة *
 * وهو على تيهه ونخوته * ما بين ثوبه يحمل العذرة *

وقد كان المهلب افضل من ان يخدع نفسه بهذا الجواب الغير صواب ولكنها زلة من زلات الاسترسال وخطيئة من خطايا الادلال فأما الحق الصريح والجهل القبيح فهو ما حكى عن نافع بن جبير بن مطعم انه جلس فى حلقة العلاء بن

عبدالرحمن الخرقى وهو يقرئ الناس فلما فرغ قال أتدرون لم جلست اليكم قالوا
جلست لتسمع قال لا ولكنى اردت ان اتواضع لله بالجلوس اليكم فهل يرجى من
هذا فضل او ينفع فيه عذل وقد قال ابن المعتز لما عرف اهل النقض حالهم عند
ذوى الكمال استعانوا بالكبر ليعظم صغيرا ويرفع حقيرا وليس بفاعل واما
الاعجاب فيحنى المحاسن ويظهر المساوى ويكسب المذام ويصد عن الفضائل وقد
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العجب لياكل الحسنات كما تأكل
النار الحطب وقال على بن ابي طالب كرم الله وجهه الاعجاب ضد الصواب
واقفة الالباب وقال بزرجهر النعممة التى لا يحسد صاحبها عليها التواضع
والبلاء الذى لا يرحم صاحبها منه العجب وقال بعض الحكماء عجب المرء بنفسه
احد حساد عقله وليس الى ما يكسبه الكبر من المقت حد ولا الى ما ينتهى اليه
العجب من الجهل غاية حتى انه ليطغى من المحاسن ما انتشر ويسلب من الفضائل
ما اشتهر وناهيك بسيئة تحبط كل حسنة وبمذمة تهدم كل فضيلة مع ما يثيره من
حنق ويكسبه من حقد حكى عمر بن حفص قال قيل للحاج كيف وجدت منزلك
بالراق قال خير منزل لو كان الله بلاننى قتل اربعة فقرت اليه بدمائهم ولما
ولى مقاتل بن مسمع سجستان اتاه الناس فاعطاهم الاموال فلما عزل دخل
مسجد البصرة فبسط الناس له اريدتهم فشى عليها وقال لرجل يماشيه مثل هذا
فليعمل العاملون وعبد الله بن زياد بن ظبيان التميمى خوف اهل البصرة امر
فخطب خطبة اوجز فيها فنادى الناس من اعراض المسجد اكث الله فينا
مثلك فقتل لقد كلفتم الله شططا ومعبد بن زراعة كان ذات يوم جالسا في طريق
فمرت به امرأة فقالت له يا عبد الله كيف الطريق الى موضع كذا فقال ياهنأة
مثلى يكون من عبيد الله وابو شمال الاسدى اضل راحلته فالتبسها الناس فلم
يجدوها فقال والله ان لم يرد الى راحلتى لا صليت له صلاة ابدا فالتبسها الناس
فوجدوها فقالوا له قد رد الله راحلتك فصل فقال ان يمين يمين مصر فانظر
الى هؤلاء كيف افضى بهم العجب الى حق صاروا به نكالا فى الاولين ومثلا
فى الآخرين ولو تصور المحب المتكبر ما فطر عليه من جلبة وبلى به من
مهنة لخفض جناح نفسه واستبدل لينا من عتوه وسكوتا من نفوره وقال

الاحنف بن قيس عجبته لمن جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر وقد وصف بعض الشعراء الانسان فقال

* يا مظهر الكبر اعجابا بصورته * انظر خلاك فان النتن تزيب
* لو فكر الناس فيما في بطونهم * ما استشعر الكبر شبان ولا شب
* هل في ابن آدم مثل اراس مكرمة * وهو بخمس من الاقدار مضروب
* انف يسيل واذن ريمها سهك * والعين مرفضة والثغر ملعوب
* يا ابن التراب وما كول التراب غدا * اقصر فانك ما كول ومشروب

واحق من كان للكبر مجانباً وللإعجاب مبائناً من جل في الدنيا قدره وعظم فيها خطره لانه قد يستقل بعالي همة كل كثير ويمتصغر معها كل كبير وقال محمد ابن علي لا ينبغي للشريف ان يرى شيئاً من الدنيا لنفسه خطيراً فيكون بها نادياً وقال ابن السماك لعيسى بن موسى تواضعك في شرفك اشرف لك من شرفك وكان يقال اسمان متضادان بمعنى واحد التواضع والشرف * وللكبر اسباب فمن اقوى اسبابه يخلو اليد وتفوز الامر وقلة مخالطة الاكفاء وحكى ان قوما مشوا خلف علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال ابعثوا عني خضق فهاكم فانها مفصدة لملوب فوكى الرجال ومشوا خلف ابن مسعود فقال ارجعوا فانها زلة التابع وفتنة للمتبوع وروى قيس بن حازم ان رجلاً اتى به للنبي صلى الله عليه وسلم فاصابته رعدة فقال له صلى الله عليه وسلم هون عليك فانما انا ابن امرأة كانت تأكل القديد وانما قال ذلك صلى الله عليه وسلم حينما لمواد الكبر وقطعا لذرائع الإعجاب وكسرا لاشمئ النفس وتذليلاً لسطوة الاستعلاء ومثل ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه نادى الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال ايها الناس لقد رأيتني اربعى على خالات لي من بني مخزوم فيقبض لي القبض من التمر والزبيب فاطل اليوم وامي يوم فقال له تعبد الرحمن بن عوف والله يا امير المؤمنين ما زدت علي ان قصرت بنفسك فقال عمر رضي الله عنه ويحك يا ابن عوف اني خلوت فحدثني تقمى فقسمت انت امير المؤمنين فني اذا افضل منك فاردت ان اعرفها تقسمها *

وللاعجاب اسباب فمن اقوى اسبابه كثرة مديح التقريين واطراء المتعلقين الذين جعلوا النفاق عادة وعكسا والتلق خديعة وملعبا فاذا وجدوه مقبولا في العقول الضعيفة اغروا اربابها باعتقاد كذبهم وجعلوا ذلك ذريعة الى الاستهزاء بهم وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يزكى رجلا فقال له قطعت مطاه لو سمعها ما افلح بعدها وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه المدح ذبح وقال ابن المقفع قابل المدح كادح نفسه وقال بعض الحكماء من رضى ان يمدح بما ليس فيه فقد امكن الساخر منه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم والتمايح فانه الذبح ان كان احدكم مادحا اخاه لا محالة فليقل احسب ولا ازكى على الله احدا وقيل فيما انزل الله عز وجل من الكتب السالفة عجت لمن قيل فيه الخير وليس فيركف يفرح وعجت لمن قيل فيه الشر وهو فيه كيف بغضب وقال بعض الشعراء

* يا جاهلا غره افراط مادحه * لا يغفل جهل من اطراك علمك بك *
* اثني وقال بلا علم احاط به * وانت اعلم بالمحصول من ريبك *
وهذا امر ينبغي للعاقل ان يضبط نفسه عن ان يستفزها ويمنعها من تصديق المدح لها فان للنفس ميلا لحب الثناء وسماع المدح وقال الشاعر

* يهوى الثناء مبرز ومقصر * حب الثناء طبيعة الانسان *
فاذا ساع نفسه في مدح الصبوة وتابعها على هذه الشهوة تشاغل بها عن الفضائل الممدوحة ولها بها عن المحاسن الممنوحة فصار الظاهر من مدحه كذبا والباطن من ذمه صدقا وعند تقابلهما يكون الصدق الزم الامرين وهذه خدعة لا يرتضيها عاقل ولا يتخذع بهامير وليعلم ان التقرب بالمدح يسرف مع القبول ويكف مع الالباء فلا يغلبه حسن الظن على تصديق مدح هو اعرف بحقيقته وليكن تهمة المادح اغلب عليه فقل مدح كان جميعه صدقا وقل ثناء كان كله حقا ولذلك كره اهل الفضل ان يطلقوا السنتهم بالثناء والمدح تحرزا من التجاوز فيه وتنزيها عن التلق به وقد روى مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكونوا عيايين ولا تكونوا لعانين ولا متمادحين ولا متماوتين وحكى الاصمعي ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه كان اذا مدح قال اللهم انت

اعلم بي من نفسي وانا اعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون وقال بعض الشعراء

* اذا المرء لم يمدحه حسن فعاله * فادحه يهذي وان كان مفصحا *

وربما آل حب المدح بصاحبه الى ان يصير مادح نفسه اما لتوهمه ان الناس قد غفلوا عن فضله واخلوا بحقه واما ليخدعهم بتدليس نفسه بالمدح والاطراء فيعتقدون ان قوله حق متبع وصدق مستمع واما لتلذذه بسماع الشاء وسرور نفسه بالمدح والاطراء كما يتغنى بنفسه طربا اذا لم يسمع صوتا مطربا ولا غناء متمعا ولاي ذلك كان فهو الجهل الصريح والنقص الفضيح وقد قال بعض الشعراء

* وما شرف ان يمدح المرء نفسه * ولكن اعمالا تدم وتمدح *

* وما كل حين يصدق المرء ظنه * ولا كل اصحاب التجارة يربح *

* ولا كل من ترجو لغيرك حافظ * ولا كل من ضم الوديعه يصلح *

وينبغي للعاقل ان يسترشد اخوان الصدق الذين هم اصفياء القلوب ومرايا المحاسن والعيوب على ما يظهرونه عليه من مساويه التي صرفه حسن الظن عنها فانهم امكن نظرا واسلم فكرا ويجعلون ما يظهرونه عليه من مساويه عوضا عن تصديق المدح فيه وقد روى انس بن مالك عن النبي الله عليه وسلم انه قال المؤمن مرآة المؤمن اذا رأى فيه عيبا اصلحه وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول رحم الله امراء اهدى النساء مساويتنا وقيل لبعض الحكماء اتحباب ان يهدي اليك عيوبك قال نعم من ناصح ومما يقارب معنى هذا القول ما روى عن عمر رضى الله عنه انه قال لابن عباس رضى الله عنهما من ترى ان نوليه حص فقال رجلا صحيفا منك صحيفا لك قال تكون انت ذلك الرجل قال لا تنتفع بي مع سوء ظني بك وسوء ظنك بي وقيل في منشور الحكم من اظهر عيب نفسه فقد زكاه فاذا قطع اسباب الكبر وحسم مواد العجب اعتاض بالكبر تواضعا وبالعجب توددا وذلك من اوكد اسباب الكرامة واقيوى مواد النعم وابلغ شافعا الى القلوب يعطفها الى المحبة ويثنيها على البفض وقال بعض الحكماء من برئ من ثلاث نال ثلاثا من برئ من السرف نال العز ومن برئ من البخل نال الشرف ومن برئ من الكبر نال الكرامة وقال مصعب بن الزبير التواضع مصاد الشرف وقيل في

من نور الحكم من دام تواضعه كثر صديقه وقد تحدث المنازل والولايات لقوم اخلاقاً مذمومة يظهرها سوء طباعهم ولا تخبر فضائل محموده يبعث عليها زكاه شيعهم لان لتقلب الاحوال سكرة تظهر من الاخلاق مكنونها ومن السرائر مخزونها لا سيما اذا هجمت من غير تدريج وطرقت من غير تأهب وقد قال بعض الحكماء في تقلب الاحوال تعرف جواهر الرجال وقال الفضل بن سهل من كانت ولايته فوق قدره تكبر لها ومن كانت ولايته دون قدره تواضع لها وقال بعض البلغاء الناس في الولاية رجلان رجل يحل العمل بفضله ومروءته ورجل يحل بالعمل لنقصه ودنائه فمن جل عن عمله ازداد به تواضعاً وبشراً ومن جل عنه عمله ازداد به تجبراً وتكبراً ﴿ الفصل الثاني في حسن الخلق ﴾ روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى اختار لكم الاسلام ديناً فأكرموا بحسن الخلق والسمحاء فانه لا يكمل الا بهما وقال الاحنف بن قيس الا اخبركم بانوا الداء قالوا بلى قال الخلق الدني واللسان البذي وقال بعض الحكماء من ساء خلقه ضاق رزقه وعلة هذا القول ظاهرة وقال بعض البلغاء الحسن الخلق من نفسه في راحة والناس منه في سلامة والسئ الخلق الناس منه في بلاء وهو من نفسه في عناء وقال بعض الحكماء عاشر اهلك باحسن اخلاقك فان الثواء فيهم قليل وقال بعض الشعراء

* اذا لم تدع اخلاق قوم * تضيق بهم فسيحات البلاد *

* اذا ما المرء لم يخلق ليبيسا * فليس اللب عن قدم الولاد *

فاذا حسنت اخلاق الانسان كثر مصافوه وقل معادوه فتسهلت عليه الامور الصعاب ولانت له القلوب الغضاب وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الاعمار وقال بعض الحكماء من سعة الاخلاق كنوز الارزاق وسبب ذلك ما ذكرنا من كثرة الاصفياء المسعدين وقلة الاعداء المحققين ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم احبكم الى احسنكم اخلاقاً الموطون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وحسن الخلق ان يكون سهل العريكة لين الجانب طليق الوجه قليل النفور طيب الكلمة وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاوصاف فقال اهل الجنة كل حين لين سهل

طليق ولما ذكرنا هذه الاوصاف من حدود مقدرة ومواقع مستحقة كما قال الشاعر
 * اصفوا واكدر احيانا لمختبرى * وليس مستحسننا صفوا بلا كدر *
 وليس يريد بالكدر الذي هو البذاء وشراسة الخلق فلان ذلك ذم لا يستحسن
 وعيب لا يرتضى وانما يريد الكف والانتقاض في موضع يلام فيه المساعد وينم
 فيه الموافق فاذا كانت لمحاسن الاخلاق حدود مقدرة ومواقع مستحقة فان
 تجاوز بها الحد صارت ملقبا وان عدل بها عن مواضعها صارت نقافا والملق
 ذل والنفاق لؤم وليس لمن وسم بهما ود مبرور ولا اثر مشكور وقد روى حكيم
 عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشرف الناس
 ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وروى مكحول عن ابي هريرة
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لذى الوجهين ان يكون وجهيهما
 عند الله تعالى وقال سعيد بن عروة لان يكون لى نصف وجه ونصف لسان على
 ما فيهما من قبح المنظر وعجز الخبر احب الى من ان يكون ذا وجهين وذا
 لسانين وذا قولين مختلفين وقال الشاعر

* خل النفاق لاهله * وعليك فالتمس الطريقا *
 * وارغب بنفسك ان ترى * الا عدوا او صديقا *

❁ وقال ابراهيم بن محمد ❁

* وكم من صديق وده بلسانه * خون بظهر الغيب لا يتذم *
 * يضاحكنى عجباً اذا ما لقيته * ويصدقني منه اذا غبت اسهم *
 * كذلك ذو الوجهين يرضيك شاهدا * وفي غيبه ان غاب صاب وعلم *

وربما تغير حسن الخلق والوطاء الى الشراسة والبذاء لاسباب عارضة وامور
 طارئة تجعل اللين خشونة والوطاء غلظة والطلاقة عبوسا * فمن اسباب ذلك
 الولاية التي تحدث في الاخلاق تغيرا وعلى الخلطاء تنكرا اما من لؤم طبع واما
 من ضيق صدر وقد قيل من تاه في ولايته ذل في عزله وقيل ذل العزل يضحك
 من تيه الولاية ومنها العزل فقد يسوء به الخلق ويضيق به الصدر اما لشدة
 اسف او لقلته صبر حكى جيد الطويل ان عمار بن ياسر عزل عن ولاية فاشتد
 ذلك عليه وقال انى وجدت لها حلوة الرضاع مرة الفطام * ومنها الفنى فقد

تغير به اخلاق اللثيم بطرا وتسوء طرائقه اشرا وقد قيل من نال استطال وانشد
الرياشي

* غضبان يعلم ان المال ساق له * ما لم يسقه له دين ولا خلق *
* فمن يكن عن كرام الناس يسألني * فاکرم الناس من كانت له ورق *
* وقال بعض الشعراء *

* فان تكن الدنيا انا لك ثروة * فاصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر *
* لقد كشف الاثراء منك خلاثقا * من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر *
وبحسب ما افسده الفنى كذلك يصلحه الفقر وكتب قتيبة بن مسلم الى الحبيص
ان اهل الشام قد التاثوا عليه فكتب اليه ان اقطع عنهم الارزاق بفعل فساءت
حالهم فاجتمعوا اليه فقالوا اقلنا فكتب الى الحبيص فيهم فكتب اليه ان كنت
انست منهم رشدا فأجر عليهم ما كنت تجرى واعلم ان الفقر جسد الله الاكبر
يذل به كل جبار عنيد يتكبر وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لولا
ان الله تعالى اذل ابن آدم بثلاث ما طأطأ رأسه لشيء الفقر والمرض والموت *
ومنها الفقر فقد يتغير به الخلق اما انفة من ذل الاستكانة او اسفا على فائت
الفنى ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد
ان يغلب القدر وقال ابو تمام الطائي

* واغجب حالات ابن آدم خلقه * يضل اذا فكرت في كنهه الفكر *
* فيفرح بالشيء القليل بقاؤه * ويحزع مما صنار وهو له ذخر *
وربما تسلى من هذه الحسالة بالاماني وان قل صدقها فقد قيل قل ما تصدق
الامنية ولكن قد يعتاض بها سلوة من هم او مسرة برجا وقد قال ابو العتاهية
* حرك منك اذا اغتمت فانهم مراوح *

* وقال آخر *

* اذا غتمت بت الليل مغتبطا * ان المنى راس اموال المغاليس *
ومنها الهموم التي تذهل اللب وتشتغل القلب فلا تتبع الاحتمال ولا تقوى على
صبر وقد قيل الهم كالسم وقال بعض الادباء الحزن كالداء المخزون في قواد
المخزون وقال بعض الشعراء

* همومك بالعيش مقرونة * فما تقطع العيش الا بهم *

* اذا تم امر بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم *
 * اذا كنت في نعمة فارعها * فان المعاصي تزيل النعم *
 * وحام عليها بشكر الاله فان الاله سريع النعم *
 * حلاوة دنياك مسمومة * فاما تاكل الشهد الا بسم *
 * فكيف قدر دب في مهلة * فلم يعلم الناس حتى هجم *
 ومنها الامراض التي يتغير بها الطبع كما يتغير بها الجسم فلا تبق الاخلاق على
 اعتدال ولا يقدر معها على احتمال وقد قال المتنبي
 * آفة العيش صحة وشباب * فاذا وليا عن المرء ولي *
 * واذا الشيخ قال اف فما مل حياة وانما الضعف ملا *
 * واذا لم تجد من الناس كفوا * ذات خدر ارادت الموت بعلا *
 * ابدا تسرد ما تهب الدنيا فيا ليت جودها كان بخلا *
 ومنها ❖ علو السن وحدث الهرم لتأثيره في آلة الجسد كذلك يكون تأثيره
 في اخلاق النفس فكما يضعف الجسد عن احتمال ما كان يطيقه من اثقال
 فكذلك تجز النفس عن اثقال ما كانت تصبر عليه من مخالفة الوفاق ومضيق
 الشقاق وكذلك ما ضاهاه وقال منصور النمرى
 * ما كنت اوفى شبابي كنه عزته * حتى مضى فاذا الدنيا له تبع *
 * اصبحت لم تطعمي ثكل الشباب ولم * تشجى لفسته فلعذر لا يقع *
 * ما كان اقصر ايام الشباب وما * ابقى حلاوة ذكره التي تدع *
 * ما واجه الشيب من عين وان رمقت * الا لها نبوة عنده ومرتدع *
 * قدكدت تقضى على فوت الشباب اسي * لولا يعزبك ان العمر منقطع *
 فهذه سبعة اسباب احدثت سوء خلق كان عاما وههنا سبب خاص يحدث سوء
 خلق خاص وهو البغض الذي تنفر منه النفس فتحدث نفورا على الميغض
 فيؤول الى سوء خلق يخصه دون غيره فاذا كان سوء الخلق حادثا بسبب كان
 زواله مقرونا بزوال ذلك السبب ثم بالضد ❖ الفصل الثالث في الحياء ❖ اعلم

ان الخير والشر معال كامنة تعرف بسمات دالة كما قالت العرب في امثالها تخبر عن
مجهولة مرآتها وكما قال عمر بن سلم الشاعر

* لا تسأل المرء عن خلأته * في وجهه شاهد من الخبر *

فسمه الخير الدعة والحياء وسمه الشر القحة والبذاء وكفى بالحياء خيرا ان يكون
على الخير دليلا وكفى بالقحة والبذاء شرا ان يكونا الى الشر سبيلا وقد روى
حسان بن عطية عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء
والحي شعتان من الايمان والبذاء والبيان شعتان من النفاق ويشبه ان يكون
الحي في معنى الصمت والبيان في معنى التشاؤك كما جاء في الحديث الآخر
ان ابغضكم الى التثارون المتفهمون المتشدقون وروى ابو سلمة عن
ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحياء من الايمان
والايمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار وقال بعض الحكماء من كساه
الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه وقال بعض البلغاء حياة الوجه بحياؤه كما ان حياة
الفرس بمائة وقال بعض البلغاء العلماء يا عجبا كيف لا تستحي من كثرة ما لا
تستحي وتبقى من طول ما لا تبقى وقال بعض الشعراء وهو صالح بن عبد القدوس

* اذا قل ماء الوجه قل حياؤه * ولا خير في وجه اذا قل ماؤه *

* حياؤك فاحفظه عليك وانما * يدل على فعل الكريم حياؤه *

وليس لمن سلب الحياء صاد عن قبيح ولا زاجر عن محذور فهو يقدم على ما
يشاء ويأتى ما يهوى وبذلك جاء الخبر روى شعبة عن منصور بن ربيعي عن
ابي منصور البدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما ادرك الناس من
كلام النبوة الاول يا ابن آدم اذا لم تستحي فاصنع ما شئت وليس هذا القول
اغراء بفعل المعاصي عند قلة الحياء كما توهمه بعض من جهل معاني الكلام
ومواضع الخطاب وفي مثل هذا الخبر قول الشاعر

* اذا لم تخش عاقبة الايالى * ولم تستحي فاصنع ما تشاء *

* فلا والله ما في العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء *

* يعيش المرء ما استحي بخير * ويبقى العود ما بقي اللحاء *

واختلف اهل العلم في معنى هذا الخبر فقال ابو بكر بن محمد الشاشي في اصول

الفقه معنى هذا الحديث ان من لم يستحي دعاه ترك الحياء الى ان يعمل ما يشاء لا يردعه عنه رادع فليستحي المرء فان الحياء يردعه وسمعت من يحكي عن ابي بكر الرازي من اصحاب ابي حنيفة ان المعنى فيه اذا عرضت عليك افعالك التي هممت بفعلها فلم تستحي منها الحسنها وجمالها فاصنع ما شئت منها فجعل الحياء حكما على افعاله وكلا القولين حسن والاول اشبه لان الكلام خرج من النبي صلى الله عليه وسلم مخرج الذم لا مخرج المدح لكن قد جاء الحديث بما يضاهي القول الثاني وهو قوله صلى الله عليه وسلم ما احببت ان تسمعه اذنك فأنته وما كرهت ان تسمعه اذنك فاجنبه ويجوز ان يحمل هذا الحديث على المعنى الصريح فيه ويكون التأويل الاول في الحديث المتقدم اصح اذ ليس يلزم ان تكون احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها متفقة المعاني بل اختلاف معانيها ادخل في الحكمة وابلغ في الفصاحة اذا لم يضاد بعضها بعضا واعلم ان الحياء في الانسان قد يكون من ثلاثة اوجه احدها حياؤه من الله تعالى والثاني حياؤه من الناس والثالث حياؤه من نفسه فاما حياؤه من الله تعالى فيكون بامثال اوامره والكف عن زواجره وروى ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال استحيوا من الله عز وجل حق الحياء فقليل يا رسول الله فكيف نستحي من الله عز وجل حق الحياء قال من حفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى وترك زينة الحياة الدنيا وذكر الموت والبلى فقد استحيى من الله عز وجل حق الحياء وهذا الحديث من ابلغ الوصايا وقال ابو الحسن الماوردي مصنف الكتاب رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ذات ليلة فقلت يا رسول الله اوصني فقال استحي من الله عز وجل حق الحياء ثم قال تغير الناس قلت وكيف ذلك يا رسول الله قال كنت انظر الى الصبي فارى من وجهه البشر والحياء وانا انظر اليه اليوم فلا ارى ذلك في وجهه ثم تكلم بعد ذلك بوصايا وعظات تصورها واذلني السرور عن حفظها ووددت اني لو حفظتها فلم يبدأ بشيء صلى الله عليه وسلم قبل الوصية بالحياء من الله عز وجل وجعل ما سلبه الصبي من البشر والحياء سببا لتغير الناس وخص الصبي لان ما يأتيه بالطبع من غير تكلف فصلي الله وسلم على من هدى امته وتابع اذارها وقطع اعذارها واوصل تأديبها

وحفظ نهذيها وجمل لكل عصر حفظا من زواجه ونصيها من اوامره
اعانا الله على قبولها بالعمل وعلى استدامتها بالتوفيق وقد روى ان علقمة بن
علاثة قال يا رسول الله عظمي فقال النبي صلى الله عليه وسلم استحي من الله
تعالى استحياءك من ذوى الهيبة من قومك وهذا الحياء يكون من قوة الدين
وصحة اليقين ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم قللة الحياء كفر يعنى من الله
لما فيه من مخالفة اوامره وقال صلى الله عليه وسلم الحياء نظام الايمان فاذا
انحل نظام الشيء تبدد ما فيه وتفرق واما حياؤه من الناس فيكون بكف الاذى
وترك المجاهرة بالقيح وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اتى
الله اتى الناس وروى ان حذيفة بن اليمان اتى الجمعة فوجد الناس قد انصرفوا
فتنكب الطريق عن الناس وقال لا خير فيمن لا يستحي من الناس وقال بشار
ابن برد

- * ولقد اصرف الفؤاد عن الشيء حياء وحيه في السواد *
- * امسك النفس بالعفاف وامسى * ذاكرا في غد حديث الاعادى *
- وهذا النوع من الحياء قد يكون من كمال المروءة وخب الثناء ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم من ألنى جلباب الحياء فلا رغبة له يعنى والله اعلم لقلته مروءته وظهور
شهوته وروى الحسن عن ابى هريرة قال قال صلى الله عليه وسلم ان مروءة
الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه ومجلسه والقه وجليسه وقال بعض الشعراء
- * ورب قبجة ما حال بيني * وبين ركوبها الا الحياء *
- * اذا رزق الفتى وجها وقاحا * تقلب في الامور كما يشاء *

❁ وقال آخر ❁

- * اذا لم تصن عرضا ولم تحش خالقا * وتستحي مخلوقا فاشتت فاصنع *
- واما حياؤه من نفسه فيكون بالعفة وصيانة الخلوات وقال بعض الحكماء ليكن
استحيائك من نفسك اكثر من استحيائك من غيرك وقال بعض الادباء من عمل في
السرا عيلا يستحي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر ودعا قوم رجلا كان
يألف عشرتهم فلم يحبهم وقال اتى دخلت البارحة في الاربعين وانا استحي من
سنى وقال بعض الشعراء

* فسرى واعلاني وتلك خليقتي * وظلمة ليلي مثل ضوء نهاري *

وهذا النوع من الحياء قد يكون من فضيلة النفس وحسن السريرة فتي كل حياء الانسان من وجوهه الثلاثة فقد كملت فيه اسباب الخير وانتفت عنه اسباب الشر وصار بالفضل مشهورا وبالجميل المذكورا وقال بعض الشعراء

* واني لثني عن الجهل والحياء * وعن شتم ذي القربى خلائق اربع *

* حياء واسلام وتقوى وطاعة * لربي ومشلى من يضر وينفع *

وان اخل باحد وجوه الحياء لحقه من النقص باخلاله بقدر ما كان يلحقه من الفضل بكماله وقد قال الرياشي يقال ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه كان يتمثل بهذا الشعر

* وحاجة دون اخرى فد سحنت لها * جعلتها للتي اخفيت عنوانا *

* انى كأتى ارى من لا حياء له * ولا امانة وسط القوم عربانا *

❖ الفصل الرابع في الحلم والغضب ❖ روى محمد بن حارث الهلالي ان جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انى اتيتك بمكارم الاخلاق في الدنيا والآخرة خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وروى سفيان ابن عيينة ان النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية قال يا جبريل ما هذا قال لا ادرى حتى اسأل العالم ثم عاد جبريل وقال يا محمد ان ربك يأمر ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وروى هشام عن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أبجز احدكم ان يكون كاذبا ضممهم كان اذا خرج من منزله قال اللهم انى تصدقت بعرضي على عبادك وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يحب الحليم الحى ويغض الفاسحش البذى وقال عليه الصلاة والسلام من حلم ساد ومن تفهم ازداد وقال بعض الادباء من غرس شجرة الحلم اجتنى ثمرة السلم وقال بعض البلغاء ما ذب عن الاعراض كالصفىح والاعراض وقال بعض الشعراء

* احب مكارم الاخلاق جهدى * واسكره ان اعيب وان اجابا *

* واصفح عن سباب الناس حلما * وشر الناس من يهوى السبابا *

* ومن هاب الرجال تهيبوه * ومن حقر الرجال فلن يهابا *

فالحلم من اشرف الاخلاق واحقها بذوى الالباب لما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد واجتلاب الحمد وقد قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اول عوض الحلم عن حء ان الناس انصاره وحد الحلم ضبط النفس عن هيجان الغضب وهذا يكون عن باعث وسبب واسباب الحلم الباعثة على ضبط النفس عشرة ﴿ احدها ﴾ الرجعة للجهال وذلك من خير يوافق رقة وقد قيل في مثوره الحكم من اوكد الحلم رجعة الجهال وقال ابو الدرداء رضى الله عنه لرجل اسمعه كلاما يا هذا لا تغرق في سبنا ودع للصالح موصعا فاننا لا نكافئ من عصي الله فينا باكثر من ان نطيع الله عز وجل فيه وشتم رجل الشعي فقال ان كنت كما قلت فغفر الله لي وان لم اكن كما قلت فغفر الله لك واغتاضت عائشة رضى الله عنها على خادم لها ثم رجعت الى نفسها فقالت لله در التقوى ما تركت لذى غيظ شفاء وقسم معاوية رضى الله عنه قطافا فاعطى شيخا من اهل دمشق قطيفة فلم تجبه فخلف ان يضرب بها رأس معاوية فاتاه فاخبره فقال له معاوية اوف بنذكرك وليرفق الشيخ بالشيخ ﴿ والثاني ﴾ من اسبابه القدرة على الانتصار وذلك من سعة الصدر وحسن الثقة وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكرا للقدرة عليه وقال بعض الحكماء ليس من الكرم عقوبة من لا يجد امتناعا من السطوة وقال بعض البلغاء احسن المكارم عفو المقتدر وجود المقتدر ﴿ والثالث ﴾ من اسبابه الترفع عن السباب وذلك من شرف النفس وعلو الهمة كما قالت الحكماء شرف النفس ان تحمل المكاره كما تحمل المكارم وقد قيل ان الله تعالى سمي بحبي عليه السلام سيدا حلمة وقد قال الشاعر

* لا يبلغ المجد اقوام وان كرموا * حتى بذلوا وان عزوا لاقوام *
 * ويشتموا فترى الالوان مسفرة * لا صفح ذل ولكن صفح احلام *
 ﴿ والرابع ﴾ من اسبابه الاستهانة بالسئ وذلك عن ضرب من الكبر والاعجاب كما حكى عن مصعب بن الزبير انه لما ولى العراق جلس يوما لعطاء الجند وامر مناديه فتادى ابن عمرو بن جرموز وهو الذى قتل اباة الزبير فقبل له ايها الامير انه قد تباعد في الارض فقال اويظن الجاهل اني اقيده بابي عبد الله فليظهر

أما لياًخذ عطائه موفراً فصد الناس ذلك من مستحسن الكبر ومثل ذلك قول بعض الزعماء في شعره

* أوكلما طن الذباب طردته * ان الذباب اذا على كريم *
وأكثر رجل من سب الاحنف وهو لا يجيبه فقال والله ما منعه من جوابي الا هوانى عليه وفي مثله يقول الشاعر

* نجباك لؤمك منجى الذبا * ب حته مفاذيره ان ينالا *
واسمع رجل ابن هيرة فاعرض عنه فقال له الرجل اياك اعنى فقال له وعنك اعرض وفي مثله يقول الشاعر

* فاذهب فانت طليق عرضك انه * عرض عززت به وانت ذليل *
وقال عمرو بن على *

* اذا نطق السفية فلا تجبه * فخير من اجابته السكوت *
سكت عن السفية فظن انى * عيت عن الجواب وما عيت *

والخامس * من اسبابه الاستحياء من جزاء الجواب وهذا يكون من صيانة النفس وكال المروءة وقد قال بعض الحكماء احتمال السفية خير من التحلى بصورته والاغضياء عن الجاهل خير من مشاكسته وقال بعض الادباء ما اخش حليم ولا اوحش كريم وقال لقيط بن زرار

* وقل لبي سعد غالى وما لكم * ترقون منى ما استطعتم واعتق *
* أغركم انى باحسن شية * بصير وانى بالفواحش اخرج *
* وان لك قد فاحشتنى فقهرتنى * هنيئاً مريئاً انت بالفحش احنق *

والسادس * من اسبابه التفضل على السباب فهذا يكون من الكرم وحب التألف كما قيل للاسكندر ان فلانا وفلانا ينقصانك ويثلبانك فلو عاقبتهم فقال هما بعد العقوبة اعذر فى تنصى وثلبى فكان هذا تفضلاً منه وتألفاً وقد حكى عن الاحنف بن قيس انه قال ما عادانى احد قط الا اخذت فى امره باحدى ثلاث خصال ان كان اعلى منى عرفت له قدره وان كان دونى رفعت قدرى عنه وان كان نظيرى تفضلت عليه فاخذته الخليل فظنهم شعرا فقال

* سألزم نفسى الصفيح عن كل مذنب * وان كثرت منه الى الجرائم *

- * فما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم *
- * فاما الذى فوق فاعرف قدره * واتبع فيه الحق والحق لازم *
- * واما الذى دونى فاحلم دأبها * اصون به عرضى وان لام لائم *
- * واما الذى مثلى فان زل او هفا * تفضلت ان الفضل بالفخر حاكم *
- * والسابع ﴿ من اسبابه استنكاف السبب وقطع السبب وهذا يكون من الحزم كما حكى ان رجلا قال لضرار بن القعقاع والله لو قلت واحدة سمعت عشرا فقال له ضرار والله لو قلت عشرا لم تسمع واحدة وحكى ان على ابن ابي طالب كرم الله وجهه قال لعامر بن مرة الزهرى من احق الناس قال من ظن انه اعقل الناس قال صدقت فمن اعقل الناس قال من لم يتجاوز الصمت فى عقوبة الجاهل وقال الشعبي ما ادرى كى امى فابرها ولكن لا اسب احدا فيسبها وقال بعض الحكماء فى اعراضك صون اعراضك وقال بعض الشعراء وفى الحلم ردع للسفيه عن الاذى * وفى الخرق اغراء فلا تك اخرقا *
- * فتنبهم اذا لا تنفضك ندامة * كما ندم المغبون لما تفرقا *

﴿ وقال آخر ﴾

- * قل ما بدالك من زور ومن كذب * حلمى اصم واذنى غير صماء *
- * والثامن ﴿ من اسبابه الخوف من العقوبة على الجواب وهذا يكون من ضعف النفس وربما اوجبه رأى واقتضاه الحزم وقد قيل فى منشور الحكم الخلم حجاب الآفات وقال الشاعر
- * ارفق اذا خفت من ذى هفوة خرقا * ليس الخليم كمن فى امره خرق *
- * والتاسع ﴿ من اسبابه الرعاية ليد سالفه وحرمة لازمة وهذا يكون من الوفاء وحسن العهد وقد قيل فى منشور الحكم اكرم الشيم ارحاها للذم وقال الشاعر
- * ان الوفاء على الكريم فريضة * واللؤم مقرون بذى الاخلاق *
- * وترى الكريم لمن يعاشر منصفا * وترى اللئيم مجانب الانصاف *
- * والعاشر ﴿ من اسبابه المكر وتوقع القرص الخفية وهذا يكون من الدهاء وقد قيل فى منشور الحكم من ظهر غضبه قل كيدى وقال بعض الادباء غضب

الجاهل في قوله وغضب العاقل في فعله وقال بعض الحكماء اذا سكنت عن الجاهل
قد اوسفته جوابا واوجعته عقابا وقال اياس بن قتادة

* تعاقب ايدينا ويحلم رأينا * ونشتم بالافعال لا بالنكلم
❖ وقال بعض الشعراء ❖

* ولكف عن شتم اللئيم تكريما * اضر له من شتمه حين يشتم
فهذه عشرة اسباب تدعو الى الحلم وبعض الاسباب افضل من بعض وليس اذا
كان بعض اسبابه مفضولا ما يقتضى ان تكون نتيجة من الحلم مذمومة وانما
الاولى بالانسان ان يدعو للحلم افضل اسبابه وان كان الحلم كله فضلا وان عرى
عن احد هذه الاسباب كان ذلا ولم يكن حلالا قد ذكرنا في حد الحلم انه ضبط
النفس عن هيجان الغضب فاذا فقد الغضب لسمع ما يغضب كان ذلك من ذل
النفس وقلة الحمية وقد قالت الحكماء ثلاثة لا يعرفون الا في ثلاثة مواطن لا يعرف
الجواد الا في العسرة والشجاع الا في الحرب والحليم الا في الغضب وقال الشاعر
ليست الاحلام في حال الرضى * انما الاخلام في حال الغضب *

❖ وقال آخر ❖

* من يدعى الحلم أغضبه لتعرفه * لا يعرف الحلم الاساعة الغضب
وانشد النابغة الجعدي بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا خير في حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمى صفوه ان يكدر
ولا خير في جهل اذا لم يكن له * حلیم اذا ما اورد الامر اصدرا
فلم ينكر صلى الله عليه وسلم قوله عليه ومن فقد الغضب في الاشياء المغضبة حتى
استوت حالته قبل الاغضاب وبعده فقد عدم من فضائل النفس الشجاعة
والانفة والحمية والغيرة والدفاع والاخذ بالثار لانها خصال مركبة من الغضب
فاذا عدمها الانسان هان بها ولم يكن لباقي فضائله في النفوس موضع ولا
لوفور حله في القلوب موقع وقد قال المنصور اذا كان الحلم مفسدة كان العفو
مجزة وقال بعض الحكماء العفو يفسد من اللئيم بقدر اصلاحه من الكريم وقال
عمرو بن العاص اكرموا سفهاءكم فانهم يقونكم العار والشنار وقال مصعب بن
الزبير ما قل سفهاء قوم الا ذلوا وقال ابو تمام الطائي

* والحرب تركب رأسها في مشهد * عدل السفيه به بالف حليم *
وليس هذا القول اغراء بتحكم الغضب والانتقياد اليه عند حدوث ما يغضب
فيكسب بالانتقياد للغضب من الرذائل أكثر مما يسلبه عدم الغضب من الفضائل
ولكن اذا ثار به الغضب عند هجوم ما يغضبه كف سورته بحزمه واطفاً نأثرته
بحلمه ووكل من استحق المقابلة الى غيره ولم يعدم مسيئاً مكافياً كما لم يعدم محسناً
مجازياً والعرب تقول دخل بيتنا ما اخرج منه اى ان اخرج منه خير دخله خير وان
اخرج منه شر دخله شر وافشد ابن دريد عن ابي حاتم

* اذا امن الجهال جهلك مرة * فعرضك للجهال غم من الغم *
* فعم عليه الحلم والجهل والقه * بمنزلة بين العداوة والسلام *
* اذا انت جازيت السفيه كما جرى * فانت سفيه مثله غير ذى حلم *
* ولا تغضب عن عرض السفيه وداره * بحلم فان اعيا عليك فبالصرم *
* فيرجوك تارات ويخشاك تارة * ويأخذ فيما بين ذلك بالحزم *
* فان لم تجد بدا من الجهل فاستعن * عليه بجهال فذاك من العزم *

وهذه من احكم ابيات وجدتها في تدبير الحلم والغضب وهذا التدبير انما يستعمل
فيما لا يجد الانسان بدا من مقارنته ولا سبيل الى اطراحه ومتاركته اما الخوف
شره او للزوم امره فاما من امكن اطراحه ولم يضر ابعاده فلهوان به اولى
والاعراض عنه اصوب فاذا كان على ما وصفت استفاد بتحريك الغضب فضائله
وامن بكف نفسه عن الانتقياد له رذائله وصار الحلم مدبراً للامور المفضية بقدر
لا يعتريه نقص بعدم الغضب ولا يلحقه زيادة بفقد الحلم ولو عزب عنه الحلم حتى
انقاد لغضبه ضل عنه وجه الصواب فيه وضعف رأيه عن خيرة اسبابه ودواعيه
حتى يصير بلبد الرأى مغمور ازوية مقطوع الحجة. مسلوب العزاء قليل الخيلة
مع ما يناله من اثر ذلك في نفسه وجسده حتى يصير اضر عليه مما غضب له
وقد قال بعض الحكماء من كثر شططه كثر غلطه وروى ان سلمان قال لعلى
رضي الله عنه ما الذى يساعدني عن غضب الله عز وجل قال لا تغضب وقال
بعض السلف اقرب ما يكون العبد من غضب الله عز وجل اذا غضب وقال
بعض البلغاء من رد غضبه هد من اغضبه وقال بعض الادباء ما هيح جاشك

كعظ اجاشك وقال رجل لبعض الحكماء عظمي قال لا تغضب فينبغي
لذي اللب السوى والحزم القوى ان يتلقى قوة الغضب بحمله فيصدها ويقابل
دواعي شرته بحزمه فيردها ليعطى باجل الخبرة ويسعد بحميد العاقبة وقال بعض
الادباء في اغضابك راحة اعصابك وسبب الغضب هجوم ما تكرهه النفس ممن
دونها وسبب الحزن هجوم ما تكرهه النفس ممن فوقها والغضب يتحرك
من داخل الجسد الى خارجه والحزن يتحرك من خارج الجسد الى داخله
فلذلك قتل الحزن ولم يقتل الغضب لبروز الغضب ويكون الحزن وصار
الحادث عن الغضب السطوة والانتقام لبروزه والحادث عن الحزن المرض
والاسقام لكمونه ولذلك افضى الحزن الى الموت ولم يفض اليه الغضب فهذا
فرق ما بين الحزن والغضب • واعلم ان لتسكين الغضب اذا هجم اسبابا
يستعان بها على الحلم منها * ان يذكر الله عز وجل فيدعوه ذلك الى الخوف
منه ويخشه الخوف منه على الطاعة له فيرجع الى اذبه ويأخذ بنديه فعند ذلك
يزول الغضب قال الله تعالى واذكر ربك اذا نسيت قال عكرمة يعني اذا غضبت
وقال الله تعالى واما يزنغك من الشيطان نزغ فاستعد بالله ومعنى قوله يزنغك
اي يفضبك فاستعد بالله انه هو السميع العليم يعني انه سميع بجهل من جهل
عليم بما يذهب عنك الغضب وذكر ان في التوراة مكتوبا يا ابن آدم اذكرني
حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا تحمقك فيمن احمق وحكى ان بعض ملوك
الفرس كتب كتابا ودفعه الى وزير له وقال اذا غضبت فتاولنيه وكان فيه مالك
والغضب انما انت بشر ارحم من في الارض يرحك من في السماء وقال بعض
الحكماء من ذكر قدرة الله لم يستعمل قدرته في ظلم عباد الله وقال عبد الله بن
مسلم بن محارب لهارون الرشيد يا امير المؤمنين اسألك بالذي انت بين يديه اذل
منى بين يديك وبالذي هو اقدر على عقابك منك على عقابي لما عفوتم عني فعني
عند لما ذكره قدرة الله تعالى وروى ان رجلا شكوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم القسوة فقال اطلع في القبور واعتبر بالنشور وكان بعض ملوك الطوائف
اذا غضب التى عنده مفايح ترب الملوك فيزول غضبه ولذلك قال عمر رضى الله
عنه من اكثر من ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير * ومنها * ان ينقل عن

الحالة التي هو فيها الى حالة غيرها فيزول عنه الغضب بتغير الاحوال والتقل من حال الى حال وكان هذا مذهب المؤمن اذا غضب او شتم وكانت انفس تقول اذا غضب القائم فليجلس واذا غضب الجالس فليقم ﴿ ومنها ﴾ ان يتذكر ما يؤول اليه الغضب من الندم ومذمة الانتقام وكتب ابرويز الى ابنه شيرويه ان كلمة منك تسفك دما واخرى منك تحقق دما وان نفاذ امرك مع كلامك فاحترس في غضبك من قولك ان تخطئ ومن لولك ان يتغير ومن جسدك ان يخف فان الملوك تعاقب قدرة وتعفو حملا وقال بعض الحكماء الغضب على من لا تملك عجز وعلى من تملك لؤم وقال بعض الادباء اياك وعزة الغضب فانها تفضي الى ذل العذر وقال بعض الشعراء

* واذا ما اعتراك في الغضب العزة فاذكر تذلل الاعذار *
﴿ ومنها ﴾ ان يذكر ثواب العفو وجزاء الصفيح فيقهه نفسه على الغضب رغبة في الجزاء والثواب وجزا من استحقاق الذم والعقاب روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ينادى مناد يوم القيامة من له اجر على الله عز وجل فليقم فيقوم العافون عن الناس ثم تلا في عفا واصليح فاجره على الله وقال رجاء بن حية لعبد الملك بن مروان في اسارى ابن الاشعث ان الله قد اعطاك ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الخير ثلاث خصال فمن كن فيه فقد استكمل الايمان من اذا رضى لم يدخله رضاه في باطل واذا غضب لم يخرج به غضبه من حق واذا قدر عني واسمع رجل عمر بن عبد العزيز كلاما فقال عمر اردت ان يستغفرني الشيطان لعزة السلطان فانال منك اليوم ما تناله مني غدا انصرف رجك الله ﴿ ومنها ﴾ ان يذكر انعطاف القلوب عليه وميل النفوس اليه فلا يرى اضاعته ذلك بتغير الناس عنه فيرغب في التألف وجيل الشاء وروى ابن ابي ليلى عن عطية عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ازداد احد بعفو الا عزاء فاعفوا بعزم الله وقال بعض البلغاء ليس من عادة الكرام سرعة الانتقام ولا من شروط الكرم ازالة النعم وقال المؤمن لابراهيم بن المهدي اني شاورت في امرك فاشاروا علي بقتلك الا اني وجدت قدرك فوق ذنبك فكهرت القتل

للأزم حرمك فقال يا امير المؤمنين ان المشير اشار بما جرت به العادة في السياسة
الا انك ايت ان تطالب التصبر الا من حيث عودته من العفو فان عاقبت فلك
نظير وان عفوت فلا نظير لك وانثأ يقول

- * البر بي منك وطأ العذر عندك لي * فيما فعلت فلم تعذل ولم تلم *
- * وقام علمك بي فاحتج عندك لي * مقام شاهد عدل غير متهم *
- * لئن جعدتك معروفا مننت به * اني لفي اللؤم احظى منك بالكرم *
- * تعفو بعدل وتسخطون سطوت به * فلا عدمنك من عاف ومتقم *

❦ الفصل الخامس في الصدق والكذب ❦ قال الله تعالى وهو اصدق القائلين
ثم نبههم فجعل لعنة الله على الكاذبين وقال تعالى انما يفتري الكذب الذين لا
يؤمنون بآيات الله وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الحسن بن علي
رضي الله عنه ما دع ما يريك الى ما لا يريك فان الكذب ريبة والصدق طمأنينة
وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله امرءا اصلح من لسانه واقصر من
عنانه وازم طريق الحق مقوله ولم يعود الخطل مفصله وروى صفوان بن سليم
قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم أيكون المؤمن جبانا قال نعم قيل أفيكون بخيلا
قال نعم قيل أفيكون كذابا قال لا وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ولا
تلبسوا الحق بالباطل اي لا تخلطوا الصدق بالكذب وقيل في منشور الحكم
الكذاب لص لان اللص يسرق مالك والكذاب يسرق عقلك وقال بعض الحكماء
الحرس خير من الكذب وصدق اللسان اول السعادة وقال بعض البلغاء الصادق
مصان خليل والكاذب مهان ذليل وقال بعض الادباء لا سيف كالحق ولا عون
كالصدق وقال بعض الشعراء

- * وما شئ اذا فكرت فيه * باذهب للمروءة والجمال *
 - * من الكذب الذي لا خير فيه * وابعد بالبهاء من الرجال *
- والكذب جبا ع كل شر واصل كل ذم لسوء عواقبه وخبت نتائجه لانه ينتج
الزينة والنيمة تتج البغضاء والبغضاء تؤول الى العداوة وليس مع العداوة امن
ولا راحة ولذلك قيل من قل صدقه قل صديقه والصدق والكذب يدخلان

الاخبار الماضية كما ان الوفاء والخلف يدخلان المواعيد المستقبلية فالصدق هو الاخبار عن الشيء على ما هو عليه والكذب هو الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه ولكل واحد منها دواع فدواعي الصدق لازمة ودواعي الكذب عارضة لان الصدق يدعو اليه عقل موجب وشرع مؤكداً للكذب يمنع منه العقل ويصد عنه الشرع ولذلك جاز ان تستفيض الاخبار الصادقة حتى تصير متواترة ولم يحز ان تستفيض الاخبار الكاذبة لان اتفاق الناس في الصدق والكذب انما هو لاتفاق الدواعي فدواعي الصدق يجوز ان يتفق الجمع الكثير عليها حتى اذا تلاقوا خبرا وكانوا عدداً ينفى عن مثلهم الموافقة وقع في النفس صدقه لان الدواعي اليه نافعة واتفاق الناس في الدواعي النافعة ممكن ولا يجوز ان يتفق العدد الكثير الذي لا يمكن موافقة مثلهم على نقل خبر يكون كذباً لان الدواعي اليه غير نافعة وربما كانت ضارة وليس في جاري العادة ان يتفق الجمع الكثير على دواع غير نافعة ولذلك جاز اتفاق الناس على الصدق لجواز اتفاق دواعيهم ولم يحز ان يتفقوا على الكذب لامتناع اتفاق دواعيهم واذا كان للصدق والكذب دواع فلا بد من ذكر ما نسخ به الحاسار من دواعيها * اما دواعي الصدق ﴿ فيها ﴾ العقل لانه موجب لقبح الكذب لاسيما اذا لم يجلب نفعا ولم يدفع ضرراً والعقل يدعو الى فعل ما كان مستحسنًا ويمنع من اتين ما كان مستقبحاً وليس ما استحسن من عبارات الشعراء حتى صار كذباً صراحاً استحسننا للكذب في العقل كالذي انشدني الازدي لبعض الشعراء

* توههم فكري فاصبح خده * وفيه مكان الوهم من فكرتي اثر *
 * وصافه كفي فآلم كفه * فن لمس كفي في انامله عقر *
 * ومربقي خاطراً جرحته * ولم ار شيئاً قط يجرحه الفكر *
 ﴿ وكقول العباس بن الاحنف وان كان دون هذه البالغة ﴾

* تقول وقد كتبت دقيق خطي * اليها لم تجنبت الجليلا *
 * قتلت لها نخلت فصار خطي * مساعداً لكتابه نحيلاً *

لانه خرج مخرج المبالغة في التشبيه والاقتدار على صنعة الشعر وان شواهد الحال تخرجه عن تلبس الكذب وكذلك ما استحسن في الصنعة ولم يستعج

في العقل وان كان الكذب مستقبحا فيه ❖ ومنها ❖ الدين الوارد باتباع الصدق وحظر الكذب لان الشرع لا يجوز ان يرد بارخاص ما حظره العقل بل قد جاء الشرع زائدا على ما اقتضاه العقل من حظر الكذب لان الشرع ورد بحظر الكذب وان جر نفعا او دفع ضررا والعقل انما حظر ما لا يجلب نفعا ولا يدفع ضررا ❖ ومنها ❖ الروية فانها مانعة من الكذب باعثة على الصدق لانها قد تمنع من فعل ما كان مستكرها فاولى من فعل ما كان مستقبحا ❖ ومنها ❖ حب الشئ والاشتهار بالصدق حتى لا يرد عليه قول ولا يلحقه ندم وقد قال بعض البلغاء ليكن مرجعك الى الحق ومنزعتك الى الصدق فالحق اقوى معين والصدق افضل قرين وقال بعض الشعراء

* عود لسائك قول الصدق تحظه * ان اللسان لما عودت معتاد *
 * موكل بتقاضى ما سنت له * في الخير والشرف انظر كيف يرتاد *
 واما دواعى الكذب ❖ فيها ❖ اجتلاب النفع واستدفاع الضر فيرى ان الكذب اسلم واغنى فيرخص لنفسه فيه اغترارا بالخدع واستشفافا للطمع وربما كان الكذب ابعد لما يؤمل واقرب لما يخاف لان القبيح لا يكون حسنا والشئ لا يصير خيرا وليس يجنى من الشوك العنب ولا من الكرم الخنظل وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تحروا الصدق وان رأيتم فيه الهلكة فان فيه النجاة وتجنبوا الكذب وان رأيتم ان فيه النجاة فان فيه الهلكة وقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه لان يضعنى الصدق وقلما يفعل احب الى من ان يرفنى الكذب وقلما يفعل وقال بعض الحكماء الصدق منجيك وان خففته والكذب مرديك وان امنتك وقال الجاحظ الصدق والوفاء توأمان والصبر والحلم توأمان فيهن تمام كل دين وصلاح كل دنيا واضدادهن سبب كل فرقة واصل كل فساد ❖ ومنها ❖ ان يؤثر ان يكون حديثه مستهزبا وكلامه مستظرفا فلا يجد صدقا يهذب ولا حديثا يستظرف فيستحلي الكذب الذى ليست غرائبه معوزة ولا ظرائفه معجزة وهذا النوع اسوأ حالا مما قبل لانه يصدر عن مهانة النفس ودناءة الهمة وقد قال الجاحظ لم يكذب احد قط الا لصفر قدر نفسه عنده وقال ابن المقفع لا تنهون بارسال الكذبة من الهزل فانها تسرع الى ابطال

الحق ﴿ ومنها ﴾ ان يقصد بالكذب التشفي من عدوه فيسمه بقبايح ينجزعها عليه ويصفه بفضائح ينسبها اليه ويرى ان معرفة الكذب غنم وان ارسالها في العدو سهم وسم وهذا اسوأ حالا من النوعين الاولين لانه قد جمع بين الكذب المعر والشر المضر ولذلك ورد الشرع برد شهادة العدو على عدوه ﴿ ومنها ﴾ ان تكون دواعي الكذب قد ترادفت عليه حتى الفها فصار الكذب له عادة ونفسه اليه متقادة حتى لو رام مجانبية الكذب عسر عليه لان العادة طبع ثن وقد قالت الحكماء من استحلى رضاع الكذب عسر فطامه وقيل في منشور الحكم لا يلزم الكذاب شيء الا غلب عليه ♦ واعلم ان للكذاب قبل خبرته امارات دالة عليه ﴿ فمنها ﴾ انك اذا لقنته الحديث تلقته ولم يكن بين ما لقنته وبين ما اورده فرق عنده ﴿ ومنها ﴾ انك اذا شككته فيه تشكك حتى يكاد يرجع فيه، ولولاك ما تتخالجه الشك فيه ﴿ ومنها ﴾ انك اذا رددت عليه قوله حصر وارتبك ولم يكن عنده نصرة المحتجين ولا برهان الصادقين ولذلك قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه الكذاب كالسراب ﴿ ومنها ﴾ ما يظهر عليه من ريبة الكذابين وينم عليه من ذلة التوهمين لان هذه امور لا يمكن الانسان دفعها عن نفسه لما في الطبع من آثارها ولذلك قالت الحكماء العيان اثم من اللسان وقال بعض البلغاء الوجوه مرايا تريك اسرار البرايا وقال بعض الشعراء

* تريك اعينهم ما في صدورهم * ان العيون يؤدي سرها النظر *
 واذا اتسم بالكذب نسبت اليه شوارد الكذب المجهولة واضيفت الى اكاذيبه زيادات مقلعة حتى يصير الكاذب مكذوبا عليه فيجمع بين معرفة الكذب منه ومضرة الكذب عليه وقد قال الشاعر

* حسب الكذوب من البلية بعض ما يحكي عليه *
 * فاذا سمعت بكذبة * من غيره نسبت اليه *
 ثم انه ان تحرى الصدق اتهم وان جانب الكذب كذب حتى لا يعتقد له حديث يصدق ولا كذب مستنكر وقد قال الشاعر
 * اذا عرف الكذاب بالكذب لم يكذب * يصدق في شيء وان كان صادقا *

* ومن آفة الكذاب نسيان كذبه * وتلقاه اذا حفظ اذا كان صادقا *
وقد وردت السنة بارخاص الكذب في الحرب واصلاح ذات البين على وجه
التورية والتأويل دون التصريح به فان السنة لا يجوز ان ترد بلاحة الكذب
لما فيه من التنفير وانما ذلك على طريق التورية والتعريض كما سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد تطرف برداء وانفرد عن اصحابه فقال له رجل ممن انت
قل من ماء فوري عن الاخبار بنسبه يا امرئ يحتمل فظن السائل انه عني القبيلة
المنسوبة الى ذلك وانما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من الماء الذي
يخلق منه الانسان فبلغ ما احب من اخفاء نفسه وصدق في خبره وكالذي حكى
عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان كان يسير خلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين هاجر معه فلتقاه العرب وهم يعرفون ابا بكر ولا يعرفون رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيقولون يا ابا بكر من هذا فيتول هادي يهديني السبيل فيضنون
انه يعني هداية الطريق وهو انما يريد هداية سبيل الخير فيصدق في قوله ويورى
عن مراده وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في المعارض
لندوحة عن الكذب وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان في المعارض ما
يكفي ان يعف الرجل عن الكذب وقال بعض اهل التأويل في قوله تعالى لا
تواخذني بما نسيت انه لم ينس ولكنسه معارض الكلام وقال ابن سيرين الكلام
اوسع من ان يصرح فيه بالكذب واعلم ان من الصدق ما يقوم مقام الكذب في
القبح والمعرة ويزيد عليه في الاذى والمضرة وهي الغيبة والنميمة والسعاية فاما
الغيبة فانها خيانة وهتك ستر يحدثان عن حسد وغدر قال الله تعالى ولا يغتب
بعضكم بعضا يحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا يعني انه كما لا يحل لحم ميتا
لا تحل غيبته حيا وروى ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجعلتا تغتابان الناس فاخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال صامتا
عما احل لهما وافطرتا على ما حرم عليهما وروت اسماء بنت يزيد قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذب عن لحم اخيه بظهر الغيب كان حقا على
الله عز وجل ان يحرم لحمه على النار وقال عدى بن حاتم الغيبة رعى اللثام وكان
الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول الغيبة فاكهة النساء وقال رجل لابن

سبرين رحم الله انى اغتبتك فاجعلنى فى حل فقال ما احب ان احل لك ما حرم
الله عليك وقال ابن السماك لا تمن الناس على عيبك بسوء غيبك وقال الشاعر
* لا تلتبس من مساوى الناس ما ستروا * فيهلك الله سترنا من مساويك *
* وادكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا * ولا تعب احدا منهم بما فيك *
وربما عذر الغتاب نفسه بانه يقول حقا ويعلم فسقا ويستشهد بما روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة ليست غيبتهم بغيبة الامام الجائر وشارب الخمر
والمعلن بفسقه فيبعد من الصواب ويحجب الادب لانه وان كان بالغيبة صادقا
فقد هتك سترنا كان بصونه اولى وجاهر من اسر واخفى وربما دعى المقتاب
ذلك الى اظهار ما كان يستره والمجاهرة بما كان يضمه فلم يقد ذلك
الا فساد اخلاقه من غير ان يكون فيه صلاح غيره وقد قيل لانوشروا
ما الذى لا خير فيه قال ما ضرني ولم ينفع غيري او ضر غيري ولم ينفعني فلا
اعلم فيه خيرا وقيل فى منشور الحكم لا تبد من العيوب ما ستره علام الغيوب
وقد روى العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابى هريرة قال سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال هي ان تقول لاختك ما فيه فان كنت
صادقا فقد اغتبتك وان كنت كاذبا فقد بهتته وقال عبد الرحمن بن زيد فى قوله
تعالى يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم انه
استهزاء المسلم بمن اعلن بفسقه ودخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم
مستفتية فلما خرجت قالت عائشة رضى الله عنها يا رسول الله ما اقصرها فقال
مهلا اياك والغيبة فقالت يا رسول الله انما قلت ما فيها قال اجل ولولا ذلك لكان
بهتنا وسئل بعض الادباء عن صفة اللئيم فقال اللئيم اذا غاب عاب واذا حضر
اغتاب فلما الخبر فمحمول على الانكار لافعال هؤلاء ولا يكون الا نكار غيبة
لانه نهى عن منكر وفرق بين انكار المجاهر وغيبة المسائر واما النتيجة فهي
ان تجمع الى مذمة الغيبة رداة وشرا وتضم الى ثومها دناة وغدرا ثم تؤول
الى تقاطع التواصلين وتباغض المتحابين ورى شهر بن حوشب عن اسماء
بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ألا اخبركم بشرا ركم قالوا بلى
يا رسول الله قال من شراركم المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون

العيوب وروى محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل شقار ملعون كل قتات ملعون كل منان الشقار المحرش بين الناس يلقى بينهم العداوة والقتات التمام وقيل التمام الذي يكون مع القوم يتحدثون فيهم حديثهم والقتات هو الذي يستمع عليهم وهم لا يعلمون فيهم حديثهم والمنان هو الذي يصنع الخير ويمن به وقيل في منشور الحكم النجمة سيف قاتل وقال بعض الادباء لم يمش ماش شر من واش فاما السعاية فهي شر الثلاثة لانها تجمع الى مذمة الغيبة ولثم النجمة التفرير بالنفوس والاموال والقدح في المنازل والاحوال وروى ابن قتيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة لا يدخلها ديوث ولا قلاع الديوث هو الذي يجمع بين الرجال والنساء سمي بذلك لانه يدث بينهم والقلاع هو الساعي الذي يقع في الناس عند الامراء سمي بذلك لانه يأتي الرجل الممكن عند الامير فلا يزال يقع فيه حتى يقلعه وقال بعض الحكماء الساعي بين منزلتين قبيحتين اما ان يكون صدق فقد خان الامانة واما ان يكون قد كذب فخالف المروءة وقال بعض الحكماء الصدق يزين كل احد الا السعاة فان الساعي اذم وآثم ما يكون اذا صدق وقال بعض البلغاء النجمة دناءة والسعاية رداءة وهما رأس الغدر واساس الشر فتجنب سبلهما واجتنب اهلها ووقع الفضل بن سهل على قصة ساع سعي اليه نحن نرى قبول السعاية شرا منه لان السعاية دلالة والقبول اجازة فاتقوا الساعي فانه ان كان في سعايته صادقا كان في صدقه آثما اذ لم يحفظ الحرمة وبستر العورة وقال الاسكندر لرجل سعي اليه برجل أتعجب ان تقبل منك ما تقول فيه على ان تقبل منه ما يقول فيك قال لا قال فكف عن الشر يكف عنك الشر وروى ان الله اوحى الى موسى على نبيسا وعليه السلام ان في بلدك ساعيا ولست اخبرك وهو في ارضك فقال يا رب دلني عليه حتى اخبره فقال يا موسى اكره النجمة واتم ﴿ الفصل السادس في الحسد والمنافسة ﴾ اعلم ان الحسد خلق ذميم مع اضراؤه بالبدن وفساده للدين حتى لقد امر الله بالاستعاذة من شره فقال تعالى ومن شر حاسد اذا حسد وناهيك بحال ذلك شرا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال دب اليكم داء الامم قبلكم البغضاء

والحسد هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بامر إذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم فأخبر صلى الله عليه وسلم بحال الحسد وان التحابب ينفیه وان السلام يبعث على التحابب فصار السلام اذا نافيا للحسد وقد جاء كتاب الله تعالى بما يوافق هذا القول وقال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم قال مجاهد معناه ادفع بالسلام اساءة المسيء وقال الشاعر

* قد يلبث الناس حيناً ليس بينهم * ود فيزرعه التسليم واللطف *
وقال بعض السلف الحسد اول ذنب عصي الله به في السماء يعني حسد ابليس لآدم عليه السلام واول ذنب عصي الله به في الارض يعني حسد ابن آدم لاخيه حتى قتله وقال بعض الحكماء من رضى بقضاء الله تعالى لم يسخطه احد ومن قنع بظنائه لم يدخله حسد وقال بعض البلغاء الناس حاسد ومحسود ولكل نعمة حسود وقال بعض الادباء ما رأيت ظالماً اشبه بمظلوم من الحسود نفس دائم وهم لازم وقلب هائم فاخذ بعض الشعراء فقال

* ان الحسود المظلوم في كرب * يخاله من يراه مظلوما *
* ذا نفس دائم على نفس * يظهر منها ما كان مكتوما *
ولولم يكن من ذم الحسد الا انه خلق ذنبي يتوجه نحو الاكفاء والاقارب ويختص بالمخالط والمصاحب لكانت النزاهة عنه كراما والسلامة منه مغنما فكيف وهو بالنفس مضر وعلى الهم مصر حتى ربما افضى بصاحبه الى التلف من غير نكابة في عدو ولا اضرار بمحسود وقد قال معاوية رضى الله عنه ليس في خصال الشر اعدل من الحسد يقتل الحاسد قبل ان يصل الى المحسود وقال بعض الحكماء يكفيك من الحاسد انه يغم في وقت سرورك وقيل في مشور الحكم عقوبة الحاسد من نفسه وقال الاصمعي قلت لاعرابي ما اطول عمرك قال تركت الحسد فبقيت وقال رجل لشریح القاضي اني لاحسدك على ما ارى من صبرك على الخصوم ووقوفك على غامض الحكم فقال ما نفعك الله بذلك ولا ضرني وقال عبد الله بن المعتز رحمه الله تعالى

* اصبر على كيد الحسو * د. فان صبرك قاتله *
 * فانار تأكل بعضها * ان لم تجد ما تأكله *
 وحقيقة الحسد شدة الاسى على الخيرات تكون للناس الافاضل وهو غير المنافس
 وربما غلط قوم فظنوا ان المنافس في الخير هي الحسد وليس الامر على ما ظنوا
 لان المنافس طالب التشبه بالافاضل من غير ادخال ضرر عليهم والحسد
 مصروف الى الضرر لان غايته ان يعدم الافاضل فضله من غير ان يصير
 الفضل له فهذا الفرق بين المنافس والحسد فان منافس اذا فضله لانها داعية
 الى اكتساب الفضائل والاقتداء باخيار الافاضل وقد روى عن النبي صلى الله
 عليه وسلم انه قال المؤمن يغبط والمنافق يحسد وقال الشاعر
 * نافس على الخيرات اهل العلا * فانما الدنيا احاديث *
 * كل امرئ في شأنه كادح * فوارث منهم وموروث *
 واعلم ان دواعي الحسد ثلاثة * احدها * بغض المحسود فيأسى عليه بفضيلة
 تظهر او متعبة تشكر فيثير حسدا قد خامر بغضا وهذا النوع لا يكون عاما
 وان كان اضرها لانه ليس يبغض كل الناس * والثاني * ان يظهر من المحسود
 فضل يعجز عنه فيكره تقدمه فيه واختصاصه به فيثير ذلك حسدا لولاه لكف
 عنه وهذا اوسطها لانه لا يحسد الاكفاء من دنا وانما يختص بحسد من علا
 وقد يترج بهذا النوع ضرب من المنافس ولكنه مع عجز فلذلك صارت
 حسدا * والثالث * ان يكون في الحاسد شح بالفضائل وبخل بالنعم وليست اليه
 فيمنع منها ولا يبيده فيدفع عنها لانها مواهب قد منحها الله من شاء فيسخط
 على الله عز وجل في قضاؤه ويحسد على ما منح من عطائه وان كانت
 نعم الله عز وجل عنده اكثر ومنحه عليه اظهر وهذا النوع من الحسد
 اعلمها واخبثها اذ ليس لصاحبه راحة ولا لرضاه غاية فان اقترن بشر
 وقدره كان بورا وانتقاما وان صادف عجزا ومهانة كان كذا وسقاما وقد
 قال عبد الحميد الحسود من الهم كساق السم فان سرى سمه زال عنه همه واعلم
 ان بحسب فضل الانسان وظهور النعمة عليه يكون حسد الناس له فان كثرت
 فضله كثرت حساده وان قل قلوا لان ظهور الفضل يثير الحسد وحدث النعمة

يضاعف الكمد ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء الحوائج
بسترها فان كل ذي نعمة محسود وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما كانت
نعمة الله على احد انه وجد لها حاسدا فلو كان الرجل اقوم من القديح لما
عدم غامزا وقد قال الشاعر

* ان يحسدوني فاني غير لاثمهم * قبل من الناس اهل الفضل قد حسدوا *
* فدام لي ولهم ما بي وما بهم * ومات اكثرا غيظا بما يجد *
وربما كان الحسد منبها على فضل المحسود ونقص المحسود كما قال ابو تمام الطائي
* واذا اراد الله نشر فضيلة * ظويت اتاح لها لسان حسود *
* لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود *
* لولا الخوف للعواقب لم يزل * للحاسد النعمى على المحسود *
فاما ما يستعمله من كان غالبا عليه الحسد وكان طبعه اليه مائلا لينفي عنه ويكفاه
ويسلم من ضرره وعداوته فامور هي له حسم ان سادفها عزم * فيها *
اتباع الدين في اجتنابه والرجوع الى الله عز وجل في آدابه فيقهر نفسه على
مذموم خلافها ويتقلمها عن لئيم طبعها وان كان ثقل الطباع عسرا لكن
بالرياضة والتدريج يسهل منها ما اشعب ويحبب منها ما اتعب وان تقدم قول
القاتل من ربه خلقه كيف يحلى خلقه غير انه اذا عانى تهذيب نفسه تظاهر
بالتخلق دون الخلق ثم بالعادة يصير كالخلق قال ابو تمام الطائي
* فلم اجد الاخلاق الا تخلقا * ولم اجد الافضال الا تفضلا *

* ومنها * العقل الذي يستقيج به من نتائج الحسد ما لا يرضيه ويستنكف
من هجته مساويه فيذل نفسه انفة ويقهرها حجة فتدعن لرشدها وتجيئ الى
صلاحها وهذا انما يصح لذى النفس الالية والهمة العلية وان كان ذو الهمة
يجل عن دناءة الحسد وقد قال الشاعر

* ابى له نفسان نفس زكية * ونفس اذا ما خافت الظلم تشمس *
* ومنها * ان يستدفع ضرره ويتوقى اثره ويعلم ان مكانته في نفسه ابلغ ومن
الحسد ابعد فيستعمل الحزم في دفع ما كده واكده ليكون اطيب نفسا واهنا
عيشا وقد قيل العجب لغفلة الحساد عن سلامة الاجساد وقد قال الشاعر

* بصير بأعقاب الامور كأنما * يرى بصواب الرأى ما هو واقع *
 ﴿ ومنها ﴾ ما يرى من نفور الناس عنه ويعددهم منه فيخافهم اما على نفسه من
 عداوة او على عرضه من ملامة فيتألفهم بمعالجة نفسه ويراههم ان صلحوا اجدى
 نفعا واخلص ودا وقال ابن العميد رحمه الله تعالى

* داوى جوى بجوى وايس بحازم * من يستكف النار بالخلفاء *
 ﴿ وقال المؤمل بن اميل ﴾

* لا تحسبوني غنيا عن مودتكم * انى اليكم وان ايسرت مقتدر *
 ﴿ ومنها ﴾ ان يساعد القضاء ويستسلم للمقدور ولا يرى ان يغالب قضاء الله
 فيرجع مغلوبا ولا ان يعارضه في امره فيرد محروما مسلوبا وقد قال ازدشير
 ابن بابك اذا لم يساعدنا القضاء ساعدناه وقال محمود الوراق

* قدر الله كائن * حين يقضى وروده *
 * قدمضى فيك عليه * وانتهى ما يريده *
 * فأرد ما يكون ان * لم يكن ما تريده *

فان اظفرته السعادة باحد هذه الاسباب وهذه المرشد الى استعمال الصواب سلم
 من سقامه وخلص من غرامه واستبدل بالنقص فضلا واعتاض من الذم جدا
 ولما استنزل نفسه عن مذمة فصرفها عن لائمة هو اظهر حزما واقوى
 عزما ممن كفته النفس جهادها واعطته قيادها ولذلك قال على بن ابي طالب
 رضى الله عنه خياركم كل مغتن ثواب وان صدته الشهوة عن مرادها
 واضله الحرمان عن مقاصده فانقاد للطبع اللئيم وغلب عليه الخلق الذميم
 حتى ظهر حسده واشتد كده فقد باء باربعة مدام ﴿ احداهن ﴾ حسرات
 الحسد وسقام الجسد ثم لا يجد لحسرتة انتهاء ولا يؤمل لسقامه شفاء وقال ابن
 المعتز الحسد داء الجسد ﴿ والثانية ﴾ انخفاض المنزل وانحطاط المرتبة لانحراف
 الناس عنه ونفورهم منه وقد قيل في منشور الحكم الحسود لا يسود ﴿ والثالثة ﴾
 مقت الناس له حتى لا يجد فيهم محبا وعداوتهم له حتى لا يرى فيهم وليا فيصير
 بالعداوة مأثورا وبال مقت مزجورا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم شبر الناس

من يفيض الناس ويغضونه ﴿ والرابعة ﴾ اسخط الله تعالى في معارضته واجتناب الاوزار في مخالفته اذ ليس يرى قضاء الله عدلا ولا لنعمه من الناس اهلا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال عبد الله بن المعتز الحاسد مقتاظ على من لا ذنب له بخيل بما لا يملكه طالب ما لا يجده واذا بلى الانسان بمن هذه حاله من حساد النعم واعداء الفضل استعاذ بالله من شره وتوقى مصارع كيده وتحرز من غوائل حسده وابتعد عن ملابسته وادناؤه لعضل دأئه واعواز دوائه فقد قيل حاسد النعمة لا يرضيه الا زوالها وقال بعض الحكماء من ضر بطبعه فلا تأنس بقربه فان قلب الاعيان صعب المرام وقال عبد الحميد اسد تقاربه خير من حسود تراقبه وقال محمود الوراق

* اعطيت كل الناس من نفسى الرضى * الا الحسود فانه اعيانى *
 * ما ان لى ذنبا اليه علمته * الا تظاهر نعمة الرحمن *
 * واني فسا يرضيه الا ذلتى * وذهاب اموالى وقطع لساني *
 وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا يسلم احد منهم الطيرة وسوء الظن والحسد فاذا تطيرت فلا ترجع واذا ظننت فلا تتحقق واذا حسدت فلا تبغ

﴿ فصل ﴾ واما آداب المواضعة والاصطلاح فضريران احدهما ما تكون المواضعة في فروع، والعقل موجب لاصوله والثاني ما تكون المواضعة في فروعه واصوله وذلك متضح في الفصول التي نذكرها اذا سبرت وهي ثمانية ﴿ الفصل الاول في الكلام والصمت ﴾ اعلم ان الكلام ترجان يعبر عن مستودعات الضمائر ويخبر بمكنونات السرائر لا يمكن استرجاع بوادره ولا يقدر على رد شوارده فحق على العاقل ان يحترز من زلله بالامساك عنه او بالاقلال منه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله من قال خيرا ففهم او سكت فسلم وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ يا معاذ انت سالم ما سكت فاذا تكلمت فعليك اولك وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اللسان معيار اطاشه الجهل وارجمه العقل وقال بعض الحكماء الزم الصمت تعد حكما جاهلا كنت او عالما وقال بعض الادباء

سعد من لسانه صموت وكلامه قوت وقال بعض العلماء من اعوذ ما يتكلم به العاقل ان لا يتكلم الا لحاجته او محبته ولا يفكر الا في عاقبته او في آخرته وقال بعض البلغاء الزم الصمت فانه يسكبك صفو المحبة ويؤمنك سوء المغبة ويلبسك ثوب الوقار ويكفيك مونة الاعتذار وقال بعض الفضحاء اعقل لسانك الا عن حق تو ضحه او باطل تدحضه او حكمة تنشرها او نعمة تذكرها وقال الشاعر

* رأيت العز في ادب وعقل * وفي الجهل المزلة والهوان
* وما حسن الرجال لهم بحسن * اذا لم يسعد الحسن البيان
* كنى بالراء عيبا ان تراه * له وجه وليس له لسان

واعلم ان للكلام شروطا لا يسلم المتكلم من الزلل الا بها ولا يعزى من النقص الا بعد ان يستوفيها وهي اربعة فالشرط الاول ان يكون الكلام لداع يدعو اليه اما في اجتناب نفع او دفع ضرر والشرط الثاني ان يأتي به في موضعه ويتوخى به اصابة فرصته والشرط الثالث ان يقتصر منه على قدر حاجته والشرط الرابع ان يتخير اللفظ الذي يتكلم به فهذه اربعة شروط متى اخل المتكلم بشرط منها فقد اوهن فضيلة باقيها وسنذكر تحليل كل شرط منها بما ينبغي عن لزومه * فاما الشرط الاول * وهو الداعي الى الكلام فلان ما لا داعي له هذيان وما لا سبب له هجر ومن ساج نفسه في الكلام اذا عن ولم براع صحة دواعيه واصابة معانيه كان قوله مردولا ورأيه معلولا كالذي حكى ابن عائشة ان شابا كان يجالس الاحنف وبطيال الصمت فاعجب ذلك الاحنف فخلت الحلقة يوما فقال له الاحنف تكلم يا ابن اخي فقال يا عم لو ان رجلا سقط من شرف هذا المسجد هل كان يضربه شيء فقال يا ابن اخي ليتنا تركناك مستورا ثم تمثل الاحنف بقول الاعور الشني

* وكائن ترى من صاحب لك معجب * زيادته او نقصه في التكلم
* لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم
* وكالذي حكى عن ابي يوسف الفقيه ان رجلا كان يجلس اليه فيطيل الصمت فقال له ابو يوسف ألا تسأل قال بلى متى يفطر الصائم قال اذا غربت الشمس

قال فان لم تعرب الى نصف الليل قال فتبسم ابو يوسف رحمه الله وتمثل يدي
الخطفي جد جرير

* عجت لازراء العبي بنفسه * وصمت الذي قد كان بالعلم اعلم
* وفي الصمت ستر للغي وانما * صحيفة لب المرء ان يتكلمها *

ومما اطرفك به عني اني كنت يوما في مجلسي بالبصرة وانا مقبل على تدريس
اصحابي اذ دخل علي رجل مسن قد ناهز الثمانين او جاوزها فقال لي قد قصدتك
بمسألة اخترتك لها فقلت اسأل عافاك الله وظنته يسأل عن حادث نزل به فقال
اخبرني عن نعيم ابليس ونجم آدم ما هو فان هذين لعظم شأنهما لا يسأل عنهما
الا علماء الدين فحجبت وعجب من في مجلسي من سؤاله وبدر اليه قوم منهم بالانكار
والاستخفاف فكشفتهم وقلت هذا لا يقنع مع ما ظهر من حاله الا بجواب مثله
فاقلت عليه وقلت يا هذا ان النجمين يزعمون ان نجوم الناس لا تعرف الا
بعرفة مواليدهم فان ظفرت بمن يعرف ذلك فاسأله فحينئذ اقبل علي وقال جزاك
الله خيرا ثم انصرف مسرورا فلما كان بعد ايام عاد وقال ما وجدت الى وقتي هذا
من يعرف مولد هذين فانظر الى هؤلاء كيف اباتوا بالكلام عن جهلهم
واعربوا بالسؤال عن نقصهم اذ لم يكن لهم داع اليه ولا روية فيما تكلموا به
ولو صدر عن روية ودعا اليه داع لسلوا من شينه وبرثوا من عيبه ولذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم لسان العاقل من وراء قلبه فاذا اراد الكلام رجع الى
قلبه فان كان له تكلم وان كان عليه امسك وقلب الجاهل من وراء لسانه يتكلم
بكل ما عرض له وقال عمر بن عبد العزيز من لم يعد كلامه من عمله كثرت
خطاياه وقال بعض الحكماء عقل المرء مخبوء تحت لسانه وقال بعض البلغاء احبس
لسانك قبل ان يطيل حبسك او يتلف نفسك فلا شيء اولى بطول حبس من لسان
يقصر عن الصواب ويسرع الى الجواب وقال ابو تمام الطائي

* ومما كانت الحكماء قالت * لسان المرء من تبع الفؤاد *
وكان بعض الحكماء يحسم الرخصة في الكلام ويقول اذا جالست الجاهل فانصت
هم واذا جالست العلماء فانصت لهم فان في انصاتك للجهال زيادة في الخلم وفي
انصاتك للعلماء زيادة في العلم واما الشرط الثاني فهو ان يأتي بالكلام في

موضع لان الكلام في غير حينه لا يقع موقع الانتفاع به وما لا ينفع من الكلام فقد تقدم القول بانه هذيان وهجر فان قدم ما يقتضى التأخير كان عجلة وخرقا وان اخر ما يقتضى التقديم كان توانيا وعجزا لان لكل مقام قولا وفي كل زمان عملا وقد قال الشاعر

* تضع الحديث على مواضعه * وكلامها من بعدها نزر *
 واما ❖ الشرط الثالث ❖ وهو ان يقتصر منه على قدر حاجته فان الكلام ان لم ينحصر بالحاجة ولم يقدر بالكفاية لم يكن لحده غاية ولا اقداره نهاية وما لم يكن من الكلام محصورا كان حصرا ان قصر وهذا ان كثر وروى ان اعرابيا تكلم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وطول فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك من حجاب قال شقناى واسنانى قال فان الله عز وجل يكره الانبعاث في الكلام فنضر الله وجه امرئ اوجز في كلامه فاقصر على حاجته وحكي ان بعض الحكماء رأى رجلا يكثر الكلام ويقول السكوت فقال ان الله تعالى انما خلق لك اذنين ولسانا واحدا ليكون ما تسمعه ضعف ما تتكلم به وقال بعض الحكماء من كثر كلامه كثر آثامه وقال ابن مسعود انذركم فضول المنطق وقال بعض البلغاء كلام المرء بيان فضله وترجانه عقله فاقصره على الجليل واقتصر منه على القليل واياك ما يسخط سلطانك ويوحش اخوانك فن اسخط سلطانه تغرض للمنية ومن اوحش اخوانه تبرأ من الحرية وقال بعض الشعراء

* وزن الكلام اذا نطقت فانما * يبدى عيوب ذوى العيوب المنطق *
 ولخالفه قدر الحاجة من الكلام حالتان تقصير يكون حصرا وتكثير يكون هذرا وكلاهما شين وشين الهذر اشنع وربما كان في الصالب اخوف قال النبي صلى الله عليه وسلم وهل يبك الناس على مناخرهم في نار جهنم الا حصائد السنتهم وقال بعض الحكماء مقتل الرجل بين فكبيه وقال بعض البلغاء الحصر خير من الهذر لان الحصر يضعف الحجة والهذر يتلف المحجة وقد قال الشاعر
 * رأيت اللسان على اهله * اذا ساسه الجهل ليثا مغيرا *
 وقال بعض الادباء يا رب السنة كالسيوف تقطع اعناق اصحابها وما ينقص من

هيئات الرجال يزيد في بهائها وأبابها وقد ذهب بعضهم الى ان الكلام اذا كثر عن قدر الحاجة وزاد على حد الكفاية وكان صوابا لا يشوبه خطيئ وسليما لا يتعوده زلل فهو البيان والسحر الحلال وقال سليمان بن عبد الملك وقد ذم الكلام في مجلسه كلا ان من تكلم فاحسن قدر على ان يسكت فيحسن وليس من سكت فاحسن قدر على ان يتكلم فيحسن ووصف بعضهم الكاتب فقال الكاتب من اذا اخذ شبرا كففاه واذا وجد طومارا املاه وانشد بعضهم في خطباء اباد

* يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحى الملاحظ خيفة الرقباء *
وقال الهيثم بن صالح لابنه يا بني اذا اقلت من الكلام اكثر من الصواب فقال يا ابني فان انا اكثرت واكثرت يعني كلاما وصوابا فقال يا بني ما رأيت موعوظا احق بان يكون واعظا منك وانشدت لابي الفتح البستي
* تكلم وسدد ما استطعت فانما * كلامك حى والسكوت جاد *
* فان لم تجد قولا سديدا تقوله * فصمتك عن غير السداد سداد *
وقيل لياس بن معاوية ما فيك عيب الاكثر الكلام فقال أقسمون صوابا او خطأ قالوا لا بل صوابا قال فالزيادة من الخير خير وقال ابو عثمان الجاحظ للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية وما فضل عن مقدار الاحتمال ودعا الى الاستقلال والمال فذلك الفاضل هو الهذر وصدق ابو عثمان لان الاكثار منه وان كان صوابا يمل السامع ويكل الخاطر وهو صادر عن انجباب به لولاه قصر عنه ومن اعجب بكلامه استرسل فيه والمسترسل في الكلام كثير الزلل دائم العثار وقال بعض الحكماء من اعجب بقوله اصيب بعقله وليس لكثرة الهذر رجاء يقابل خوفه ولا نفع يوازي ضره لانه يخاف من نفسه الزلل ومن سامعيه الملل وليس في مقابلة هذين حاجة داعية ولا نفع مرجو وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ابغضكم الى المتفيهق المكثار والملح المهدار وسأل رجل حكيميا فقال متى اتكلم قال اذا اشتيت الصمت فقال متى اصمت قال اذا اشتيت الكلام وقال جعفر بن يحيى اذا كان الابهاز كافيا كان الاكثار عيا وان كان الاكثار واجبا كان التقصير عجزا وقيل في منشور الحكم اذا تم العقل

نقص الكلام وقال بعض الادباء من ازال صمته اجاب من الهيبة ما ينفعه ومن الوجشة ما لا يضره وقال بعض البلغاء عى تسلم منه خير من منطق تسدم عليه فافتد من الكلام على ما يقيم حجتك ويبلغ حاجتك واياك وفضوله فانه يزل التدم ويورث التدم وقال بعض الفصحاء فم العاقل ملجم اذا هم بالكلام اججم وفم الجاهل مطلق كلما شاء اطلق وقال بعض الشعراء

❖ ان الكلام بعد القوم جلوته ❖ حتى يلج به عى واكثر ❖

واما ❖ الشرط الرابع ❖ وهو اختيار اللفظ الذى يتكلم به فلأن اللسان عنوان الانسان يترجم عن مجهوله ويبرهن عن محصولة فيلزم ان يكون يتهذيب الفاظه حريا ويتقويم لسانه مليا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعنه العباس يعجبني جمالك قال وما جال ازجل يا رسول الله قال لسانه وقال خالد ابن صفوان ما الانسان لولا اللسان هل الا بهيمة مهملة او صورة ممثلة وقال بعض الحكماء اللسان وزير الانسان وقال بعض الادباء كلام المرید وافد اديه وقال بعض البلغاء يستبدل على عقل الرجل بقوله وعلى اصله بفعله وقال بعض الشعراء

❖ وان لسان المرء ما لم تكن له ❖ حصاة على عوراته لدليل ❖

وليس يصح اختيار الكلام لا لمن اخذ نفسه بالبلاغة وكلفها لزوم الفصاحة حتى يصير متدربا بها معتادا لها فلا يأتى بكلام مستكره اللفظ ولا مختل المعنى لان البلاغة ليست على معان مفردة ولا لالفاظها غاية وانما البلاغة ان تكون بالمعاني الصحيحة مستودعة فى الفاظ فصيحة فتكون فصاحة الالفاظ مع صحة المعاني هى البلاغة وقد قيل لليوناني ما البلاغة قال اختيار الكلام وتصحيح الاقسام وقيل ذلك للرومى فقال حسن الاختصار عند البديهة والعرارة يوم الاطالة وقيل للهندي فقال معرفة الفصل من الوصل وقيل للعربي فقال ما حسن المجازة وقيل مجازة وقيل للبديوي فقال ما دون السحر وفوق الشعر يفت الخردل ويحط الجندل وقيل للمحضرى فقال ما كثر اعجازه وتناسبت صدره والمجازة وقال ابن المقفع البلاغة قلة الخصر والجرأة على البشر وسأل الحجاج ابن القزيرة عن الامجاز قال ان تقول فلا تبطلنى وان تصيب فلا تخطئنى وقال الشاعر

* خير الكلام قليل * على كثير دليل *
 * والمعنى معنى قصير * يحويه لفظ طويل *
 * وفي الكلام فضول * وفيه قال وقيل *
 واما صحة المعاني فتكون من ثلاثة اوج، احدها ابضاح تفسيرها حتى لا تكون
 مشكلة ولا جملة والثاني استيفاء تقسيمها حتى لا يدخل فيها ما ليس منها ولا يخرج
 عنها ما هو فيها والثالث صحة مقابلاتها والمقابلة تكون من وجهين احدهما مقابلة
 المعنى بما يوافقه وحقيقة هذه المقاربة لان المعاني تصير متشاككة والثاني مقابله
 بما يضاده وهو حقيقة المقابلة وليس للمقابلة الا احدهذين الوجهين الموافقة
 في الائلاف والمضادة مع الاختلاف فاما فصاحة الالفاظ فتكون بثلاثة اوجه
 * احدها * مجاجة الغريب الوحشى حتى لا يحج سمع ولا ينفر منه طبع * والثاني *
 تنكب اللفظ المستبدل والعدول عن الكلام المسترذل حتى لا يستسقطه خاصى ولا
 ينبو عن فهم عامى كما قال الجاحظ في كتاب البيان اما انا فلم ار قوما امثل طريقة
 في البلاغة من الكتاب وذلك انهم قد التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعرا
 وحشيا ولا ساقطا عاميا * والثالث * ان يكون بين الالفاظ ومعانيها مناسبة
 ومطابقة اما المطابقة فهي ان تكون الالفاظ كالقوالب لمعانيها فلا تزيد عليها
 ولا تنقص عنها وقال بشر بن العتمر في وصيته في البلاغة اذا لم تجد اللفظة
 وافعة موقعها ولا صائرة الى مستقرها ولا حالة في مركزها بل وجدتها قلقة
 في مكانها نافرة عن موضعها فلا تـكـررها على القرار في غير موضعها فانك
 ان لم تعاط قريض الشعر الموزون ولم تكلف اختيار الكلام المنشور لم يعبك
 بترك ذلك احد واذا انت تكلفتهما ولم تكن خائفا فيهما عابك من انت اقل عيبا
 منه وازراً عليك من انت فوقه واما المناسبة فهي ان يكون المعنى يليق ببعض
 الالفاظ اما لعرف مستعمل او لاتفاق مستحسن حتى اذا ذكرت تلك المعاني بعد
 تلك الالفاظ كانت نافرة عنها وان كانت افسح واوضح لاعتياد ما سواها وقال
 بعض البلغاء لا يكون البليغ بليغا حتى يكون معنى كلامه اسبق الى فهمك من
 لفظه الى سمعك واما معاطاة الاعراب ومجذب اللحن فانما هو من صفات الصواب
 والبلاغة اعلى منه رتبة واشرف منزلة وليس لمن لحن في كلامه مدخل

في الادباء فضلا عن ان يكون في عداد البلغاء • واعلم ان للكلام آدابا ان اغفلها التكلم اذهب رونق كلامه وطمس بهجة بيانه ولها الناس عن محاسن فضله بمساوي اديه فعدلوا عن مناقبه بذكر مثالبه ❖ فمن آدابه ❖ ان لا يتجاوز في مدح ولا يسرف في ذم وان كانت الزاخرة عن الذم كرما والتجاوز في المدح ملقا يصدر عن مهانة والسرف في الذم انتقام يصدر عن شر وكلاهما شين وان سلم من الكذب يروى انه لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد تيمم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن الاثم عن قيس بن عاصم فذمه فقال قيس والله يا رسول الله لقد علم اني خير مما وصف ولكن حسدني فذمه عمرو وقال والله يا رسول الله لقد صدقت في الاولى وما كذبت في الاخرى لاني رضيت في الاولى فقلت احسن ما علمت وسخطت في الاخرى فقلت اقبح ما علمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا على ان السلامة من الكذب في المدح والذم متعذرة لا سيما اذا مدح تقربا وذم تحقرا وحكي عن الاخنف بن قيس انه قال سهرت ليلي افكر في كلمة ارضى بها سلطاني ولا اسخط بها ربي فاوجدتها وقال عبيد الله بن مسعود ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ومعه دينه قبل وكيف ذلك قال يرضيه بما يسخط الله عز وجل وسمع ابن الرومي رجلا يصف رجلا ويبالغ في مدحه فانشا يقول

* اذا ما وصفت امرءا لأمريء * فلا تغل في وصفه واقصد *

* فالك ان تغل تغل الظنو * ن فيه الى الامد الابعد *

* فيضال من حيث عظمت * لفضل المغيب على المشهد *

❖ ومن آدابه ❖ ان لا تبعث الرغبة والرغبة على الاسترسال في وعد او وعيد يعجز عنهما ولا يقدر على الوفاء بهما فان من اطلق بهما لسانه وارسل فيهما عنانه ولم يستقل من القول ما يستقله من العمل صار وعده نكثا ووعيده عجزا وحكي ان سليمان بن داود عليهما السلام مر بعصفور يدور حول عصفورة فقال لاصحابه هل تدرون ما يقول لها قالوا لا يا بني الله قال انه يخطبها لنفسه ويقول لها زوجيني نفسك اسكنك ابي غرف دمشق شئت وقال سليمان كذب العصفور فان غرف دمشق مبنية بالصخور لا يقدر ان يسكنها هناك ولكن كل

خاطب كاذب ❖ ومن آدابه ❖ ان قال قولا حقه بفعله واذا تكلم بكلام صدقه بعمله فان ارسال القول اختيار والعمل به اضطرار ولئن يفعل ما لم يقل اجل من ان يقول ما لم يفعل وقال بعض الحكماء احسن الكلام ما لا يحتاج فيه الى الكلام اي يكتفى بالفعل من القول وقال محمود الوراق

* القول ما صدقه الفعل * والفعل ما وكده العقل *
 * لا يثبت القول اذا لم يكن * يقله من تحته الاصل *
 ❖ ومن آدابه ❖ ان يراعى مخارج كلامه بحسب مقاصده واغراضه فان كان ترغيبا قرنه باللين واللطف وان كان ترهيبا خلطه بالخشونة والعنف فان لين اللفظ في الترهيب وخشونة في الترغيب خروج عن موضعهما وتعطيل للمقصود بهما فيصير الكلام لغوا والغرض المتصود لها وقد قال ابو الاسود الدبلي لابنه يابني ان كنت في قوم فلا تتكلم بكلام من هو فوقك فيمتوك ولا بكلام من هو دونك فيزدوك ❖ ومن آدابه ❖ ان لا يرفع بكلامه صوتا مستكرا ولا ينزعج له انزعاجا مستهجنيا وليكف عن حركة تكون طيشا وعن حركة تكون عيا فان نقص الطيش اكثر من فضل البلاغة وقد حكى ان الحجاج قال لاعرابي اخطيب انا قال نعم لولا انك تكثر الرد وتشير باليد وتقول اما بعد ❖ ومن آدابه ❖ ان يخافى هجر القول ومستقيم الكلام وليعدل الى الكناية عما يستقيم صريحه ويستهمجن فصيحجه ليلبغ الغرض ولسانه نزه وادبه مصون وقد قال محمد بن علي في قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما قال كانوا اذا ذكروا الفروج كنوا عنها وكما انه يصون لسانه عن ذلك فهكذا يصون عنه سمعه فلا يسمع خفاء ولا يصغى الى فحش فان سماع الفحش داع الى اظهاره وذريعة الى انكاره واذا وجد عن الفحش معرضا كف قائله وكان اعراضه احد التكرين كما ان سماعه احد الباعثين وانشدني ابو الحسن بن الحارث الهاشمي

* تحرم الطرق اوساطها * وعدت عن الموضع المشبه *
 * وسمعت صن عن قبيح الكلا * م كصون اللسان عن النطق به *
 * فانك عند استماع القبيح شريك لمقائله فانتبه *
 *
 *
 *

ومما يجري مجرى فحش القول وهجره في وجوب اجتنابه ولزوم تكبه ما كان شنيع
البدية مستنكر الظاهر وان كان عقب التأمل سليما وبعد الكشف والروية
مستقيما كالذي رواه الازدي عن الصولي لبعض المتكلمين من الشعراء

* اننى شيخ كبير * كافر بالله سبى *

* انت ربى والهى * رازق الطفل الصغير *

يريد بقوله كافر اى لايس لان الكفر التغطية ولذلك سمي الكافر بالله كافرا
لانه قد غطي نعمة الله بمعصيته وقوله بالله سبى يقسم عليها ان تسير وقوله
انت ربى يعنى ربى ولدك من البرية والهى رازق الطفل الصغير كما انه رازق
الولد الكبير فانظر الى هذا التكلف الشنيع والتعقّب البشيع ما اعتاض من حيث
البدية اذا سلم بعد الفكر والروية الا لو ما ان حسن فيه الظن او ذما ان قوى
فيه الارتياح وقاما يكون ذلك الامن خلع بطر او مرتاب اشرفا ما الحديث
المروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تصلوا على النبي فخرج من هذا
النوع من التلبس وفي تأويله وجهان احدهما انه اراد النبي عن الصلاة
في المكان المرتفع المحدوب مأخوذ من النبوة والثاني انه اراد الطريق ومنه
سمى رسل الله انبياء لانهم الطرق اليه وانما زال عنه التلبس اذ قاله رسول
الله صلى الله عليه وسلم وان كان من قول غيره تلبسا شيعيا لان موضوع خطابه
وشواهد احواله يصرفان كلامه عن التجوز والاسترسال في امر او نهى الى ما
يجوز ان يرد به شرع وينهى عنه نبي وليس يمتنع ذلك في غيره ولذلك افترق
وجوده منه ومن غيره ومن آدابه ان يجنب امثال العامة الغوغاء ويخصص
بامثال العلماء الإدباء فان لكل صنف من الناس امثالا تشاكلهم فلا تجد لساقط
الا مثلا ساقطا وتشبيها مستقبحا وللسقاط امثال فتها تمثلهم للشئ المريب كما قال
الصنوبري

* اذا ما كنت ذا بول صحيح * ألا فاضرب به وجه الطيب *

ولذلك علتان احدهما ان الامثال من هواجس الهمم وخطرات النفوس
ولم يكن لذي الهمة الساقطة الا مثل مرذول وتشبيه معلول والثانية ان الامثال
مستخرجة من احوال الممثلين بها فيحسب ما هم عليه تكون امثالهم فلهاتين

العتين: وقع الفرق بين امثال الخاصة وامثال العامة وربما الف المتخصص مثلا عاميا او تشبيها ركيكا لكثرة ما بطرق سمعه من مخالطة الاراذل فيسترسل في ضربه مثلا فيصير به مثلا كالذي حكى عن الاصمعي ان الرشيد سأل له يوما عن انساب بعض العرب فقال علي الخبير سقطت يا امير المؤمنين فقال له الفضل بن الربيع استعط الله جنيتك أخطب امير المؤمنين بمثل هذا الخطاب فكان الفضل بن الربيع مع قلة علمه اعلم بما يستعمل من الكلام في محاورة الخلفاء من الاصمعي الذي هو واحد عصره وقرب دهره وللأمثال من الكلام موقع في الاسماع وتأثير في القلوب لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها ولا يؤثر تأثيرها لان المعاني بها لائحة والشواهد بها واضحة والنفوس بها وائمة والقلوب بها واثقة والعقول لها موافقة فلذلك ضرب الله الامثال في كتابه العزيز وجعلها من دلائل رسله واضمح بها الحجة على خلقه لانها في العقول معتولة وفي القلوب مقبولة ولها اربعة شروط احدها صحة التشبيه والثاني ان يكون العلم بها سابقا والكل عليها موافقا والثالث ان يسرع وصولها للفهم ويجعل تصورها في الوهم من غير ارتياض في استخراجها ولا كد في استنباطها والرابع ان تناسب حال السامع لتكون ابلغ تأثيرا واحسن موقعا فاذا اجتمعت في الامثال المضروبة هذه الشروط الاربعة كانت زينة للكلام وجلاء للمعاني وتدبرا للافهام ﴿ الفصل الثاني في الصبر والجزع ﴾ اعلم ان من حسن التوفيق وامارات السعادة الصبر على الملمات والرفق عند النوازل وبه نزل الكتاب وجاءت السنة قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون يعني اصبروا على ما افترض الله عليكم وصابروا عدوكم ورابطوا فيه تأويلان احدهما على الجهاد والثاني على انتظار الصلوات وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا اذكركم على ما يحبط الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا الى المسجدين وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فقول الكتاب بتأكيد الصبر فيما امر به ونهى اليه وجعله من عزائم القوى فيما افترضه وحث عليه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر ستر من الكروب وعون على الخطوب وقال علي بن ابي طالب كرم

الله وجهه الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا يذو وقال عبد الحميد لم اسمع اعجب من قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو ان الصبر والشكر بعيران ما باليت ايهما ركبت وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما افضل العده الصبر على الشدة وقال بعض البلغاء من خير خلاك الصبر على اختلاك وقيل في منشور الحكم من احب البقاء فليعد للمصائب قلبا صبوراً وقال بعض الحكماء بالصبر على مواقع الكره تدرك الحظوظ وقال بعض الشعراء وهو عبيد بن الارص

- * صبر النفس عند كل مله * ان في الصبر حيلة المحتال *
- * لا تضيقن في الامور فقد تكشف غماؤها بغير احتيال *
- * ربما تجزع النفوس من الامر له فرجة كحل العقال *

وقال ابن المقفع في كتاب التيمية الصبر صبران فاللثام اصبر اجساما والكرام اصبر نفوسا وليس الصبر الممدوح صاحبه ان يكون الرجل قوى الجسد على الكد والعمل لان هذا من صفات الجبر ولكن ان يكون للنفس غلوبا وللأمر متحملا ولجاشه عند الحفاظ مرتبطا واعلم ان الصبر على ستة اقسام وهو في كل قسم منها محمود ﴿ فاول اقسام ﴾ واولاها الصبر على امتثال ما امر الله تعالى به والانتهاه عما نهى الله عنه لان به تخلص الطاعة وبها يصح الدين وتؤدى الفروض ويستحق الثواب كما قال في محكم الكتاب انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد وليس لمن قل صبره على طاعة حظ من بر ولا نصيب من صلاح ومن لم ير لنفسه صبرا يكسبها ثوابا ويدفع عنها عقابا كان من سوء الاختيار بعيدا من الرشاد حقيقا بالضلال وقد قال الحسن البصري رحمه الله تعالى يا من يطلب من الدنيا ما لا يلحقه أترجو ان تلحق من الآخرة ما لا تطلبه وقال ابو العاتية رحمه الله تعالى

- * اراك امرءا ترجو من الله عفو * وانت على ما لا يجب مقيم *
 - * تدل على التقوى وانت مقصد * فيا من يداوى الناس وهو سقيم *
- وهذا النوع من الصبر انما يكون لفرط الجزع وشدة الخوف فان من خاف الله

عز وجل صبر على طاعته ومن جزع من عقابه وقف عند امره ﴿ والقسم الثاني ﴾ الصبر على ما تقتضيه اوقاته من رزية قد اجهده الحزن عليها او حادثة قد اكده اللهم بها فان الصبر عليها يعقبه الراحة منها ويكسبه المثوبة عنها فان صبر طائعا والا احتمل هما لازما وصبر كارها آثما وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى من لم يرض بقضائي ويصبر على بلائي فليختر ربا سواي وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه للاشعث بن قيس انك ان صبرت جرى عليك القلم وانت مأجور وان جزعت جرى عليك القلم وانت مأزور وقد ذكر ذلك ابو تمام في شعره فقال

* وقال علي في التعازي لاشعث * وخاف عليه بعض تلك المائم *
* أنصبر للبلوى عزاء وخشية * فتؤجر او تسلو سلو البهائم *
وقال شيب بن شبة للمهدى ان احق ما تصبر عليه ما لم تجد الى دفعه سبيلا وانشد
* ولئن تصبكت مصيبة فاصبر لها * عظمت مصيبة مبتل لا يصبر *
﴿ وقال آخر ﴾

* تصبرت مغلوبا واني لموجع * كما صبر الظهآن في البلد القفر *
* وليس اضطباري عنك صبر استطاعة * ولكنه صبر امر من الصبر *
﴿ والقسم الثالث ﴾ الصبر على ما فات ادراكه من رغبة مرجوة واعوز نياله من مسرة مأمولة فان الصبر عنها يعقب السلو منها والاسف بعد اليأس خرق وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اعطى فشكر ومنع فصبر وظلم ففقر وظلم فاستغفر فاوكلك لهم الامن وهم مهتدون وقال بعض الحكماء اجعل ما طلبته من الدنيا فلم تنله مثل ما لا يخطر ببالك فلم تقله وقال بعض الشعراء

* اذا ملك القضاء عليك امرا * فليس يحله غير القضاء *
* فالك والمقام بدار ذل * ودار العز واسعة القضاء *
وقال بعض الحكماء ان كنت تجزع على ما فات من يدك فاجزع على ما لا يصل اليك فاخذه بعض الشعراء فقال
* لا تطل الحزن على فائت * فقلنا يجدي عليك الحزن *

* سببان محزون على فائت * ومضمر حزنا لما لم يكن *
 * والقسم الرابع * الصبر فيما يخشى حدوثه من رهبة يخافها او يحذر حلوله
 من نكبة يخشاها فلا يتجمل هم ما لم يأت فان أكثر الهموم كاذبة وان الاغلب
 من الخوف مدفوع وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بالصبر
 يتوقع الفرج ومن يدمن قرع باب يلج وقال الحسن البصري رحمه الله لا تحملن
 على يومك هم غدك فحسب كل يوم همه وانشد الجاحظ لخرثة بن زيد
 * اذا الهم امسى وهو داء فأمضه * ولست بمضيه وانت تعادله *
 * ولا تنزلن امر الشديدة بأمرئ * اذا هم امرا عوقته عواذله *
 * وقل للفؤاد ان تجد بك ثروة * من الروع فافرح أكثر الهم باطله *
 * والقسم الخامس * الصبر فيما يتوقعه من رغبة يرجوها ويتنظر من نعمة
 يأملها فانه ان ادهشه التوقع لها واذله التطلع اليها انسدت عليه سبل المطالب
 واستغفزه تسويل المطامع فكان ابعس لرجائه واعظم لبلائه واذا كان مع الرغبة
 وقورا وعند الطلب صبوراً انجحت عنه عماية الدهش وانجابت عنه حيرة
 الوله فابصر رشده وعرف قصده وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
 الصبر ضياء يعنى والله اعلم انه يكشف ظلم الحيرة ويوضح حقائق الامور وقال
 أكثر بن صيفى من صبر ظفر وقال ابن المقفع كان مكتوباً فى قصر ازديشير
 الصبر مفتاح الدرك وقال بعض الحكماء بحسن التأني تسهل المطالب
 وقال بعض البلغاء من صبر نال المني ومن شكر حصن النعمى وقال محمد
 ابن بشير

* ان الامور اذا سدت مطالبها * فالصبر يفتق منها كل ما ارتجى *
 * لا تأسن وان طالت مطالبه * اذا استغنت بصبر ان ترى فرجا *
 * اخلق بذى الصبر ان يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب ان يلجا *
 * والقسم السادس * الصبر على ما نزل من مكروه او حل من امر مخوف
 فبالصبر فى هذا تنقح وجوه الآراء وتستدفع مكائد الاعداء فان من قل صبره
 عرب رأيه واشتد جزعه فصار صريع همومه وفريسة غمومه وقد قال الله تعالى
 واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وروى عن ابن عباس رضى الله

عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان استطعت ان تعمل لله بالرضى في اليقين فافعل وان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما ذكره خيرا كثيرا • واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب واليسر مع العسر وقال علي بن ابي طالب رضى الله عنه الصبر مستأصل الحدثنان والجزع من اعوان الزمان وقال بعض الحكماء بمقتضاه عزيمة الصبر تعالج مغاليق الامور وقال بعض البلغاء عند انسداد الفرج تبدو مطالع الفرج وروى ابن عباس رضى الله عنهما ان سليمان بن داود عليهما السلام لما استكد شياطينه في البناء شكوا ذلك الى ابلis لعنه الله فقال ألستم تذهبون فرغا وترجعون مشاغيل قالوا بلى قال في ذلك راحة فبلغ ذلك سليمان على نبينا وعليه السلام فشفغهم ذاهبين وراجعين فشكوا ذلك الى ابلis لعنه الله فقال ألستم تستريحون بالليل قالوا بلى قال في هذا راحة لكم نصف دهركم فبلغ ذلك سليمان عليه السلام فشفغهم بالليل والنهار فشكوا ذلك الى ابلis لعنه الله فقال الآن جاءكم الفرج فابلى ان اصيب سليمان عليه السلام ميتا على عصاه فاذا كان هذا في نبي من انبياء الله يعمل بامر الله ويقف على حده فكيف بما جرت به الاقدار من ايد عادية وساقه القضاء من حوادث نازلة هل تكون مع التناهي الا منقرضة وعند بلوغ الغاية الامحسرة وانشد بعض الادباء لعثمان بن عفان رضى الله عنه

* خليلي لا والله ما من ملحة * تدوم على حى وان هى جلت *
 * فان نزلت يوما فلا تخضعن لها * ولا تكثر الشكوى اذا النعل زلت *
 * فكم من كريم قد بلى بنائب * فصارها حتى مضت واضمحلت *
 * وكم غمرة هاجت بامواج غمرة * تلقيتها بالصبر حتى تجملت *
 * وكانت على الايام نفسى عزيزة * فلما رأت صبرى على الذل ذلت *
 * فقلت لها يا نفس موتى كريمة * فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت *
 ولتسهل المصائب وتخفيف الشدائد اسباب اذا قارنت حزما وصادفت عزما
 هان وقعها وقل تأثيرها وضررها ﴿ فيها ﴾ اشعار النفس بما تعلمه
 من نزول الفناء وتقضى السار وان لها آجالا منصرفة ومددا منقضية اذ ليس

للدنيا حال تدوم ولا مخلوق فيها بقاء وروى ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما مثلى ومثل الدنيا الا كمثل راكب مال الى ظل شجرة في يوم صائف ثم راح وتركها وسئل على بن ابي طالب رضى الله عنه عن الدنيا فقال تغر وتضر وتمر وسأل بعض خلفاء بني العباس جليسا له عن الدنيا فقال اذا اقبلت ادبرت وقال عمرو بن عبيد الدنيا امد والآخرة ابد وقال انوشروان ان احيت ان لا تقم فلا تقم ما به تهتم فاخذ بعض الشعراء فقال

* ألم تر ان الدهر من سوء فعله * يكدر ما اعطى ويسلب ما اسدى *
 * فن سره ان لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا *
 * وانشد بعض الحكماء *

* لحكينا بقراط خير قضية * ووصية بنى الهموم الركداء *
 * قال الهموم تكون من طبع الورى * فى لبث ما فى طبعه ان نفدا *
 * فاذا اقتنيت من الزجاجة قابلا * للكسر فانكسرت فلا تك مكبدا *
 * وانشدنى بعض اهل العلم لسعيد بن مسلم *

* انما الدنيا هبات * وعوار مسترده *
 * شنة بعد رخاء * ورخاء بعد شدة *

ولما قتل بزرجمهر وجد فى جيب قميصه رقعة فيها مكتوب اذا لم يكن جد فقيم الكد وان لم يكن للامردوام فقيم السرور واذا لم يرد الله دوام ملك فقيم الحيلة وقال ابن الرومى

* رأيت حياة المرء رهنا بموته * وصحته رهنا كذلك بالسقم *
 * اذا طاب لى عيش تنفص طيبه * بصدق يقينى ان سيذهب كالخلم *
 * ومن كان فى عيش يراعى زواله * فذلك فى بؤس وان كان فى نعم *
 * ومنها * ان يتصور انجلاء الشدائد وانكشاف الهموم وانها تنقدر باوقات لا تنصرم قبلها ولا تستديم بعدها فلا تقصر بجزع ولا تطول بصبر وان كل يوم يمر بها يذهب منها بشطر ويأخذ منها بنصيب حتى تتجلى وهو عنها غافل وحكى ان الرشيد حبس رجلا ثم سأل عنه بعد زمان فقال للموكل به قل له

كل يوم يمضي من نعمه يمضي من يؤسى مثله والامر قريب والحكم لله تعالى فاخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال

* لو ان ما انتمو فيه يدوم لكم * ظننت ما انا فيه دائما ابدا *
* لكنني عالم اني وانكم * سنسجد خلاف الخاليتين غدا *
﴿ وانشدت لبعض الشعراء ﴾

* عواقب مكروه الامور خیار * وايام ضر لا تدوم قصار *
* وليس بابق بؤسها ونعيمها * اذا كرليل ثم كرنهار *
﴿ وانشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين حضرته الوفاة ﴾

* ألم تر ان ربك ليس نحصى * اياديه الخديشة والقدية *
* تسئل عن الهموم فليس شئ * يقوم ولا همومك بالقيمه *
* لعل الله ينظر بعد هذا * اليك بنظرة منه رحيمه *

﴿ ومنها ﴾ ان يعلم ان في ما وفي من الرزايا وكفى من الحوادث ما هو اعظم من رزيتة واشد من حادثته ليعلم انه ممنوح بحسن الدفاع ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى في اثناء كل محنة منحة وقيل للشعبي في ثأبة كيف اصبحت قال بين نعمتين خير منشور وشر مستور وقال بعض الشعراء

* لا تكره المكروه عند حلوله * ان العواقب لم تزل متباينه *
* كم نعمة لا تستقل بشكرها * لله في طي المكاره كامنه *

﴿ ومنها ﴾ ان يتأسي بذوى الغير ويتسلى باولى العبر ويعلم انهم الاكثرون عددا والاسرعون مددا فيسجد من سلوة الاسى وحسن العزا ما يخفف شجوه ويقل هلمه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ألصقوا بذوى الغير تنسع قلوبكم وعلى مثل ذلك كانت مرأى الشعراء قال البهترى

* فلا عجب للاسد ان ظفرت بها * كلاب الاعادى من فصيح واجمى *
* فخرية وحشى سقت حزة الردى * وموت على من حسام ابن لمجم *
﴿ وقال ابو نواس ﴾

* المرء بين مصائب لا تقضى * حتى يوارى جسمه في رسمه *
* فؤجل يلقي الردى في اهله * ومجمل يلقي الردى في نفسه *

﴿ومنها﴾ ان يعلم ان النعم زائرة وانها لا محالة زائلة وان السرور بها اذا اقبلت مشوب بالخمر من فراقها اذا ادبرت وانها لا تفرح باقبالها فرحا حتى تعقب بفراقها ترحا فعلى قدر السرور يكون الحزن وقد قيل فى منشور الحكم المرفوح به هو المحزون عليه وقيل من بلغ غاية ما يحب فليتوقع غاية ما يكره وقال بعض الحكماء من علم ان كل نائبة الى انقضاء حسن عزائه عند نزول البلاء وقيل للحسن البصرى رحمه الله كيف ترى الدنيا قال شغلنى توقع بلائها عن الفرح برحائها فاخذ ابو العتاهية فقال

* تزيده الايام ان اقبلت * شدة خوف لتصاريفها *
* كأنها فى حال اسعافها * تسممه وقعة تخويفها *

﴿ومنها﴾ ان يعلم ان سروره مقرون بمساءة غيره وكذلك حزنه مقرون بسرور غيره اذ كانت الدنيا تنقل من صاحب الى صاحب وتصل صاحباً بفراق صاحب فتكون سرورا لمن وصلته وحزنا لمن فارقتة وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم ما قرعت عصي على عصي الا فرح لها قوم وحزن آخرون وقال البحرى متى ارت الدنيا نباهة خامل * فلا ترتقب الا خول نبيه *

﴿وقال المتننى﴾

* بذاقضت الايام ما بين اهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد *
﴿وانشد بعض اهل الادب﴾

* ألا انما الدنيا غصارة ايكمة * اذا اخضر منها جانب جف جانب *
* فلا تفرحن منها لشيء تقيده * سيذهب يوما مثل ما انت ذاهب *
* وما هذه الايام الا فجائع * وما العيش واللذات الا مصائب *

﴿ومنها﴾ ان يعلم ان طوارق الانسان من دلائل فضله ومخنه من شواهد نبيله ولذلك احدى علتين اما لان الكمال معوز والنقص لازم فاذا تواتر الفضل عليه صار النقص فيما سواه وقد قيل من زاد فى عقله نقص من رزقه وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما انتقصت جارحة من انسان الا كانت ذكاء فى عقله وقال ابو العتاهية

* ما جاوز المرء من اطرافه طرفا * الا تخونه النقصان من طرف *

❖ وانشدني بعض اهل الادب لابراهيم بن هلال الكاتب ❖

* اذا جمعت بين امرئين صناعة * فاحيت ان تدري الذي هو احق *
 * فلا تنفد منهما غير ما جرت * به لهما الارزاق حين تفرق *
 * فيث يكون النقص فالرزق واسع * وحيث يكون الفضل فالرزق ضيق *
 واما لان ذا الفضل محسود وبلاذى مقصود فلا يسلم في بره من معاد واشتطاط
 مناو وقال الصنوبري

* محن الفتى يخبرن عن فضل الفتى * كالنار مخبرة بفضل الضمير *
 وقل ما تكون محنة فاضل الا من جهة ناقص وبلوى عالم الاعلى يد جاهل
 وذلك لاستحكام العداوة بينهما بالباينة وحدوث الانتقام لاجل التقدم وقد قال
 الشاعر

* فلا غرو ان يمينى عدو بجاهل * فمن ذنب التنين تنكسف الشمس *
 ❖ ومنها ❖ ما يعتاضه من الارتياض بنوائب عصره ويستفيده من الحنكة ببلاء
 دهره فيصلب عوده ويستقيم عموده ويكبل بادنئ شدته ورخائه ويتعظ بمحالي
 عفوهِ وبلاءه حكى عن ثعلب قال دخلت على عبيد الله بن سليمان بن وهب وعليه
 خلع الرضى بعد النكبة فلما مثلت بين يديه قال لى يا ابا العباس اسمع ما اقول
 * نوائب الدهر ادبتنى * وانما يوعظ الاديب *
 * قد ذقت حلوا وذقت مرا * كذاك عيش الفتى ضروب *
 * لم يمض بؤس ولا نعيم * الا ولى فيها نصيب *
 * كذاك من صاحب اليبالى * تغذوه من درها الخطوب *

فقلت لمن هذه الايات قال لى ❖ ومنها ❖ ان يخبر امور زمانه وينبه على
 صلاح شأنه فلا يغتر برخاء ولا يطمع فى استواء ولا يؤمل ان تبقى الدنيا على حالة
 او تخلو من قلب واستحالة فان من عرف الدنيا وخبر احوالها هان عليه بؤسها
 ونعيمها وانشد بعض الادباء

* انى رأيت عواقب الدنيا * فتركت ما اهوى لما اخشى *
 * فكرت فى الدنيا وعالمها * فاذا جيع امورها تفنى *
 * وبلوت اكثر اهلها فاذا * كل امرئ فى شأنه يسعى *

* اسنى منازلها وارفعها * فى العز اقربها من المهوى
 * تعفو مساويها محاسنها * لافرق بين النعى والبشرى
 * ولقد مررت على القبور فا * ميرت بين العبد والمولى
 * أترأى تدرى كم رأيت من الاحياء ثم رأيتهم موتى
 فاذا ظفر المصاب باحد هذه الاسباب تخففت عنه احزانه وتسهلت عليه اشجانه
 فصار وشيك السلوة قليل الجزع حسن العزاء وقال بعض الحكماء من حاذل لم يهلع
 ومن راقب لم يجزع ومن كان متوقعا لم يكن متوجعا وقال بعض الشعراء
 * ما يكون الامر سهلا كله * انما الدنيا سرور وحزون
 * هون الامر تمس فى راحة * قل ماهونت الا سيهون
 * تطلب الراحة فى دار الفنا * ضل من يطلب شيئا لا يكون
 فان اغفل نفسه عن دواعى السلوة ومنعها من اسباب الصبر تضاعف عليه
 من شدة الاسى وهم الجزع ما لا يطيق عليه صبرا ولا يجد عنه سلوا وقال ابن
 الزومى

* ان البلاء يطاق غير مضاعف * فاذا تضاعف صار غير مطاق
 فاذا ساعده جزعه بالاسباب الباعثة عليه وامده هلعه بالذرائع الداعية اليه
 فقد سعى فى حفته واعان على تلفه ❁ فمن اسباب ذلك ❁ تذكر المصاب حتى
 لا يتناساه وتصوره حتى لا يعزب عنه ولا يجد من التذكار سلوة ولا يخلط مع
 التصور تعزية وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تستفز الدموع بالتذكر
 وقال الشاعر

* ولا يبعث الاحزان مثل التذكر *

❁ ومنها ❁ الاسف وشدة الحسرة فلا يرى من مصابه خلفا ولا يجد لمفقوده
 بدلا فيزداد بالاسف ولها وبالحسرة هلعها ولذلك قال الله تعالى لكيلا تأسوا
 على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وقال بعض الشعراء

* اذا بليت فتق بالله وارضى به * ان الذى يكشف البلوى هو الله
 * اذا قضى الله فاستسلم لقدرته * ما لامرئ حلية فيما قضى الله
 * اليأس يقطع احيانا بصاحبه * لا تياسن فان الصانع الله *

ومنها

﴿ ومنها ﴾ كثرة الشكوى وبث الجزع فقد قيل في قوله تعالى فاصبر صبرا جليلا
انه الصبر الذي لا شكوى فيه ولا بث روى انس بن مالك ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما صبر من بث وحكى كعب الاحبار انه مكتوب في التوراة
من اصابته مصيبة فشكى الى الناس فلما يشكوره وحكى ان اعرابية دخلت
من البادية فسمعت صراخا في دار فقالت ما هذا قيل لها مات لهم انسان فقالت
ما اراهم الا من ربهم يستغيثون وبفضائه يتبرمون وعن ثوابه يرغبون وقد قيل
في منشور الحكم من ضاق قلبه اتسع لسانه وانشد بعض اهل العلم
* لا تكثر الشكوى الى الصديق * وارجع الى الخالق لا المخلوق *

* لا يخرج الفريق بالفريق *

﴿ وقال بعض الشعراء ﴾

* لا تشك دهرك ما صححت به * ان الفنى هو صحة الجسم
* هبك الخليفة كنت منتفعا * بغضارة الدنيا مع السقم
﴿ ومنها ﴾ اليأس من خير مصابه ودرك طلابه فيقتن بحزن الحادثة فتوط
الاياس فلا يبقى معها صبر ولا يتسع لها صدر وقد قيل المصيبة بالصبر اعظم
المصيتين وقال ابن الرومي

* اصبرى اينها النفس فان الصبر اجمى
* ربما خاب رجاء * واتى ما ليس يرجى
﴿ وانشدنى بعض اهل العلم ﴾

* آتحمسب ان البؤس للحر دائم * ولودام شيء عده الناس في العجب
* لقد عرفتك الحادئات يئوسها * وقد ادبت ان كان ينفك الادب
* ولو طلب الانسان من صرف دهره * دوام الذى يخشى لاعيابه ما طلب
﴿ ومنها ﴾ ان يعرى بملاحظة من حبطت سلامته وحرست نعمته حتى التحف
بالامن والدعة واستمتع بالثروة والسعة ويرى انه قد خص من ينتهم بالرزية بعد
ان كان مساويا وافرد بالحارثة بمد ان كان مكافيا فلا يستطيع صبرا على
بلوى ولا يلزم شكرا على نعمى ولو قابل بهذه النظرة ملاحظة من شاركه في

الرزية وسأواه في الحادثة لتكافأ الامران فهان عليه الصبر وحان منه الفرج
وانشدت لامرأة من العرب

* ايها الانسان صبرا * ان بعد العسر يسرا *
* كم رأينا اليوم حرا * لم يكن بالامس حرا *
* ملك الصبر فاضحي * مالكا خيرا وشررا *
* اشرب الصبر وان كا * ن من الصبر امرآ *
* وانشدت لبعض اهل الادب *

* براع الفتى للخطب تبدو صدوره * فيأسى وفي عقباه يأتي سروره *
* ألم تر ان الليل لما تراكمت * دجاء بدا وجه الصباح ونوره *
* فلا تصعبن اليأس ان كنت عالما * ليبي فان الدهر شتى اموره *
واعلم انه قل من صبر على حادثة وتماسك في نكبة الا كان انكشافها وشيكا
وكان الفرج منه قريبا اخبرني بعض اهل الادب ان ابا ايوب الكاتب حبس
في السجن خمس عشرة سنة حتى ضاقت حيلته وقل صبره فكتب الى بعض
اخوانه يشكو له طول حبسه فرد عليه جواب رققته بهذا

* صبرا ابا ايوب صبر مبرح * فاذا عجزت عن الخطوب فن لها *
* ان الذي عقد الذي انعقدت له * عقد المكاره فيك يملك حلها *
* صبرا فان الصبر يعقب راحة * ولعلها ان تجلي ولعلها *
* فاجابه ابو ايوب يقول *

* صبرتنى ووعظتنى وانا لها * وستجلى بل لا اقول لعلها *
* ويحلها من كان صاحب عقدها * كرمابه اذ كان يملك حلها *
فلم يلبث بعد ذلك في السجن الا ايلما حتى اطلق مكرما وانشد ابن دريد
عن ابي حاتم

* اذا اشتملت على اليأس القلوب * وضاق لمابه الصدر الرحيب *
* واوطنت المكاره واظمأنت * وأرست في مكاتها الخطوب *
* ولم تر لانكشاف الضر وجهها * ولا اغنى بحيلته الارب *
اتاك

* اتك على قنوط منك غوث * عين به اللطيف المستجيب *

* وكل الحادثات اذا تناهت * فوصول بها الفرج القريب *

﴿ الفصل الثالث في المشورة ﴾ اعلم ان من الحزم لكل ذي لب ان لا يبرم امرا ولا يمجى عزما الا بمشورة ذي الرأي الناصح ومطالعة ذي العقل الراجح فان الله تعالى امر بالمشورة نبيه صلى الله عليه وسلم مع ما تكفل به من ارشاده ووعد به من تأييده فقال تعالى وشاورهم في الامر قال قتاده امره بمشاورتهم تألقا لهم وتطيبا لانفسهم وقال الضحاك امره بمشاورتهم لما علم فيها من الفضل وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى امره بمشاورتهم ليستق به المسلمون ويتبعه فيها المؤمنون وان كان عن مشورتهم غنيا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المشورة حصن من الندامة وامان من الملامة وقال علي بن ابي طالب رضى الله عنه نعم الموازنة المشاورة وبئس الاستعداد الاستبداد وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الرجل ثلاثة رجل ترد عليه الامور فيسدها برأيه ورجل يشاور فيما اشكل عليه وينزل حيث يأمره اهل الرأي ورجل حائر بأمره لا يأمر رشدا ولا يطيع مرشدا وقال عمر بن عبد العزيز ان المشورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة لا يضل معهما رأى ولا يفقد معهما حزم وقال سيف بن ذي يزن من اعجب برأيه لم يشاور ومن استبد برأيه كان من الصواب بعيدا وقال عبد الحميد المشاور في رأيه ناظر من ورائه وقيل في منشور الحكم المشاورة راحة لك وتعب على غيرك وقال بعض الحكماء الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه وقال بعض الادباء ما خاب من استخار ولا ندم من استشار وقال بعض اللغاة من حق العاقل ان يضيف الى رأيه آراء العقلاء ويجمع الى عقله عقول الحكماء فالرأى الفرد ربما زل والعقل الفرد ربما ضل وقال بشار بن برد

* اذا بلغ رأى المشورة فاستعن * برأى نصيح او نصيحة حازم *

* ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فان الخوافى قوة للعوادم *

فاذا عزم على المشاورة ارتاد لها من اهلها من قد استكملت فيه خمس خصال ﴿ احدها ﴾ عقل كامل مع تجربة سالفة فان بكثرة التجارب تصح الروية وقد روى ابو الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتدموا وقال عبيد الله بن الحسن لابنه محمد احذر مشورة الجاهل وان كان ناصحا كما تحذر عداوة العاقل اذا كان عدوا فانه يوشك ان يورطك بمشورته فيسبق اليك مكر العاقل وتوريط الجاهل وقيل لرجل من عبس ما اكثر صوابكم قال نحن الف رجل وفيما حازم ونحن نطبعه فكأننا الف حازم وكان يقال اياك ومشاورة رجلا من شباب معجب بنفسه قليل التجارب في غيره او كبير قد اخذ الدهر من عقله كما اخذ من جسمه وقيل في مشور الحكم كل شيء يحتاج الى العقل والعقل يحتاج الى التجارب ولذلك قيل الايام تهتك لك عن الاستار الكامنة وقال بعض الحكماء التجارب ليس لها غاية والعاقل منها في زيادة وقال بعض الحكماء من استعان بذوى العقول فاز بدرك المأمول وقال ابو الاسود الدبلي

* وما كل ذي نصيح بمؤتيك نصحه * ولا كل مؤت نصحه بليب *
* ولكن اذا ما استجمعا عند صاحب * فحق له من طاعة بنصيب *
* والخصلة الثانية * ان يكون ذا دين وتقى فان ذلك عماد كل صلاح وباب كل نجاح ومن غلب عليه الدين فهو مأمون السريرة موفق العزيمة روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد امرا فشاور فيه امرا مسلما وفقه الله لارشاد اموره * والخصلة الثالثة * ان يكون ناصحا ودودا فان النصيحة والمودة يصدقان الفكرة ويمحضان الرأى وقد قال بعض الحكماء لا تشاور الا الحازم غير الحسود والليب غير الحقود واياك ومشاورة النساء فان رأيهن الى الافن وعزمهن الى الوهن وقال بعض الادباء مشورة المشفق الحازم ظفر ومشورة غير الحازم خطر وقال بعض الشعراء

* اصف ضميرا لمن تعاشره * واسكن الى ناصح تشاوره *
* وارض من المرء في مودته * بما يؤدى اليك ظاهره *
* من يكشف الناس لا يجد احدا * تنصح منهم له سرايره *
* اوشك ان لا يدوم وصل اخ * في كل زلاته تنافره *
* والخصلة الرابعة * ان يكون سليم الفكر من هم قاطع وغم شاغل فان من عارضت فكره شوائب الهموم لا يسلم له رأى ولا يستقيم له خاطر وقد قيل في

منثور الحكم كل شيء يحتاج الى العقل والعقل يحتاج الى التجارب وكان كسرى اذا دهمه امر بعث الى مرازمته فاستشارهم فان قصبروا في الرأي ضرب قهارمته وقال ابطأتم بارزاقهم فأخطوا في آرائهم وقال صالح بن عبد القدوس * ولا مشير كذى نصيح ومقدرة * في مشكل الامر فاختر ذاك متحججا *
 * والحصلة الخامسة * ان لا يكون له في الامر المستشار غرض يتابعه ولا هوى يساعده فان الاغراض جاذبة والهوى صاد والرأى اذا عارضه الهوى وجاذبته الاغراض فسد وقد قال الفضل بن العباس بن عتبة بن ابي لهب * وقد يحكم الايام من كان جاهلا * ويردى الهوى ذا الرأى وهو لبيب *
 * ويحمد في الامر الفتى وهو مخطئ * ويعذل في الاحسان وهو مصيب *
 فاذا استبكتك هذه الخصال الخمس في رجل كان اهلا للمشورة ومعدنا للرأى فلا تعدل عن استشارته اعتمادا على ما تنوهمه من فضل رأيك وثقة بما تستشعره من صحة رويك فان رأى غير ذى الحاجة اسلم وهو من الصواب اقرب لخلاوص الفكر وخلو الخاطر مع عدم الهوى وارتفاع الشهوة وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رأس العقل بعد الايمان بالله التودد الى الناس وما استغنى مستبد برأيه وما هلك احد عن مشورة فاذا اراد الله بعبد هلكة كان اول ما يهلكه رأيه وقال علي بن ابي طالب رضى الله عنه الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه وقال لقمان الحكيم لابنه شاور من جرب الامور فانه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالفلاء وانت تأخذه مجانا وقال بعض الحكماء نصف رأيك مع اخيك فشاورة ليكمل لك الرأى وقال بعض الادباء من استغنى برأيه ضل ومن اكتفى بعقله زل وقال بعض البلغاء الخطأ مع الاسترشاد احدم من الصواب مع الاستبداد وقال الشاعر

* خليلي ليس الرأى في صدر واحد * اشيرا على بالذى تريان *
 ولا ينبغي ان يتصور في نفسه انه ان شاور في امره ظهر للناس ضعف رأيه وفساد رويته حتى افتقر الى رأى غيره فان هذه معاذير التوكى وليس يراد الرأى للباهة به وانما يراد للانتفاع بنتيجته والتحرز من الخطأ عند زلله وكيف يكون عارا ما ادى الى صواب وصعد عن خطأ وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

لنحو عقولكم بالذاكرة واستعينوا على اموركم بالمشاورة وقال بعض الحكماء
 من كمال عقلك استظهارك على عقلك وقال بعض البلغاء اذا اشكلت عليك الامور
 وتغير لك الجمهور فارجع الى رأى العقلاء وافزع الى استشارة العلماء ولا تأنف من
 الاسترشاد ولا تستكف من الاستمداد فلا تنسأل وتسلم خير لك من ان تستبد
 وتندم وينبغي ان تكثر من استشارة ذوى الالباب لاسيما في الامر الجليل
 فقلما يضل عن الجماعة رأى او يذهب عنهم صواب لارسال الخواطر الثاقبة
 واجالة الافكار الصادقة فلا يعرب عنها يمكن ولا يخفى عليها جائز وقد قيل في
 مشور الحكم من أكثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادحا وعند الخطأ عاذرا
 وان كان الخطأ من الجماعة بعيدا فاذا استشار الجماعة فقد اختلف اهل رأى في
 اجتماعهم عليه وانفراد كل واحد منهم به فذهب الفرس ان الاولى اجتماعهم على
 الارتباء واجالة الفكر ليدكر كل واحد منهم ما قدحه خاطره واتجه فكره حتى اذا كان
 فيه قدح عورض او توجه عليه رد نوقض كالجلد الذى تكون فيه المناظرة وتقع فيه
 المنازعة والمشاجرة فانه لا يبقى فيه مع اجتماع القرائح عليه خلل الاظهر ولا زلل
 الا بان وذهب غيرهم من اصناف الامم الى ان الاولى استسرار كل واحد بالمشورة
 ليجهل كل واحد منهم فكره فى رأى طمعا فى الخطوة بالصواب فان القرائح اذا
 انفردت استكدها الفكر واستفرغها الاجتهاد واذا اجتمعت فوضت وكان الاول
 من بدائنها متبوعا ولكل واحد من المذهبين وجه ووجه الثانى اظهر والذى
 اراه فى الاولى غير هذين المذهبين على الاطلاق ولكن ينظر فى الشورى فان
 كانت فى حال واحدة هل هى صواب ام خطأ كان اجتماعهم عليها اولى لان ما
 تردد بين امرين فالمراد منه الاعتراض على فساد او ظهور الحقبة فى صلاحه
 وهذا مع الاجتماع ابلغ وعند المناظرة اوضح وان كانت الشورى فى خطب
 قد استبهم صوابه واستعجم جوابه من امور خافية واحوال غامضة لم يحصرها
 عدد ولم يجمعها تقسيم ولا عرف لها جواب يكشف عن خطائه وصوابه
 فالاولى فى مثله انفراد كل واحد بفكره وخلوه بخاطره ليجهل فى الجواب ثم
 يقع الكشف عنه أخطأ هو ام صواب فيكون الاجتهاد فى الجواب منفردا
 والكشف عن الصواب مجتمعا لان الانفراد فى الاجتهاد اصح والاجتماع على

المنظرة ابلغ. فهكذا هذا وينبغي ان يسلم اهل الشورى من حسد او تنافس فينعهم من تسليم الصواب لصاحبه ثم يعرض المستشار ذلك على نفسه مع مشاركتهم في الارتياء والاجتهاد فاذا تصفح اقاويل جميعهم كشف عن اصولها واسبابها ويبحث عن نتائجها وعواقبها حتى لا يكون في الامر مقلدا ولا في الرأي مفوضا فانه يستفيد بذلك مع ارتياضه بالاجتهاد ثلاث خصال احدها من معرفة عقله وصحة رويته والثانية معرفة عقل صاحبه وصواب رأيه والثالثة وضوح ما استجهم من الرأي واقتراح ما اغلق من الصواب فاذا تقرر له الرأي امضاه فلم يؤاخذهم بمواقب الاكدهاء فيه فان ما على الناصح الاجتهاد وليس عليه ضمان النجح لاسيما والمقادير غالبية ومتى عرف منه تعقب المشير وكل الى رأيه واسلم الى نفسه فصار فردا لا يعان برأى ولا يمد بمشورة وقد قالت الفرس في حكمها اضعف الحيلة خير من اقوى الشدة واول الثاني خير من اكثر الجملة والدولة رسول القضاء المبرم واذا استبد الملك برأيه عميت عليه المرشد واذا ظفر برأى من خامل لا يراه للرأى اهلا ولا للمشورة مستوجبا اغتمه عفوا فان الرأي كالضالة تؤخذ اين وجدت ولا يهون لمهانة صاحبه فيطرح فان الدرة لا يضعها مهانة غائصها والضالة لا تترك لذلة واجدها وليس يراد الرأي لمكان المشير به فيراعى قدره وانما يراد لانتفاع المستشار وانشد ابو العيلاء عن الاصمعي

* النصح ارخص ما باع الرجال فلا * تردد على ناصح نصحا ولا تلم *
* ان النصائح لا تخفى منهاجها * على الرجال ذوى الالباب والفهم *
ثم لا وجه لمن تقرر له رأى ان يني في امضائه فان الزمان غادر والفرص منهزة والثقة عجز وقيل للملك زال عنه ملكه ما الذى سلبك ملكك قال تأخيرى عمل اليوم لغد وقال الشاعر

* اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة * ولا تك بالترداد للرأى مفسدا *
* فاق رأيت الربيب في العزم هيمته * وانفاذ ذى الرأى العزيمة ارشدا *
وينبغي لمن ازل منزلة المستشار واحل محل الناصح المواد حتى صار مأمول النجح مرجو الصواب ان يؤدي حق هذه النعمة باخلاص السريرة ويكافئ على الاستسلام ببذل النصح فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قاله ان من حق

المسلم على المسلم اذا استصحه ان ينصحه وربما ابطرته المشاورة فاعجب برأيه فاحذره في المشاورة فليس للمعجب رأى صحيح ولا روية سليمة وربما شخ في الرأى لعداوة او حسد فورى او مكر فاحذر العدو ولا تثق بحسود ولا عذر لمن استشاره محدو او صديق ان يكتم رأيا وقد استرشد ولا ان يخون وقد ائتمن روى محمد بن المنكدر عن عائشة رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المستشير والمستشار مؤتمن وقال سليمان بن دريد

* وأجب اخاك اذا استشارك ناصحا * وعلى اخيك نصيحة لا تردد *
ولا ينبغي ان يشير قبل ان يستشار الا فيما مس ولا ان يتبرع بالرأى الا فيما لم فانه لا ينفعك من ان يكون رأى متهما او مطرحا وفي اى هذين كان وصمة وانما يكون الرأى مقبولا اذا كان عن رغبة وطلب او كان لباعث وسبب روى ابو بلال العجلي عن حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال لقمان لابنه يا بني اذا استشهدت فاشهد واذا استعنت فأعن واذا استشرت فلا تعجل حتى تنظر وقال بهيس الكلبي

* من الناس من ان يستشرك فجتهد * له الرأى يستغشك ما لا تبايعه *
* فلا تتحنن للرأى من ليس اهله * فلا انت محمود ولا الرأى نافعه *
* الفصل الرابع في كتمان السر * اعلم ان كتمان الاسرار من اقوى اسباب اسباب النجاح وادوم لاحوال الصلاح روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال استعينوا على الحاجات بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود وقال على بن ابي طالب كرم الله وجهه سر ك اسيرك فان تكلمت به صرت اسيره وقال بعض الحكماء لابنه يا بني كن جوادا بالمال في موضع الحق ضئيلا بالاسرار عن جميع الخلق فان اجد جود المرء الانفاق في وجه البر والبخل بمكثوم السر وقال بعض الادباء من كتم سره كان الخيار اليه ومن افشاه كان الخيار عليه وقال بعض البلغاء ما اسرك ما كتمت سر ك وقال بعض الفصحاء ما لم تغيبه الاضالع فهو مكشوف ضائع وقال بعض الشعراء وهو انس بن اسيد

* ولا تفش سر ك الا اليك * فان لكل نصيح نصيحا *
* فان رأيت وشاة الرجا * ل لا يتركون ادما صحيحا *

وكم من اظهار سر اراق دم صاحبه ومنع من نيل مطالبه ولو كتمه كان من سطوته آمنا وفي عواقبه سائما ولنجاح حوائجه راجيا وقال انوشروان من حصن سره فله بتحصينه خصمان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات واظهار الرجل سر غيره اقمج من اظهاره سر نفسه لانه يبوء باحدى وصتين الخيانة انه كان مؤثما او النجاسة ان كان مستودعا فلما الضرر فرجا استويا فيه وتفاضلا وكلاهما مذموم وهو فيهما ملوم وفي الاسترسال ببدء السر دلائل على ثلاثة احوال مذمومة احداها ضيق الصدر وقلة الصبر حتى انه لم يتسع لسر ولم يقدر على صبر وقال الشاعر

* اذا المرء افشى سره بلسانه * ولام عليه غيره فهو احق *
 * اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذي يستودع السراضيق *
 والثانية الغفلة عن تحذر العقلاء والسهو عن يقظة الاذكياء وقد قال بعض الحكماء ان فرد بسرك ولا تودعه حازما فيرل ولا جاهلا فيخون والثالثة ما ارتكبه من الغدر واستعمله من الخطر وقد قال بعض الحكماء سر ك من دمك فاذا تكلمت به فقد ارقته * واعلم ان من الاسرار ما لا يستغنى فيه عن مطالعة صديق مساهم واستشارة ناصح مسالم فليختر العاقل لسره امينا ان لم يجد الى كتمه سبيلا وليتحرر في اختيار من يأتمنه عليه ويستودعه اياه فليس كل من كان على الاموال امينا كان على الاسرار مؤثما والعفة عن الاموال ابسر من العفة عن اذاعة الاسرار لان الانسان قد يذيع سر نفسه بمبادرة لسانه وسقط كلامه ويشيح بالسير من ماله حفظا له وضنا به ولا يرى ما اذاع من سره كبيرا في جنب ما حفظه من يسير ماله مع عظم الضرر الداخل عليه فن اجل ذلك كان امناء الاسرار اشد تعذرا واقل وجودا من امناء الاموال وكان حفظ المال ابسر من كتم الاسرار لان احراز الاموال صنعة واحراز الاسرار بارزة يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه القلوب اوعية الاسرار والشفاه افعالها والالسن مقاتيحها فليحفظ كل امرئ مفتاح سره * ومن صفات امين السر ان يكون ذا عقل صاد ودين حاجز ونصح مبذول وود موفور وكتوما بالطبع فان هذه الامور تمتع من الاذاعة وتوجب

حفظ الامانة في كلمات فيه فهو عنقاء مغرب وقيل في منشور الحكماء قلوب العقلاء
حصون الاسرار وليحذر صاحب السر ان يودع سره من يتطلع اليه ويؤثر
الوقوف عليه فان طالب الوديعة خائن وقيل في منشور الحكماء لا تنكح خادبا
سرك وقال صالح بن عبد القدوس

* لا تدع سرا الى طالب * منك فالغالب للسر مذبح *

وليحذر كثرة المستودعين لسره فان كثرتهم سبب الاذاعة وطريق الى الاشاعة
لامر من احدهما ان اجتماع هذه الشروط في العدد الكثير معوز ولا بد اذا
كثروا من ان يكون فيهم من اخل ببعضها والثاني ان كل واحد منهم يجد
سبيلا الى نفي الاذاعة عن نفسه واحالة ذلك على غيره فلا يضاف اليه ذنب
ولا يتوجه عليه عتب وقد قال بعض الحكماء كلما كثرت خزان الاسرار ازدادت
ضايحا وقال بعض الشعراء

* وسرك ما كان عند امرئ * وسر الثلاثة غير الخفي *

❀ وقال آخر ❀

* فلا تنطق بسرك كل سر * اذا ما جاوز الاثنين فاشي *

ثم لو سلم من اذاعتهم لم يسلم من ادلالهم واستطالتهم فان لمن ظفر بسر من
فرط الادلال وكثرة الاستطالة ما ان لم يحجزه عنه عقل ولم يكفه عنه فضل
كان اشد من ذل الرق وخضوع العبد وقد قال بعض الحكماء من افشى سره كثر
عليه التأمرون فاذا اختار وارجو ان يوفق للاختيار واضطر الى استبداع
سره ولبية كفي الاضطرار وجب على المستودع له آداء الامانة فيه بالحفظ
والتناسي له حتى لا يضطر له ببال ولا يدور له في خلد ثم يرى ذلك نحرمة رعاها
ولا يدل ادلال اللثام وحكي ان رجلا اسر الى صديق له حديثا ثم قال افهمت
قال بل جهلت قال احفظت قال بل نسيت وقيل لرجل كيف كتبناك للسرك قال
اجعل الخبير واحلف للمستخير وقال بعض الشعراء

* ولو قدرت على نسيان ما اشتئت * من المضلوع على الاسرار والخبر *

* لكنت اول من ينسى سراره * اذ كنت من شرها يوما على خطر *

وحكى ان عبدالله بن طاهر تذاكر الناس في مجلسه حفظ السر فقال ابنه
 * ومستودعي سرا تضمنت سره * فاودعته من مستقر الحشى قبرا *
 * ولكنني اخفيه عنى كأننى * من الدهر يوما ما اخطت به خبرا *
 * وما السر في قلبي كيت بحفرة * لاني ارى المدفون ينظر النشرا *
 * الفصل الخامس في المزاح والضحك * اعلم ان للمزاح ازاحة عن الحقوق
 ومخرجا الى القطيعة والعقوق بصم المزاح ويؤذى الممازح فوصية الممازح ان
 يذهب عنه الهيبة والبهاء ويجرى عليه الغوغاء والسفهاء واما اذية الممازح
 فلانه معقوق بقول كره وفعل ممض ان امسبك عنه احزن قلبه وان قابيل عليه
 جانب ابنه فحق على العاقل ان يتقيه وينزه نفسه عن وصمة مساويه وقد روى
 عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المزاح استدراج من الشيطان واخذاع من
 الهوى وقال عمر بن عبد العزيز اتقوا المزاح فانهما حقة تورث ضغينة وقال
 بعض الحكماء انما المزاح سباب الا ان صاحبه يضحك وقيل انما سمي المزاح
 مزاحا لانه يزيج عن الحق وقال ابراهيم النخعي المزاح من سخف او بطر وقيل
 في مشور الحكم المزاح يأكل الهيبة كما تأكل النار الحطب وقال بعض الحكماء من
 كثر مزاحه زالت هيئته ومن كثر خلافه طابت غيبته وقال بعض البلغاء من
 قل عقله كثر هزلته وذكر خالد بن صفوان المزاح فقال يصك احدكم صاحبه
 باشد من الجنبد وينشقه احرق من الخردل ويفرغ عليه اجر من الرجل ثم يقول
 انما كنت امازحك وقال بعض الحكماء خير المزاح لا ينال وشره لا يقابل فنظمه
 السابوري في قصيدته الجامعة للأدب فقال وزاد

* شر مزاح المرء لا يقال * وخيره يا صاح لا ينال *
 * وقد يقال كثرة المزاح * من الفتى تدعو الى التلاح *
 * ان المزاح بدؤه حلاوه * اكنا آخره عداوه *
 * يحد منه الرجل الشريف * ويجترى بسخفه السخيف *

وقال ابونواس

* خيل جنيك رام * وامض عند بسلام *

- * مت بداء الصمت خير * لك من داء الكلام *
- * انما السالم من ألجم فاه بالجسام *
- * ربما استفتح بالزح مضالقي الحمام *
- * والنسبا آكلات * شاربات للانام *

واعلم انه قلما يعرى من المزاح من كان سهلا فالعاقل يتوخى مزاحه احدى
حالتين لا ثالث لهما ﴿ احدهما ﴾ ايناس المصاحبين والتودد الى المخالطين
وهذا يكون بما انس من جيل القول وبسط من مستحسن الفعل وقد قال سعيد
ابن العاص لابنه اقتصد في مزاحك فان الافراط فيه يذهب اليهء ويجرئ
عليك السفهاء وان التقصير فيه يفض عنك المؤانس ويوحش منك المصاحبين
﴿ والحالة الثانية ﴾ ان ينفي بالمزاح ما طرأ عليه من سأم واحداث به من هم
فقد قيل لا بد للمصدور ان ينفث وانشدت لابي الفتح البستي

- * أفد طبعك المكسود بالجد راحة * تجسم وعلايه بشئ من الزح *
- * ولكن اذا اعطيت المزح فليكن * بمقدار ما تعطى الطعام من الملح *
- وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمزح على هذا الوجه روى عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال انى لا مزح ولا اقول الا حقا • فن مزاحه صلى الله عليه وسلم
ما روى ان عجوزا من الانصار اتته فقالت يا رسول الله ادع لى بالغفرة فقال أما
علمت ان الجنة لا يدخلها المجازر فصرخت فتبسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال أما قرأت قول الله عز وجل انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا
عريا اترابا • واتته اخرى فى حاجة لزوجهها فقال لها ومن زوجك فقالت
فلان فقال لها الذى فى عينه بياض فقالت لا فقال بلى فانصرفت عجلى الى
زوجها وجعلت تتأمل عينيه فقال لها ما شئتك فقالت اخبرنى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان فى عينيك بياضا فقال أما ترين بياض عيني أكثر من سوادها •
واتى رجل على بن ابي طالب رضى الله عنه فقال انى احتلمت على اى فقال
اقمىوه فى الشمس واضربوا ظله الحد • وسئل الشعبي عن اكل لحم الشيطان
فقال نحن نرضى منه بالكفاف وقيل له ما اسم امرأة ابليس لعنه الله فقال ذاك
نكاح ما شهدناه وقال رجل لعلام بكم تعمل معى قال بطعاعى فقال له احسن

قليلًا قال فاصوم الاثنين والخميس وحكى عن ابي صالح بن حسان وكان محدثًا
انه قال يوما لاصحابه افقه الناس وضاح اليين في قوله

* اذا قلت هاتى نولينى تبرمت * وقالت معاذ الله من فعل ما حرم *
* بما نولت حتى تضرعت عندها * وانباتها ما رخص الله في اللم *
فاما الخروج الى حد الخلاعة فهجنة ومنمة كالذى حكى عن ابي معاوية
الضربى وكان محدثًا انه خرج يوما الى اصحابه وهو يقول

* واذا المعدة جاشت * فارمها بالنجنيق *
* بثلاث من نبيذ * ليس بالخلو الرقيق *

أما ترى كيف طرق بخلاعه التهمة على نفسه بهذا المزح فيما لعله يرى منه
وبعيد عنه وقد كان ابو هريرة رضى الله عنه مسترسلا في مزاحه * روى
ابن قتيبة في المعارف ان مروان ربما كان يستخلفه على المدينة فيركب حمارا
قد شد عليه رذعة فيسير فيلقى الرجل فيقول الطريق قد جاء الامير وربما اتى
العصيان وهم يلعبون لعبة الاعراب فلا يشعرون حتى يلقى نفسه بينهم ويضرب
برجله فيفرغ الصبيان فينفرون وهذا خروج عن القدر المستسمح به ويوشك
ان يكون لهذا الفعل منه تأويل سائغ وقد كان صهيب بن سنان مزاحا فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم أأكلت ثرا وبك رمد فقال يا رسول الله انما امضغ على
الناحية الاخرى وانما استجاز صهيب ان يعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمزح في جوابه لان استخباره صلى الله عليه وسلم قد كان يتضمن المزح فاجابه عن
استخباره بما يوافقه مساعدا لفرضه وتقربا من قلبه والافليس لاحد ان يجفل
جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم مزاحا لان المزح هزل ومن جعل جواب
رسول الله صلى الله عليه وسلم البين عن الله عز وجل احكامه المؤدى الى خلقه
او امره هزلا ومزحا فقد عصى الله ورسوله وصهيب كان اطوع لله سبحانه
وتعالى من ان يكون بهذه المذلة فقد قال صلى الله عليه وسلم انا سابق العرب
وصهيب سابق الروم وسلمان سابق الفرس وبلال سابق الحبش * ومن مستحسن
المزح ومستسمح الدعابة ما حكى الزبير بن بكار عن الكندي ان القشيري وقف
على شيخ من الاعراب فقال يا اعرابي من انت فقال من عقيل قال من اى عقيل

قال من بنى خفاجة ففسال القشيري رأيت شيخنا من بنى خفاجة فقال الاعرابي ما شأنه قال له اذا جن الغلام حاجة فقال الاعرابي ما هي قال لك حاجة الديك الى الدجاجة فاستعبر الاعرابي ضاحكا وقال قاتلك الله ما اعرفك بسر اثر القوم فانظر كيف بلغ بهذا المزح غايته ولسانه نزه وعرضه مصون وهذا غاية ما يتسامح به الفضلاء من الخلعة وان كان مستكره الفحوى والنزاهة عن مثله اولى وليحذر ان يسترسل في ممازحة عدو فيجعل له طريقا الى اعلان المساوى وهو مجد ويفسخ له في التشفي مزحا وهو محق وقد قل بعض الحكماء اذا مازحت عدوك ظهرت له عيوبك • واما الضحك فان اعتياده شاغل عن النظر في الامور المهمة مذهل عن الفكر في النوائب الملمة وليس لمن اكثر منه هيبة ولا وقار ولا لمن وصم به خطر ولا مقدار روى ابو ادريس الحولاني عن ابي ذر الفصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك وكثرة الضحك فانه يمت القلب ويذهب ينور الوجه وروى عن ابن عباس في قوله تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ان الصغيرة الضحك وقل عمر بن الخطاب رضي الله عنه من كثر ضحكك قلت هيبته وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اذا ضحكك العالم ضحكة حج من العلم بحجة وقيل في منشور الحكم ضحكة المؤمن غفلة من قلبه والقول في الضحك كالقول في المزاح ان تجهلوا الانسان فعرعنه واوحش منه وان الغفلة كانت حاله ما وصفنا فليكن بدل الضحك عند الايناس تبسما وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه التسميم دعاية وهذا البغ في الايناس من الضحك الذي هو قد يكون استهزاء وتعبجا وليس ينكر منه المرة التادرة لطاريئ استغفل النفس عن دفعه هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لمالك الخلق لنفسه قد تبسم حتى بدت نواجذه وانما كان ذلك منه صلى الله عليه وسلم على الوجه الذي ذكرناه • الفصل السادس في الطيرة والقال • اعلم انه ليس شيء اضر بالرائي ولا افسد للتدبير من اعتقاد الطيرة ومن ظن ان خوار بقرة او نعيب غراب يرد قضاء او يدفع مقبورا فقد جهل وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر • فالعدوى • ما يظنه الناس من تعدي الملل والامراض فاخبر انها لا تعدي فقل يا رسول الله

انا نرى النملة من الجرب في مشفر البعير فتعدى الى جبيهه فقال صلى الله عليه وسلم فا اعدى الاول واما ﴿ الهامة ﴾ فهو ما كانت العرب في الجاهلية تعتقده من ان القتل اذا طل دمه فلم يدرك بثاره صاحته هامت في القبر اسقوني قال الزرقان بن بدر يفضيها

* يا عمرو ألا تدع شمتي ومنقصتي * اضربك حتى تقول الهامة اسقوني *
* وقال ابراهيم بن هرمة *

* وكيف وقد صاروا عظاما واقبرا * يصيح صداها بالعشي وهامها *
* تفانوا ولم يبقوا وكل قبيلة * سريع الى ورد الفناء كرامها *
واما ﴿ الصفر ﴾ فهو كالخية يكون في الجوف يصيب الماشية والناس وهو اعدى عندهم من الجرب وفيه يقول الشاعر

* لا يسك الساق من اين ولا عصب * ولا بعض على شرسوفه الصفر *
وروى ابو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا فلتتم فلا تحققوا واذا احسدتهم فلا تبغوا واذا تطيرتم فامضوا وعلى الله فتوكلوا وقال الشاعر

* ظيرة الناس لا ترد قضاء * فاعذر الدهر لا تشبه بلوم *
* اى يوم تخصه بسعود * والنيا يئزلن في كل يوم *
* ليس يوم الا وقبه سعاد * ونحوس تجرى لقوم وقوم *
وقد كانت الفرس اكثر الناس طيرة وكانت العرب اذا ارادت سفرا نفرت اول طائر تلقاه فان طار يمينه سارت وتيمنت واذا طار يسره رجعت ونشأمت فشهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال اقروا الطير على وكنائنها وحكي عكرمة قال كذا جلوسا عند ابن عباس رضى الله عنهما فر طائر يصيح فقال رجل من المقوم خير فقال ابن عباس لا خير ولا شر وقال لبيد

* لعمر ك ما تدرى الضوارب بالحمى * ولا زاجرات الطير ما الله صانع *
واعلم انه قلما يخلو من الطيرة احد لا سيما من عارضته المقادير في ارامته وصدده القضاء عن طلبه فهو يرجو واليأس عليه اغلب ويأمل والخوف اليه اقرب فإذا عاقه القضاء وخانه الرجاء جعل الطيرة عذر خيته وغفل عن قضاء الله عز

وجل ومشيتته فاذا تطير اجمع عن الاقدام ويئس من الظفر وظن ان القياس فيه
مطارد وان العبرة فيه مستمرة ثم يصبر ذلك له عادة فلا ينجح له سعي ولا يتم له قصد
فاما من ساعدته المقادير ووافقه القضاء فهو قليل الطيرة لاقدامه ثقة باقباله
وتعويلا على سعادته فلا يصده خوف ولا يكهف حزن ولا يؤوب الا ظافرا ولا
يعود الا منجحا لان الغنم بالاقدام والحية مع الاجام فصارت الطيرة من سمات
الادبار واطراحها من امارات الاقبال فينبغي لمن مني بها وبلى ان يصرف عن
نفسه وساوس التوكي ودواعي الحية وذرائع الحرمان ولا يجعل للشيطان سلطانا
في تقض عزائمه ومعارضة خالقه ويعلم ان قضاء الله تعالى عليه غالب وان
رزقه له طالب الا ان الحركة سبب فلا يثنيه عنها ما لا يضر مخلوقا ولا يدفع
مقدورا ولیمض في عزائمه واتقيا بالله تعالى ان اعطى وراضيا به ان منع فقد روى
ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الانسان ثلاثة الطيرة
والظن والحسد فمخرجه من الطيرة ان لا يرجع ومخرجه من الظن ان لا يتحقق
ومخرجه من الحسد ان لا يبغى وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كفارة الطيرة
التوكل على الله تعالى وقيل في منشور الحكم الخير في ترك الطيرة وليقل ان عارضه
في الطيرة ريب او خاмерه فيها وهم ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من تطير فليقل اللهم لا يأتي بالخيرات الا انت ولا يدفع السيئات الا انت ولا حول
ولا قوة الا بالله وقد روى ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله انا نزلنا دارا فكثرت فيها عددنا وكثرت فيها اموالنا ثم تحولنا عنها الى اخرى
فقلت فيها اموالنا وقل فيها عددنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذروها فهي ذميمة
وليس هذا القول منه صلى الله عليه وسلم على وجه الطيرة ولكن على طريق
التبرك بما فارق وترك ما استوحش منه الى ما انس به • واما القال ففيه تقوية
للعزم وباعث على الجد ومعونة على الظفر فقد تفاءل رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزواته وحروبه وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سمع كلمة فاجتبه فقال اخذنا فالك من فيك فينبغي لمن تفاءل ان يتأول الفأل
باحسن تأويلاته ولا يجعل لسوء الظن على نفسه سبيلا فقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان البلاء موكل بالنطق روى ان يوسف عليه السلام شكى الى الله

تعالى طول الحبس فاوحى الله تعالى اليه يا يوسف انت حبست نفسك حيث قلت رب السجن احب اليّ ولو قلت العافية احب اليّ لموفيت وحكى ان المؤمل بن اميل الشاعر لما قال يوم الحرة

* شف المؤمل يوم الحرة النظر * ليت المؤمل لم يخلق له بصر *
عنى فاتاه آت في منامه فقال له هذا ما طلبت وحكى ان الوليد بن يزيد بن عبد الملك تغافل يوما في المصحف فخرج له قوله تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فزق المصحف وانشأ يقول

* أتوعد كل جبار عنيد * فهذا انا ذاك جبار عنيد *
* اذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل يا رب مزقني الوليد *
فلم يلبث الا اياما حتى قتل شر قتلة وصلب رأسه على قصره ثم على سور بلده فعوذ بالله من البغي ومصارعه والشیطان ومكائده وهو حسبا وعليه توكلنا ﴿ الفصل السابع في الروءة ﴾ اعلم ان من شواهد الفضل ودلائل الكرم الروءة التي هي حلية النفوس وزينة الهمم فالروءة مراعاة الاحوال التي تكون على افضلها حتى لا يظهر منها قبيح عن قصد ولا يتوجه اليها ذم باستحقاق روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من عامل الناس فلم يظلمهم وحدهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو من مكنت مروءته وظهرت عدالته ووجبت اخوته وقال بعض البلغاء من شرائط الروءة ان يتعفف عن الحرام ويتصلف عن الآثام وينصف في الحكم ويكف عن الظلم ولا يطمع فيما لا يستحق ولا يستطيل على من لا يسترق ولا يعين قويا على ضعيف ولا يؤثر دينا على شريف ولا يسر ما يعقبه الوزر والاثم ولا يفعل ما يقبح الذكر والاسم وسئل بعض الحكماء عن الفرق بين العقل والروءة فقال العقل يأمرك بالانفع والروءة تأمرك بالاجل ولن تجد الاخلاق على ما وصفنا من حد الروءة منطبعة ولا عن المراعاة مستغنية وانما المراعاة هي الروءة لا ما انطبعت عليه من فضائل الاخلاق لان غرور الهوى ونازع الشهوة بصرفان النفس ان تتركب الافضل من خلائقها والاجل من طرائقها وان سلمت منها وبعيد ان تسلم الا لمن استكمل شرف الاخلاق طبعها واستغنى عن تهذيبها تكلفا وطبعها وقال الشاعر

* من لك بالمحض وليس محض * يخبث بعض ويطيب بعض *
 ثم لو استكمل الفضل طبعاً وفي المعوز ان يكون مستكملاً لكان في المستحسن من
 عادات دهره والموضوع من اصطلاح عصره من حقوق المروءة وشروطها ما
 لا يتوصل اليه الا بالمصانة ولا يوقف عليه الا بالتفقد والمراعاة فثبت ان مراعاة
 النفس على افضل احوالها هي المروءة واذا كانت كذلك فليس ينقاد لها مع ثقل
 كلفها الا من تسهلت عليه المشاق رغبة في الحمد وهانت عليه الملاذ حذراً من
 الذم ولذلك قيل سيد القوم اشقاهم وقال ابو تمام الطائي
 * والحمد شهد لا يرى مشواره * يحنيه الا من تقيع الحنظل *
 * غل لحامله ويحبه الذي * لم يوه عاقه خفيف الحمل *
 ﴿ وقد لحظ المتنبي ذلك في قوله ﴾
 * لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والاقدام قتال *
 ﴿ وله ايضا ﴾
 * واذا كانت النفوس كبارا * تبعت في مرادها الاجسام *
 والداعي الى استسهال ذلك شيان احدهما علو الهمة والثاني شرف
 النفس اما ﴿ علو الهمة ﴾ فلانه باعث على التقدم وداع الى التخصيص انفة
 من خمول الضعة واستنكارا المهانة النقص ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
 ان الله يحب معالي الامور واشرافها ويكره دنيها وسفاسفها وروى عن عمر
 ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال لا تصفرن همتكم فاني لم اراقعد عن المكرمات
 من صغر الهمة وقال بعض الحكماء الهمة راية الجد وقال بعض البلغاء علو
 الهمة بذر النعم وقال بعض العلماء اذا طلب رجلان امرا ظفر به اعظمهما مروءة
 وقال بعض الادباء من ترك التماس المعالي بسوء الرجاء لم ينل جسيماً واما
 ﴿ شرف النفس ﴾ فان به يكون قبول التأديب واستقرار التقويم والتهديب
 لان النفس ربما جمحت عن الافضل وهي به عارفة ونفرت عن التأديب وهي له
 مستحسنة لانها عليه غير مطبوعة وله غير ملائمة فتصير منه انفر ولضده الملائم
 أثر وقد قيل ما اكثر من يعرف الحق ولا يطيعه واذا شرفت النفس كانت
 للآداب طالبة وفي الفضائل راغبة فاذا ما رجعها صادف طبعها ملائماً فحنى واستقر

فاما من منى بعلو الهمة وسلب شرف النفس فقد صار عرضة لامر اعوزته
آلته وافسدته جهالته فصار كضريح يروم تعلم الكتابة واخرس يريد الخطبة فلا
يزيده الاجتهاد الا عجزا والطلب الا عوزا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
ما هلك امرؤ عرف قدره وقيل لبعض الحكماء من اسوأ الناس حالا قال من
بعدت همته واتسعت امنيته وقصرت آلته وقتت مقدرته وقال افنون الشعلبي

* ولا خير فيما يكذب المرء نفسه * وتقواله للشيء يا ليت ذالبا *

* لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتقى * اذا هو لم يجعل له الله واقيا *

وقال بعض الحكماء تجنبوا المني فانها تذهب بيهجة ما خولتم وتستصغرون بها
نعمة الله عليكم وقيل في مشور الحكم المني من بضائع النوى فان صادف بهيمته
خطا نال به املا كان فيما ناله كالغضب وفيما وصل اليه كالقلب اذ ليس في
الخطو ط تقدير لحق ولا تمير مستحق وانما هي كالسحاب الذي يمسيك عن منابت
الاشجار الى مغايص البحار ويترك حيث صادف من خبيث وطيب فان صادف
ارضا طيبة نفع وان صادف ارضا خبيثة ضرر كذلك الخط ان صادف نفسا
شريفة نفع وكان نعمة عامة وان صادف نفسا ذنية ضرر وكان نقمة طامة
وحكى ان موسى بن عمران عليه السلام دعا على قوم بالعذاب فاوحى اليه قد
ملكتم سفلهما على اعلاها فقال يا رب كنت احب لهم عذابا عاجلا فاوحى الله تعالى
اليه اوليس هذا كل العذاب العاجل الاليم فاما شرف النفس اذا تجرد عن علو
الهمة فان الفضل به عامل والقدر به حامل وهو كالقوة في الجلد الكسل والجبان
الفشل تضعيف قوته بكسله وجلده بفشله وقد قيل في مشور الحكم من دام كسله
خاب امله وقال بعض الحكماء نكح العجز التواني فخرج منهما الندامة ونكح
الشؤم الكسل فخرج منهما الحرمان وقال بعض الشعراء

* اذا انت لم تعرف لنفسك حقها * هو انا بها كانت على الناس اهونا *

* ونفسك اكرمها وان ضاق مسكن * عليك لها فاعلم لنفسك مسكنا *

* واياك والسكنى بمنزل ذلة * بعد مسيئا فيه من كان محسنا *

وشرف النفس مع صغر الهمة اولى من علو الهمة مع دناءة النفس لان من علت همته
مع دناءة نفسه كان متعديا الى طلب ما لا يستحقه ومخطيا الى التماس ما لا يستوجبه

ومن شرفت نفسه مع صغر همته فهو تارك لما يستحق ومقصر عما يجب له وفضل ما بين الامرين ظاهر وان كان لكل واحد منهما من الذم نصيب وقد قيل لبعض الحكماء ما اصعب شيء على الانسان قال ان يعرف نفسه ويكتم الاسرار فدا اجتماع الامران واقترن بشرف النفس علو الهمة كان الفضل بهما ظاهرا والادب بهما وافرا ومشاق الحمد بينهما مسهلة وشروط الروء بينهما متينة وقد قال الحصين ابن المنذر الرقاشي

- * ان الروء ليس يدركها امرؤ * ورث المكارم عن اب فاضاعها *
- * امرته نفس بالدناءة والخنأ * ونهته عن سبل العلا فاطاعها *
- * فاذا اصاب من المكارم خلة * بينى الكريم بها المكارم باعها *

واعلم ان حقوق الروء اكثر من ان تحصى واخفى من ان تظهر لان منها ما يقوم في الروهم حسا ومنها ما يقتضيه شاهد الحلال حدسا ومنها ما يظهر بالفعل ويخفى بالتعافل فلذلك اعوز استيفاء شروطها الا جلا يتنبه الفاضل عليها يفظته ويستدل العاقل عليها بفطرتها وان كان جميع ما تضمنه كتابنا هذا من حقوق الروء وشروطها وانما نذكر في هذا الفصل الاشهر من قواعدها واصولها والاظهر من شروطها وحقوقها محصورا في تقسيم جامع وهو ينقسم قسمين احدهما شروط الروء في نفسه والثاني شروطها في غيره * فاما شروطها في نفسه بعد التزام ما اوجبه الشرع من احكامه فيكون بثلاثة امور وهى العفة والزاهة والصيانة فاما العفة فنوعان احدهما العفة عن المحارم والثاني العفة عن المآثم فاما العفة عن المحارم فنوعان احدهما ضبط الفرج عن الحرام والثاني كف اللسان عن الاعراض فاما ضبط الفرج عن الحرام فلائنه مع وعيد الشرع وزاجر العقل معرفة فاضحة وهتكه داحضة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم من وفى شر ذنبه ولقلقه وبقبفه فقد وفى يريد بذنبه الفرج وبلقلقه اللسان وبقبفه البطن وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احب العفاف الى الله تعالى عفاف الفرج والبطن وحكى ان معاوية رضى الله عنه سأل عمر عن الروء فقال تقوى الله تعالى وصلة ارحم وسأل المغيرة فقال هى العفة عما حرم الله تعالى والحرفة فيما احل الله تعالى وسأل يزيد فقال

هي الصبر على البلوى والشكر على النعمى والعفو عند القدرة فقال معاوية
انت منى حقا وقال انوشروان لابنه هرمز من الكامل المروءة فقال من حصن
دينه ووصل رحمه واكرم اخوانه وقال بعض الحكماء من احب المكارم اجنب
المحارم وقيل عار الفضيحة يكدر لذنها وقد انشدني بعض اهل الادب للحسن
ابن على رضى الله عنهما

* الموت خير من ركوب العار * والعار خير من دخول النار *
* والله من هذا وهذا جارى *

والداعى الى ذلك شيان احدهما ارسال الطرف والثانى اتباع الشهوة وقد
روى عن النبي عليه السلام انه قال لعلى بن ابي طالب كرم الله وجهه يا على
لا تتبع النظرة النظرة فان الاولى لك والثانية عليك وفي قوله لا تتبع النظرة
النظرة تأويلان احدهما لا تتبع نظري عينيك نظر قلبك والثانى لا تتبع الاولى التى
وقعت سهوا بالنظرة الثانية التى توقعها عمدا وقال عيسى بن مريم عليه السلام
اياكم والنظرة بعد النظرة فانها تزرع فى القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها
فتنة وقال على بن ابي طالب كرم الله وجهه العيون مصايد الشيطان وقال
بعض الحكماء من ارسل طرفه استدعى حتفه وقال بعض الشعراء

* وكنت متى ارسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما اتعبتك المناظر *
* رأيت السدى لا كله انت قادر * عليه ولا عن بعضه انت صابر *

واما الشهوة فهى خادعة العقول وغادرة الالباب ومحسنة القبائح ومسولة الفضائح
وليس عطب الا وهى له سبب وعليه الب ولذلك قال النبي عليه السلام اربع
من كن فيه وجبت له الجنة وحفظ من الشيطان من ملك نفسه حين يرغب
وحين يرهب وحين يشتهى وحين يفضب وقهرها عن هذه الاحوال يكون
بثلاثة امور ﴿ احدها ﴾ غص الطرف عن اثارها وكفه عن مساعدتها
فانه الرائد المحرك والقائد المهلك روى سعيد بن سنان عن انس بن مالك عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تقبلوا الى بستان تقبل اليكم بالجنة قالوا وما هى
يا رسول الله قال اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا اتمن فلا
يخون غصوا ابصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا ايديكم ﴿ والثانى ﴾ ترغيبها فى

الحلال عوضا واقناعها بالبإباح بدلا فان الله ما حرم شيئا الا واغنى عنه بمباح من جنسه لما علمه من نوازع الشهوة وتركيب الفطرة ليكون ذلك عوننا على طاعته وحاجزا عن مخالفته وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما امر الله تعالى بشيء الا واعان عليه ولا نهى عن شيء الا واغنى عنه * والثالث * اشعار النفس تقوى الله تعالى في اوامره واتقائه في زواجره والزامها ما الزم من طاعته وتحذيرها ما حذر من معصيته واعلامها انه لا ينحى عليه ضمير ولا يعزب عنه قطمير وانه يجازى المحسن ويكافى المسيء وبذلك نزلت كتبه وبلغت رسله روى ابن مسعود ان آخر ما نزل من القرآن واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وآخر ما نزل من التوراة اذا لم تستحي فاصنع ما شئت وآخر ما نزل من الانجيل شر الناس من لا يبالي ان يراه الناس مسيئا وآخر ما نزل من الزبور من يزرع خيرا يحصد زرعه غبطة فاذا اشعرها ما وصفت انقادت الى الكف واذعنت بالاتقاء فسلم دينه وظهرت مروءته فهذا شرط واما كف اللسان عن الاعراض فلائنه ملاذ السفهاء وانتقام اهل الفؤاء وهو مستسهل الكلف اذا لم يقهر نفسه عنه برادع كاف وزاجر صاد تلبط بجماره وتخبط بمضاره وظن انه تجافى الناس عنه حتى يتقى ورتبة ترتقى فهلاك واهلك فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ألا ان دماءكم واموالكم واعراضكم حرام عليكم حرام عليكم بجمع بين الدم والعرض لما فيه من ايقار الصدور وابداء الشرور واطهار البذاء واكتساب الاعداء ولا يبقى مع هذه الامور وزن لموموق ولا مروءة للمحوظ ثم هو بها موتور موزور ولاجلها مهجور مزجور وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال شر الناس من اكرمه الناس اتقاء لسانه وقال بعض الحكماء انما هلك الناس بفضول الكلام وفضول المال وما قدح في الاعراض من الكلام نوعان احدهما ما قدح في عرض صاحبه ولم يتجاوز به الى غيره وذلك شينان الكذب وغش القول والثاني ما تجاوز به الى غيره وذلك اربعة اشياء الغيبة والنميمة والسعاية والسب بقذف او شتم وربما كان السب انكاسها للقلوب وابانها اثرا في النفوس ولذلك ما زجر الله عنه بالحد تغليظا وبالتفسيق تشديدا وتصعبا وقد يكون ذلك لاحد شيئين اما انتقام يصدر عن

سفه اوبذاء يحدث عن لؤم وقد روى ابو سلمة عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم وقال ابن المقفع الاستطالة لسان الجهالة وكف النفس عن هذه الحال بما يصددها من الزواجر اسلم وهو بذوى الروء اجل فهذا شرط واما العفة عن المآثم فنوعان احدهما الكف عن المجاهرة بالظلم والثاني زجر النفس عن الاسرار بخيانة فاما المجاهرة بالظلم فعنو مهلك وظعيان متلف وهو يؤول ان استمر الى فتنة او جلاء فاما الفتنة في الاغلب قحيط بصاحبها وتنعكس عن البادئ بها فلا تكشف الا وهو بها مصروع كما قال الله تعالى ولا يحق المكر السيئ الا باهله وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الفتنة نائمة فمن ايقظها صار طعاما لها وقال جعفر بن محمد الفتنة حصاد للظالمين وقال بعض الحكماء صاحب الفتنة اقرب شيء اجلا واسوأ شيء عملا وقال بعض الشعراء

* وكنت كعنز السوء قامت لحنفها * الى مدينة تحت الثرى تستثيرها *
واما الجلاء فقد يكون من قوة الظالم وتطاول مدته فيصير ظلمه مع المكنة جلاء وفناء كالنار اذا وقعت في يابس الشجر فلا تبقى معها مع تمكنها شيئا حتى اذا اذنت ما وجدت اضمحلت ونجحت فكذا حال الظالم مهلك ثم هالك والباعث على ذلك شيطان الجرأة والقسوة ولذلك قال النبي عليه السلام اطلبوا الفضل والمعروف عند الرجاء من امتي تعيشوا في اكنافهم والصاد عن ذلك ان يرى آثار الله تعالى في الظالمين فان له فيهم عبرا ويتصور عواقب ظلمهم فان فيها مزدجرا وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اصبح ولم ينو ظلم احد غفر الله له ما اجترم وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي اتق دعوة المظلوم فانه انما يسأل الله حقه وان الله لا يمنع ذا حق حقه وقيل في منشور الحكم ويل للظالم من يوم المظالم وقال بعض البلغاء من جار حكمه اهلكه ظلمه وقال بعض الشعراء

* وما من يد الا يد الله فوقها * ولا ظالم الا سبلى بظالم *
واما الاستسرار بالخيانة فضعة لانه بذل الحيانة مهين وقللة الثقة به مستكين وقد قيل في منشور الحكم من يخن يهن وقال خالد الربيعي قرأت في بعض

الكتب السالفة ان مما تجل عقوبة ولا تؤخر الامانة فخان والاحسان يكفر والرحم تقطع والبغى على الناس ولولم يكن من ذم الخيانة الا ما يجده الخائى في نفسه من المذلة لكفاه زاجرا ولو تصور عقبي امانته وجدوى ثقته لعلم ان ذلك من اربح بضائع جاهه واقوى شفعاء تقدمه مع ما يجده في نفسه من العز ويقابل عليه من الاعظام وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أدّ الامانة الى من ائتمك ولا تخن من خالك وروى سعيد بن جبير قال لما نزلت هذه الآية ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل يغنون ان اموال العرب حلال لهم لانهم من غير اهل الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذب اعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر ولا يجعل ما يتظاهر به من الامانة زورا ولا ما يبديه من العفة غرورا فينهتك الزور وينكشف الغرور فيكون مع هتكك للتدليس اقبح ولمعة الرياء افضح وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تزال امتي بخير ما لم تر الامانة مغنما والصدقة مغرما وقال بعض الحكماء من التمس اربع باربع التمس ما لا يكون ومن التمس الجزاء بارياء التمس ما لا يكون ومن التمس مودة الناس بالغلظة التمس ما لا يكون ومن التمس وفاء الاخوان بغير وفاء التمس ما لا يكون ومن التمس العلم براحة الجسد التمس ما لا يكون والداعى الى الخيانة شيان المهانة وقلة الامانة فاذا حسمهما عن نفسه بما وصفت ظهرت مروءته فهذا شرط قد استوفينا فيه اقسام العفة ♦ واما النزاهة فنوعان احدهما النزاهة عن المطامع الدنية والثاني النزاهة عن مواقف الريبة فاما المطامع الدنية فلان الطمع ذل والدناءة لؤم وهما ادفع شيء للمروءة وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم انى اعوذ بك من طمع يهدى الى طبع وقال بعض الشعراء

- * لا تخضعن لمخلوق على طمع * فان ذلك نقص منك في الدين *
- * واسترزق الله مما في خزائنه * فانما هو بين الكاف والنون *
- والباعث على ذلك شيان الشره وقلة الانفة فلا يقنع بما اوتي وان كان كثيرا

لاجل شرهه ولا يستنكف مما منع وان كان حقيرا لقلته انفته وهذه حال من لا يرى لنفسه قدرا ويرى المال اعظم خطرا فيرى بذل اهلون الامر من لاجلها مغما وليس لمن كان المال عنده اجل ونفسه عليه اقل اصفاء لتأنيب ولا قبول لتأديب وروى ان رجلا قال يا رسول الله اوسنى قال عليك باليساس مما في ايدي الناس واياك والطمع فانه فقر حاضر واذا صليت صلاة فصل صلاة مودع واياك وما يعتذر منه وقال بعض الشعراء

* ومن كانت الدنيا مناه وهمه * سبته المني واستعبدته المطامع *

وحسم هذه المطامع شيثان اليأس والقنائة وقد روى عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لا تموت حتى تستوفى رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب ولا يحملكيم ابطاء الرزق على ان تطلبوه بمعاصي الله تعالى فان الله عز وجل لا يدرك ما عنده الا بطاعته فهذا شرط ♦ واما مواقف الريبة فهي التردد بين منزلتي جد و ذم والوقوف بين حالتي سلامة وسقم فتوجه اليه لأئمة المتوهمين ويناله ذلة المريين وكفى بصاحبها موقفا ان صح اقتضح وان لم يصح امتهن وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وسئل محمد بن علي عن المروءة فقال ان لا تعمل في السر عملا تستحي منه في العلانية وقال حسان بن ابي سنان ما وجدت شيئا هو اهلون من الورع قيل له وكيف قال اذا ارتبت بشيء تركته والداعى الى هذه الحال شيثان الاسترسال وحسن الظن والمنازع منهما شيثان الحياء والحذر وربما انتفت الريبة بحسن الثقة وارتفعت التهمة بطول الخبرة وقد حكى عن عيسى بن مريم عليه السلام انه رآه بعض الحوارين وقد خرج من منزل امرأة ذات فجور فقال يا روح الله ما تصنع هنا فقال الطيب انما يداوى المرضى ولكن لا ينبغي ان يجعل ذلك طريقا الى الاسترسال وليكن الحذر عليه اغلب والى الخوف من تصديق التهم اقرب فا كل ريبة ينبغيها حسن الثقة هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابعد خلق الله من الرب واصونهم من التهم وقف مع زوجته صفية ذات ليلة على باب مسجد يحادثها وكان معتكفا فر به رجلان من الانصار فلما رأياه اسرعا فقال لهما على رسلكما انهما

ضفية بنت حبي فقالا سبحان الله أوفيك شك يا رسول الله فقال له إن الشيطان يجري من أحدكم يجري لحمة ودمه فخشيت أن يقذف في قلبكما سوءا فكيف من أنما عجلت فيه الشكوك وتقابلت فيه الظنون فهل يعرى من في مواقف الريب من قالح محقق ولائم مصدق وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا لم يشق المرء إلا بما عمل فقد سعد وإذا استعمل الحزم وغلب الخذر وترك مواقف الريب ومطان التهم ولم يقف موقف الاعتذار ولا عذر المختار لم يحتج في نزاهته شك ولم يقذف في عرضه أفك وقد قال الشاعر

* اصولك إن ادل عليك ظنا * لان الظن مفتاح اليقين *
وقال سهل بن هارون مؤنة المتوقف أسر من تكلف المعسف وقال بعض الحكماء من يحسن ظنه بمن لا يخاف الله تعالى فهو مخدوع وأنشدني بعض أهل الأدب لابي بكر الصولي رحمه الله قوله

* احسنت ظني بأهل دهري * فحسن ظني بهم دهاني *
* لا آمن الناس بعد هذا * ما الخوف إلا من الآمان *

فهذا شرط استوفينا فيه نوعي النزاهة * وأما الصيانة وهي الثالث من شروط المروءة فنوعان أحدهما صيانة النفس بالتماس كفايتها وتقدير مآزنها والثاني صيانتها عن تحمل المن من الناس والاسترسال في الاستعانة وأما التماس الكفاية وتقدير المادة فلان المحتاج إلى الناس كل مهتضم وذليل مستثقل وهو لما فطر عليه محتاج إلى ما يستعده ليقوم لود نفسه ويدفع ضرورته وقتته وقد قالت العرب في أمثالها كلب جوال خير من أسد رابض وما يستعده نوعان لازم وندب فاما اللازم فما أقام بالكفاية وافضى إلى سد الخلة وعليه في طلبه ثلاثة شروط * أحدها * استغنيته من الوجوه المباحة وتوقي المحظورة فان المواد المحرمة مستحبة الأصول محمودة المحصول أن صرفها في بر لم يؤجر وإن صرفها في مدح لم يشكر ثم هو لا يوزارها محتقب وعليها معاقب وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعجبك رجل كسب مالا من غير حله فان انفق لم يقبل منه وإن أمسكه فهو زناه إلى النار وقال بعض الحكماء شر المال ما لمك أثم مكسبه وعزمت اجر انفاقه ونظر بعض الخوارج إلى رجل من أصحاب السلطان

يتصدق على مسكين فقال انظر اليهم حسنتهم من سيئاتهم وقال علي بن الجهم
 * سر من عاش ماله فاذا حيا * سبه الله سره الاعداء *

﴿ والثاني ﴾ طلبه من احسن جهاته التي لا يلحقه فيها غض ولا يتدنس له بها
 عرض فان المال يراد لصيانة الاعراض لا لابتذالها ولعن النفوس لا لاذلالها
 وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يا حبذا المال اصون به عرضي وارضي
 به ربي وقال ابو بشر الضريز

* كفى حزنا اني اروح واغتدى * ومالي من مال اصون به عرضي *

* واكثر ما اتى الصديق برجبا * وذلك لا يكفي الصديق ولا يرضي *

وسئل ابن عائشة عن قول النبي صلى الله عليه وسلم اطلبوا الجوائب من حسان
 الوجوه فقال معناه من احسن الوجوه التي تحل ﴿ والثالث ﴾ ان يتأني في
 تقدير مادته وتدبير كفايته بما لا يلحقه خلل ولا يناله زلل فان يسير المال مع حسن
 التقدير واصابة التدبير اجدى نفعاً واحسن موقفاً من كثيره مع سوء التدبير
 وفساد التقدير كالبدن في الارض اذا روعي يسيره زكا ولن اهمل كثيره اضمحل
 وقال محمد بن علي رضي الله عنه الكمال في ثلاثة العفة في الدين والصبر على
 النوائب وحسن التدبير في المعيشة وقيل لبعض الحكماء فلان غني فقال لا اعرف
 ذلك ما لم اعرف تدبيره في ماله فاذا استكمل هذه الشروط فيما يستعده من قدر
 الكفاية فقد ادى حق المروءة في نفسه وسئل الاخنف بن قيس عن المروءة فقال
 العفة والحرفة وقال بعض الحكماء لا ينبغي ان تكون على احد كلافك تزداد
 ذلاً واضرب في الارض عوداً وبدءاً ولا تأسف لئال كان فذهب ولا تعجز عن
 الطلب لو صب ولا نصب فهذا حال اللازم وقد كان ذوقاً اللهم العلية والنفوس
 الالية يرمي من ما وصل الى الانسان كسبا افضل مما وصل اليه ارثاً لانه في الارث
 في جدمي غيره وبالكسب مجد الى غيره وفرق ما بينهما في الفضل ظاهر وقال
 كشاجم

* لا استلذ العيش لم ادأب له * طلباً وسعياً في الهواجر والغلس *

* واري حراماً ان يواتيني الغنى * حتى يحاول بالعناء ويلتس *

* فاصرف نوالك عن اخيك موفراً * فالليت ليس يسبغ الا ما افترس *

واما النذب فهو ما فضل عن الكفاية وزاد على قدر الحاجة فان الامر فيه معتبر بحال طالبه فان كان ممن تقاعد عن مراتب الرؤساء وتقاصر عن مطاولة النظراء وانقبض عن منافسة الاكفاء فحسبه ما كفاه فليس في الزيادة الا شره ولا في الفضول الا نفهم وكلاهما مذموم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه الدنيا كل على العاقل وقال عبد الله بن مسعود المستغنى عن الدنيا بالدنيا كطفي النار بالبن وقال بعض الحكماء اشتري ماء وجهك بالقناعة وتسئل عن الدنيا لتجافيهها عن الكرام فان كان ممن متى بعلموا الهيم وتحركت فيه اريحية الكرم وآثر ان يكون رأسا ومقدما وان يرى في النفوس معظما ومفخما قال الكفاية لا تقله حتى يكون ماله فاضلا ونائله فائضا فقد قيل لبعض العرب ما المروءة فيكم قال طعام ما كؤل ونائل مبذول وبشر مقبول وقد قال الاخنف بن قيس

- * فلو مد سروى بجال كثير لجدت وكنت له باذلا *
- * فان المروءة لا تستطعا * ع اذا لم يكن ماله فاضلا *
- واما صيانتها عن تحمل المن والاسترسال في الاستعانة فلائن المنة استرفاق الاحرار تحدث ذلة في الممتون عليه وسطوة في المان به والاسترسال في الاستعانة بتبذيل ومن ثقل على الناس هان ولا قدر عندهم لمهان وقال رجل لعمر رضى الله عنه خدمك بنوك فقال اغثنى الله عنهم وقال علي بن ابي طالب رضى الله عنه لابنه الحسن في وصيته له يا بني ان استطعت ان لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا فان البسير من الله تعالى اكرم واعظم من الكثير من غيره وان كان كل منه كثيرا وقال زياد لبعض الدهاقين ما المروءة فيكم قال اجتناب الريب فانه لا ينبل مرئيا واصلاح الرجل ماله فانه من مروءته وقيامه بحوائجه وحوائج اهله فانه لا ينبل من احتاج الى اهله ولا من احتاج اهله الى غيره وانشد ثعلب
- * من عف خف على الصديق لقساؤه * واخواله وانج وجهه ملمول *
- * واخوك من وفرت ما في كيسه * فاذا عبت به فانت ثقیل *

وان كان الناس لجة لا يستقنون عن التعاون ولا يستقلون عن الساعد والمظافر
فانما ذلك تعاون ائتلاف يتكافؤون فيه ولا يتفاضلون وربما كان المستعين فيه
مفضلا والمعين مستفصلا كاستعانة السلطان بجنده والمزارع باكرته فليس من هذا
بد ولا لاحد عنه غنى وانما الذي يتصون عنه الكرام تعاون التفضيل فيتقبضون
عن ان يستعينوا لئلا يكون عليهم يد ويسارعون ان يعينوا لان يكون لهم يد ومن
اقدم من غير اضطرار على الاستعانة بجاه او بال فقد اوهى مروءته واستبدل
صيانته ومن دماه الاضطرار لثائب الم او حادث هجم الى الاستعانة بمن ينفس
به من خناق كربه ويخلص به من وثاق نوابه فلا لوم على مضطر فان اغته
الاستعانة بالجاء عن الاستعانة بالمال فلا عذر له في التعرض للمال ويعدل الى
ولا الامور فان الحوائج عندهم انجح وهى عليهم اسهل وهم لذلك مندوبون
فهم لا يجدون لهم مسا وليصبرن على ابطائهم فان تراكم الامور عليهم يشغلهم
الا عن الملح الصبور ولذلك قيل قدم لحاجتك بعض لجاجتك وقال ابو سارة
سحيم بن الاعرف

* تعد قرابة وتعد صهرا * ويسعد بالقرابة من رعاها *
* وما زرنالك من عدم ولكن * يهش الى الامارة من رجاها *
* واياها فعلت فان نفسى * تعد صلاح نفسك من غناها *

فان تعذر عليه صلاح حاله الابل يستعين به على نوابه كان له مع الضرورة
فسيحة لكن ان وجده قرضا مردودا لم يأخذه صلة وجودا فان القرض مستسبح
به في المروءات هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما اعلى الله من قدره وفضله
على خلقه قد اقترض ثم قضى فاحسن وقال صلى الله عليه وسلم من اعياه رزق
الله تعالى حللا فليستدين على الله وعلى رسوله وقال صلى الله عليه وسلم المستدين
تاجر الله في ارضه وقال البخترى

* ان لم يكن كثر فعل عطية * يبلغ بها باغى الرضا بعض الرضا *
* او لم يكن هبة فقرض سيرت * اسبابه وكواهب من اقرضا *

ولئن كان الدين رقا فهو اسهل من رق الافصال وقد روى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال من اراد البقاء ولا بقاء فليأكل الغداء ويخفف الزداء قبل وما في خفة الرداء من البقاء قلل قلة الدين فان اعوزه ذلك الا استسماحا فهو للرق للمذل ولذلك قيل لا مروءة لمقل وقال بعض الحكماء من قيل صلتك فقد باعك مروءته واذا لقدرك عزه وجلالته والذي يماسك به الباقي من مروءة الراغبين واليسير النافه من صيانة السائلين وان لم يبق لدى رغبة مروءة ولا لبائل تصون اربعة امور هي جهد المضطر * احدها * ان يتجافى ضرع المسائلين وابهة المستقلين فيذل بالضرع ويحرم بالابهة وليكن من التجميل على ما يقتضيه حال مثله من ذوى الحاجات وقد قيل لبعض الحكماء متى يفحش زوال التعم قال اذا زال معها التجميل وانشد بعض اهل الادب لعلي بن الجهم

* هي النفس ما حملتها تتحمل * وللدهر ايام تجبور وتصل *
* وعاقبة الصبر الجميل جميلة * واحسن اخلاق الرجال التفضل *
* ولا عار ان زالت عن الحرمة * ولكن عارا ان يزول التجميل *

والثاني * ان يقتصر في السؤال على ما دعتة اليه الضرورة وقادته اليه الحاجة ولا يجعل ذلك ذريعة الى الاغتنام فيحرم باغتنامه ولا يعذر في ضرورته وقد قال بعض الحكماء من الف المسألة الف، للنعم * والثالث * ان يعذر في المنع ويشكر على الاجابة فانه ان منع فعما لا يملك وان اجيب فالى ما لا يستحق فقد قال النهر بن توب

* لا تفضين على امرئ في ماله * وعلى كرائم صلب مالك فاغضب *
* والرابع * ان يعتمد على سؤال من كان للمسألة اهلا و كان النجم عنده مأمولا فان ذوى الميكنة كثير والمعين منهم قليل ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم الخير كثير وقليل فاعله والرجو للاجابة من تكاملت فيه خصالها وهي ثلاث * احدها * كرم الطبع فان الكريم مساعد واللييم معاند وقد قيل المخدول من كانت له الى اللثام حاجة * والثانية * سلامة الصدر فان العدو الب على نكبتك وحرب في نأبتك وقد قيل من اوغرت صدره استدعت

شهره فان ريق لك بكرم طبعه ورحك بحسن ظفره فاعظم بها محنة ان يصير
عدوك لك راجا وقد قال الشاعر

* وحسبك من سادات بامري * ترى حامديه له راحيننا *

﴿والثالث﴾ ظهور المكنة فان من سأل ما لا يمكن فقد اخل و كان كمنتهض
السجون ومستسعف المديون وكان بالرد خليفا وبالحرمان حقيقا وقد يقال على
كرم الله وجهه من لا يعرف لا حتى يقال له لا فهو احق ووصى عبد الله بن
الاختم ابنه فقال يا بني لا تطلب الطوائج من غير اهلها ولا تطلبها في غير
حينها ولا تطلب ما است له مستحقا فلنك ان فعلت ذلك كنت حقيقا بالحرمان
وقال الشاعر

* ولا تسألن امرا حاجبة * يحاول من ربه مثلها *

* فيترك ما كنت حملته * ويبدأ بحاجته قبلها *

فهذا ما يختص بشروط المروءة في نفسه واما شروط المروءة في غيره فتلاثة
الموازرة والمياسرة والافضال اما ﴿الموازرة﴾ فتوكان احدهما الاسعاف
بالجاه والثاني الاسعاف في الثواب فاما الاسعاف بالجاه فقد يكون من الاعلى
قدرا والانفذ امرا وهو ارحص المكارم ثنا والظف الصنائع موقعا وربما كان
اعظم من المال نفعا وهو الظل الذي يلجأ اليه المضطرون والحمى الذي يأوى
اليه الخائفون فان اوطأه اتسع بكثرة الانتصار والشيوع وان قبضه انقطع بنفور
الغاشية والتبع فهو بالبذل نجي ويزيد بالكف ية نص ويبد فلا عذر لمن منح
جاها ان يخل به فيكون اسوأ حالا من البخل بماله الذي قد يعده لنوائجه
ويستبقه للذمة ويكرهه لذريته وبضد ذلك من يخل بمجاهه لانه قد اضاعه
بالشح وبدده بالبخل وحرم نفسه غنية مكتبه وفرصة قدرته فلم يعقبه الا غدا على
فائت واسفا على ضائع ومقا يستحكم في النفوس وذما قد ينتشر في الناس وقد
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الخلق كلهم عيال الله واخبر خلق الله
فعالى اليه احسنهم صنيعا الى عياله وقال بعض الحكماء اصمخ الخير عند امكانه
يبقى لك محبه عند زواله واحسن والدولة لك يحسن لك والدولة عليك واجعل
زمان رخائك عدة لزمان بلائك وقال بعض البلغاء من علامة الاقبال اصطناع

الرجال وقال بعض الادباء بذل الجاه احد الحبايين وقال ابن الاعرابي العرب تقول من امل شيئا هابه ومن جهل شيئا عابه وبذل الجاه قد يكون من كرم النفس وشكر النعمة وضده من ضده وليس بذل الجاه لالتماس الجزاء بذلا مشكورا وانما هو بائع جاهه ومعاوض على نعم الله تعالى وآلئه فكان بالذم احق وانشد بعض الادباء لعلي بن عباس الرومي رحمه الله

* لا يبذل العرف حين يبذله * كشتري الحمد او كعناضه *
* بل يفعل العرف حين يفعله * لجوهر العرف لا لاعراضه *

وعلى من اسعد بمجاهه ثلاثة حقوق يستكثر بها الشكر ويستمد بها المزيد من الاجر * احدها * ان يستسهل المعونة مسرورا ولا يستقلها كارها فيكون بنعم الله تعالى متبرما ولا حسانه متسخطا فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من عظمت نعمة الله تعالى عليه عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال * والثاني * مجانبية الاستطالة وترك الامتنان فانهما من لؤم الطبع وضيق الصدر وفيهما هدم الصنيع واجباط الشكر وقد قيل للحكيم اليوناني من اضيق الناس طريقا واقاربهم صديقا قال من عاشر الناس بعبوس وجهه واستطال عليهم بنفسه * والثالث * ان لا يقرن بمشكور سعيه قريبا بذنب ولا توبخا على هفوة فلا يفي مضض التوبخ بادراك النجح ويصير الشكر وجدا والحمد عيبا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اقبلوا ذوى الهيئات عثراتهم وقال النابغة الجعدي

* ألم تعلم ان اللامة نفعها * قليل اذا ما الشئ ولى قادبرا *
واما الاسعاف في التوائب فلان الايام غادرة والنوازل غائرة والحوادث عارضة والتوائب راکضة فلا يعذر فيها الا علم ولا يستنفذه منها الا سليم وقد قال عدي بن حاتم

* كفى زاجرا للمرء ايام دهره * تروح له بالواعظات وتفتدي *
فاذا وجد الكريم مصابا بحوادث دهره حثه الكرم وشكر النعم على الاسعاف فيها بما استطاع سبيلا اليه ووجد قدرة عليه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير من الخير معطيه وشر من الشر فاعله وقيل لبعض الحكماء هل شئ

خير من الذهب والفضة قال معطيها والاسعاف في النوائب نوعان واجب وتبرع
فاما الواجب فاخص بثلاثة اصناف وهم الاهل والاخوان والجيران اما
الاهل فلحماسة الرحم وتعاطف النسب وقد قيل لم يسد من احتاج اهله الى غيره
وقال حسان بن ثابت

* وان امرءا نال المنى ثم لم ينل * قريبا ولا ذا حاجة زهيد *
* وان امرءا عادى الرجال على الفنى * ولم يسأل الله الفنى لحسود *
واما الاخوان فلمستحكم الود ومتأكد العهد سئل الاحنف بن قيس عن
المروءة فقال صدق اللسان ومواساة الاخوان وذكر الله تعالى في كل مكان وقال
بعض حكماء الفرس صفة الصديق ان يبذل لك ماله عند الحاجة ونفسه عند
النكبة ويحفظك عند المغيب ورأى بعض الحكماء رجلين يصطحبان لا يفترقان
فسأل عنهما فقيل هما صديقان فقال ما بال احدهما فقير والآخر غني
واما الجار فلقدنود داره واتصال مزاره قال على كرم الله وجهه ليس حسن
الجوار كف الاذى بل الصبر على الاذى وقال بعض الحكماء من اجار جاره
اعار الله واجاره وقال بعض البلغاء من احسن الى جاره فقد دل على حسن تجاره
وقال بعض الشعراء

* وللجار حق فاحترز من اذائه * وما خير جار لا يزال مؤاذيا *
فيجب في حقوق المروءة وشروط الكرم في هؤلاء الثلاثة تحمل ائصالهم
واسعافهم في نوائبهم ولا فسحة لذى مروءة مع ظهور المكنة ان يكلمهم الى غيره
او يلجئهم الى سؤاله وليكن سائل كرم نفسه عنهم فانهم عيال كرمه واصياف
مروءته فكما انه لا يحسن ان يلجئ عياله واضيافه الى الطلب والرغبة فهكذا
من عاله كرمه واضافته مروءته وقال بعض الشعراء

* حق على السيد الرجو نائله * والمستجار به في العرب والعجم *
* ان لا ينيل الاقاصى صوب راحته * حتى يخص به الادنى من الخدم *
* ان الفرات اذا جاشت غواربه * روى السواحل ثم امتد في الامم *
واما التبرع فبين عدا هؤلاء الثلاثة من البعداء الذين لا يدلون بنسب ولا
يتعلقون بسبب فان تبرع بفضل الكرم وفائض المروءة قهض في حوادثهم وتكفل

بنوايهم فقد زاد على شروط المروءة وتجاوزها الى شروط الرئاسة وقبل لبعض الحكماء اى شئ من افعال الناس يشبه افعال الاله قال الاحسان الى الناس وان كف تشاغلا بما لزم فلا لوم ما لم يلجأ اليه مضطر لان القيام بالكل معوز والتكفل بالجميع متعذر فهذا حكم الموازنة • واما ❖ المياسرة ❖ فنوعان احدهما العفو عن الهفوات والثانى المسامحة فى الحقوق فاما العفو عن الهفوات فلانه لا مبرأ من سهو وزلل ولا سليم من نقص او خلل ومن رام سليما من هفوة والتمس بريئا من نبوة فقد تعدى على الدهر بشلطه وخادع نفسه بفلاطه وكان من وجود بغيته بعيدا وصار باقتراحه فردا وحيدا وقد قالت الحكماء لا صديق لمن اراد صديقا لا عيب فيه وقيل لانوشروا ن هل من احد لا عيب فيه قال من لا موت له واذا كان الدهر لا يوجد ما طلب ولا يذله ما احب وكان الوحيد فى الناس مرفوضا قصيا والمنقطع عنهم وحشيا لزمه مساعدة زمانه فى القضاء ومياسرة اخوانه فى الصفع والاغضاء روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى امرنى بمداواة الناس كما امرنى بآداء الفرائض وقال بعض الادباء ثلاث خصال لا تجتمع الا فى كريم حسن المحضر واحتمال الزلة وقلة الملل وقال ابن الرومى

* فعذر ك مبسوط لذنب مقدم * وودك مقبول باهل ومرحب *
 * ولو بلفتى عنك اذنى اقتنها * لدى مقام الكاشح المتكذب *
 * فليست بتقليم اللسان مصارما * خليلا اذا ما القلب لم يتقلب *
 واذا كان الاغضاء حتما والصفع كراما ترتب بحسب الهفوة وتنزل بقدر الذنب والهفوات نوعان صغائر وكبائر فالصغائر مغفورة والنفوس بها معذرة لان الناس مع اطوارهم المختلفة واخلاقهم المتفاضلة لا يسلمون منها فكان الوجد فيها مطرعا والعب مستقبها وقد قال بعض العلماء من هجر اخاه من غير ذنب كان كمن زرع زرا ثم حصده فى غير اوانه وقال ابو العتاهية
 * وشرا الاخلاء من لم يزل * يعاتب طورا وطورا يذم *
 * يريك النصيحة عند اللقا * ويبريك فى السر برى القلم *
 واما الكبائر فنوعان ان يهفو بها خاطيا ويذل بها ساهيا فالخرج فيها مرقوع

والعقب عنها موضوع لان هفوة الخاطر هدر ولومه هذر وقال بعض الحكماء
لا تقطع احاك الا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه وقال الاخنف بن قيس حق
الصدق ان تحمل له ثلاثا ظلم الغضب وظلم الدالة وظلم الهفوة وحكى ابن عون
ان غلاما هاشميا عريد على قوم فاراد عمه ان يسي به فقال يا عم اني قد اسأت
وليس معي عقل فلاتسي بي ومعك عقلك وقال ابو نواس

* لم او اخذك اذ جنيت لاني * واثق منك بالاخاء الصحيح *
* فجميل العدو غير جميل * وقبيح الصديق غير قبيح *

فان تشبه خطاؤه بالعمد وسهوه بالقصد تثبت ولم يلم بالتوهم فيكون ملوما ولذلك
قيل ثبت نصف العفو وقال بعض الحكماء لا يفسدك الظن على صديق اصلحك
اليقين له وقال بعض شعراء هذيل

* فبعض الامر تصلحه ببعض * فان الغث يحمله السمين *
* ولا تجعل بظنك قبل خبر * فعند الخبر تقطع الظنون *
* ترى بين الرجال العيين فضلا * وفيما اضمروا الفضل المبين *
* كلون الماء مشبهها وليست * تخبر عن مذاقه العيون *

والثاني ان يعتمد ما اجترم من كبائره ويقصد ما اجترح من سيئاته ولا يخلو فيما
اتاه من اربع احوال * فالحال الاولى * ان يكون مونا قد قابل على وتره
وكانا على مسافة فاللائمة على من وتره عائدة والى البائى بها راجعة لان
المكافئ اعذر وان كان الصفع اجل ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم
والمشارة فانها تبت الغيرة وتحبى الغرة وقال بعض الحكماء من فعل ما شاء لقي ما لم
يشأ وقال بعض الادباء من ناله اساءتك همة مساءتك وقال بعض البلغاء من
اولع بقبح المعاملة اوجع بهج المقابلة وقال صالح بن عبد القدوس

* اذا وترت امرا فاحذر عداوته * من يزرع الشوك لا يحصد به عنباً *
* ان العدو وان ابدى مسالمة * اذا رأى منك يوماً فرصة وثياً *
والاغضاء عن هذا اوجب وان لم تكن المكافأة ذنباً لانه قد رأى عقي اساءته
فان واصل الشر واصلته المكافأة وقد قيل باعترالك الشر يعترلك ومحسن

النصفة تكون المواصلون وقال بعض الحكماء من كنت سببا لبلائه وجب عليك التلطف له في علاجه من دأه وقد قال اوس بن حجر
 * اذا كنت لم تعرض عن الجهل والحنأ * اصبت حليما او اصابك جاهل *
 والحال الثانية ان يكون عدوا قد استحكمت شحناؤه واستوعرت شراؤه واستخشت ضراؤه فهو يترص بدوائر السوء انتهاز فرصه ويتجرع بمهانة العجز حرارة غصصه فاذا ظفر بنائبة ساعدها واذا شاهد نعمة عاندها قابعد منه حذرا اسلم والكف عنه متاركة اغرم فانه لا يسلم من عواقب شره ولا يفلت من غوائل مكره وقد قالت الحكماء لا تعرض لعدوك في دولته فاذا زالت كفت شره وقال لقمان لابنه يا بني كذب من قال ان الشر بالشر يطفأ فان كان صادقا فليوقد نارين ولينظر هل تطفى احدهما الاخرى وانما يطفى الخير الشر كما يطفى الماء النار وقال جعفر بن محمد كفاك من الله نصرا ان ترى عدوك بعضى الله فيك وقال بعض الحكماء بالسيرة العادلة يقهر المعادى وقال البحرى

* واقسم لا اجزيك بالشر مثله * كفى بالذى جازيتنى لك جازيا *
 * والحال الثالثة * ان يكون لثيم الطبع خيث الاصل قد اغراه لؤم الطبع على سوء الاعتقاد وبغشته خيبة الاصل على اتيان الفساد فهو لا يستقبح الشر ولا يكف عن المكروه فهذه الحالة اطم لان الاضرار بها اعم ولا سلامة من مثله الا بالبعد والانقباض ولا خلاص منه الا بالصفح والاعراض فانه كالسبع الضارى فى سوارح الغنم وكالنار المتأججة فى يابس الخطب لا يقربها الا تالف ولا يدنو منها الا هالك روى مكحول عن ابي امامة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الناس كشجرة ذات جنى ويوشك ان يعودوا كشجرة ذاك شوك ان ناقدتهم ناقدوك وان هربت منهم طلبوك وان تركتهم لم يتركوك قيسل يا رسول الله وكيف المخرج قال أقرضهم من عرضك ليوم فافتك وقال عبد الله بن العباس الطلق الكريم صديق كل احد الا من ضره والجاهل اللثيم عدو كل احد الا من نفعه وقال شر ما فى الكريم ان يمنع خيره وخير ما فى اللثيم ان يكف عنك شره وقال بعض البلغاء اعداؤك داؤك وفى البعد عنهم شفاؤك وقال بعض البلغاء

شرف الكريم تغافلته عن اللئيم ووصى بعض الحكماء ابنه فقال يا بني اذا سلم الناس منك فلا عليك ان لا تسلم منه فانه قل ما اجتمعت هاتان الثغمتان وقال عبد المسيح بن نفيلة

* الخير والشر مقرونان في قرن * فالخير مستتبع والشر محذور *
* والحال الرابعة * ان يكون صديقا قد استحدث نبوة وتغيرا او اخا قد استجد جفوة وتكرا فابدى صفحة عقوقه واطرح لازم حقوقه وعذل عن بر الاخاء الى جفوة الاعداء فهذا قد يعرض في المودات المستقيمة كما تعرض الامراض في الاجسام السليمة فان عولجت اقلعت وان اهملت اسقت ثم اتلفت ولذلك قالت الحكماء دواء المودة كثرة التعاهد وقال كشاجم

* اقل ذا الود عثرته وقفه * على سنن الطريق المستقيمة *
* وتسرع بمقتبة اليه * فقد يهفو وينتهه سليمة *
ومن الناس من يرى ان متاركة الاخوان اذا نفروا اصبح واطراحهم اذا فسدوا اولى كاعضاء الجسد اذا فسدت كان قطعها اسلم فان شخ بها سرت الى نفسه وكالثوب اذا خلق كان اطراحه بالجديده اجل وقد قال بعض الحكماء رغبتك فمين يزهد فيك ذل نفس وزهدك فمين يرغب فيك صغرهمة وقد قال بزرجهر من تغير عليك في مودته فدعه حيث كان قبل معرفته وقال نصر بن احمد الخبر ارزى

* صل من ذنى وتناس من بعدا * لا تكرهن على الهوى احدا *
* قد اكثرت حواء اذ ولدت * فاذا جفا ولد فخذ ولدا *
فهذا مذهب من قل وفاؤه وضعف اخاؤه وساءت طرائقه وضافت خلائقه ولم يكن فيه فضل الاحتمال ولا صبر على الادلال فقابل على الجفوة وعاقب على الهفوة واطرح سالف الحقوق وقابل العقوق بالعقوق فلا بالفضل اخذ ولا الى العفو اخلد وقد علم ان نفسه قد تطغى عليه فتزديه وان جسمه قد يسقم عليه فيؤله ويؤذيه وهما اخص به واحنى عليه من صديق قد تميز بذاته وانفصل بادواته فيريد من غيره لنفسه ما لا يجده من نفسه لنفسه هذا عين المحال ومحض الجهل مع ان من لم يحتمل بقى فردا وانقلب الصديق فصار عدوا وعداوة من

كان صديقا اعظم من عداوة من لم يزل عدوا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اوصيائي ربي بسبع الاخلاص في السر والعلانية وان اغضو عن ظلمي واعطى من حرمني واصل من قطعني وان يكون حتى فكرا ونطقي ذكرا ونظري عبرة وقال لقمان لابنه يا بني لا تترك صديق الاول فلا يطعن اليك الثاني يا بني اتخذ الف صديق والالف قليل ولا تتخذ عدوا واحدا والواحد كثير وقيل للمهلب بن ابي صفرة ما تقول في العفو والعقوبة قال هما بمنزلة الجود والبخل فتمسك باليهما شئت وانشد ثعلب

* اذا انت لم تستقبل الامر لم تجد * بكفك في ادياره متعلقا *
* اذا انت لم تترك اخاك وزلة * اذا زلها اوشكتما ان تفرقا *
فاذا كان الامر على ما وصفت من حقوق الصفيح الكشاف عن سبب الهفوة ليعرف الداء فيعالجه فان لم يعرف الداء لم يقف على الدواء كما قد قال المتنبي

* فان الجرح ينفر بعد حين * اذا كان البناء على فساد *
واذا كان ذلك كذلك فلا يخلو حال السبب من ان يكون للزل او زلل فان كان للزل فودات الملول ظل الغمام وحلم النيام وقد قيل في مشور الحكم لا تأمن للملوك وان تحلى بالصلة وعلاجه ان يترك على مله فيمل الجفاء كما مل الاخاء وان كان لزل لوحظت اسبابه فان كان لها مدخل في التأويل وشبهة تؤول الى جيل حله على اجل تأويله وصرفه الى احسن جهة كالذي حكى عن خالد بن صفوان انه مر به صديقان له فعرج عليه احدهما وطواه الاخر فقيل له في ذلك فقال نعم عرج علينا هذا بفضلنا وطوانا ذاك بثقتنا بنا وانشد بعض اهل الادب لمحمد ابن داود الاصفهاني

* وتزعم للواشين اني فاسد * عليك واني لست فيما عهدتني *
* وما فسدت لي بعلم الله نية * عليك ولكن خنتني فانهمتني *
* غدرت بعهدي عامدا واخفنتني * فخفت ولو آمنتني لاأمنتني *
وان لم يكن لزاله في التأويل مدخل نظر حاله بعد زلاله فان ظهر ندمه وبان خجله فالتدم توبة والخجل اناة ولا ذنب لتائب ولا لوم على متيب ولا يكلف عذرا عما سلف فليجأ الى ذل التحريف او خجل التعنيف ولذلك قال النبي صلى

الله عليه وسلم اياكم والمعاذر فان اكثرها مفاجر وقال علي رضي الله عنه
كفى بما يعتذر منه قبيحة وقال مسلم بن قتيبة لرجل اعتذر اليه لا يدعوتك امر
قد تجلست منه الى الدخول في امر لعلك لا تخلص منه وقال بعض الحكماء
شفيع المذنب اقراره وتوبته اعتذاره وقال بعض البلغاء من لم يقبل التوبة
عظمت خطيئته ومن لم يحسن الى التائب قبحت اساءته وقال بعض الحكماء
الكرام اوسع المغفرة اذا ضاقت بالمذنب المعةذرة وقال بعض الشعراء

* العذر يلحمه التحريف والكذب * وليس في غير ما يرضيك لي ارب *
* وقد اسأت فبالنعمي التي سلفت * الا مننت بعفو ما له سبب *
وان عجل العذر قبل توبته وقدم التنصل قبل اتابته فالعذر توبة والتنصل
اتابة فلا يكشف عن باطن غدره ولا يعنف بظاهر غدره فيكون لئيم الظفر سيئ
المكافأة وقد قيل من غلبته الحدة فلا تغتر بمودته وقال بعض الحكماء شافع
المذنب خضوعه الى عذره وقال بعض الشعراء

* اقبل معاذير من يأتيك معتذرا * ان بر عندك فيما قال او فخر *
* فقد الماعك من يرضيك ظاهره * وقد اجلك من يعصيك مستترا *
وان ترك نفسه في زلل ولم يتدارك بعذره وتنصله ولا يحاه توبته واتابه راعيت
حاله في الماركة فستجده لا ينفك فيها من امور ثلاثة * احدها * ان يكون قد
كف عن سيئ عمله واقلع عن سالف زلله فالكف احدي التوبتين والاقلاع
احد العذرين فكن انت المعتذر عنه بصفحك والتنصل له بفضلك فقد قال عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه المحسن على السيئ امير * والثاني * ان يكون
قد وقف على ما اسلف من زلله غير تارك ولا متجاوز فوقوف المرض احدي
البرئين وكفه عن الزيادة احدي الحسنين وقد استيق بالوقوف عن التجاوز
احد شطريه فعول به على صلاح شطره الآخر وائاك وارجاه فان الارزاء
يفسد شطر صلاحه والتلاقي يصلح شطر فساده فان من سقم من جسمه ما لم
يعالجه سرى السقم الى صحته وان عالج سرت الصحة الى سقمه * والثالث *
ان يتجاوز مع الاوقات فيريد فيه على مرور الايام فهذا هو الداء العضال
فان امكن استدراكه وتأتى استصلاحه وذلك باستزاله عنه ان علا وبارغاه

ان دنا وبعثابه ان ساوى والا فآخر الداء العياء الكى ومن بلغت به الاعذار الى غايتها فلا لائمة عليه والقيم على شقاقه باغ مصروع وقد قيل من سل سيف البغى اغمد في رأسه فهذا شرط • واما المسامحة في الحقوق فلائن الاستيفاء موحش والاستقصاء منفر ومن اراد كل حقه من النفوس المستصعبة بشح او طمع لم يصل اليه الا بالنافرة والمشاقة ولم يقدر عليه الا بالمخاشنة والمشاقة لما استقر في الطباع من مقت من شاقها ونافرها وبغض من شاحها ونازعها كما استقر حب من ياسرها وسامحها فكان أليق لامور المروءة استلطاف النفوس بالمياسرة والمسامحة وتألفها بالمقاربة والمساهلة قال بعض الحكماء من عاشر اخوانه بالمسامحة دامت له موداتهم وقال بعض الادباء اذا اخذت عفو القلوب زكا ريعك وان استقصيت اكدبت والمسامحة نوعان في عقود وحقوق فاما العقود فهو ان يكون فيها سهل المناجزة قليل المحاجزة مأمون الغيبة بعيدا من المكر والخديعة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أجعلوا في طلب الدنيا فان كلا ميسر لما كتب له منها وقال صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على شئ يحببه الله تعالى ورسوله قالوا بلى يا رسول الله قال التغابن للضعيف وحكى ابن عون ان عمر بن عبيد الله اشترى للحسن البصرى ازارا بستة دراهم ونصف فاعطى التاجر سبعة دراهم فقال ثمنه ستة دراهم ونصف فقال انى اشتريته لرجل لا يقاسم اخاه درهمما • ومن الناس من يرى ان المساهلة في العقود عجز وان الاستقصاء فيها حزم حتى انه لينافس في الحقير وان جاد بالجليل الكثير كالذى حكى عن عبد الله بن جعفر وقد ماكس في درهم وهو يجود بما يجوده به فليل له في ذلك فقال ذلك مالى اجوده به وهذا عقلى بخلت به وهذا انما ينسأغ من اهل المروءة في دفع ما يخادعهم به الانبياء ويغابنهم به الاشياء وهكذا كانت حال عبد الله بن جعفر فاما غماسكة الاستئزال والاستسماح فكلا لانه مناف للكرم ومباين للمروءة • واما الحقوق فتتنوع المسامحة فيها نوعين احدهما في الاحوال والثانى في الاموال فاما المسامحة في الاحوال فهو اطراح المنازعة في الرتب وترك المناقسة في التقديم فان مشاحة النفوس فيها اعظم والعناد عليها اكثر فان سامح فيها ولم ينافس كان مع

أخذه بأفضل الأخلاق واستعمله لأحسن الآداب أوقع في النفوس من أفضاله
 برغائب الأموال ثم هو أزيد في رتبته وأبلغ في تقدمه وإن شاح فيها ونازع
 كان مع ارتكابه لأحسن الأخلاق واستعمله لاهجن الآداب أنكى في النفوس
 من حد السيف وطعن السنان ثم هو أخفض للترتبة وأمنع من التقدم ♦ حكي
 أن فتى من بني هاشم تخطى رقاب الناس عند ابن أبي داود فقال يا بني إن
 الآداب ميراث الأشراف ولست أرى عندك من سلفك أرثا ♦ وأما المسامحة
 في الأموال فتتوزع ثلاثة أنواع مسامحة إسقاط لعدم ومسامحة تخفيف لعجز
 ومسامحة إنكار لفسرة وهي مع اختلاف أسبابها تفضل مأثور وتألف مشكور
 وإذا كان الكريم قد يجود بما تحويه يده ويفض فيه تصرفه كان أولى أن
 يجود بما خرج عن يده فطاب نفسا بفراقه وقد تصل المسامحة في الحقوق
 إلى من لا يقبل البر ويأبى الصلة فيكون أحسن موقعا وأزكى محلا وربما كانت
 المسامحة فيها آمن من رد السائل ومنع المجتدي لأن السائل كما اجتزأ على سؤالك
 فسيجترأ على سؤال غيرك إن رددته وليس كل من صار أسير حقك ورهين
 دينك يجحد بدا من مسامحتك ومياسرتك ثم لك مع ذلك حسن الثناء وجزيل الأجر
 وقال محمود الوراق رحمه الله

* المرء بعد الموت أحدىثة * يفنى وتبقى منه آثاره *
 * فأحسن الحالات حال امرئ * تطيب بعد الموت أخباره *
 فهذه حال المياسرة وأما * الأفضال * فنوعان أفضال اصطناع وأفضال
 استكفاف ودفاع فاما أفضال الاصطناع فنوعان أحدهما ما أسداه جودا في
 شكور والثاني ما تألف به نبوة نفور و كلاهما من شروط المروءة لما فيها
 من ظهور الاصطناع وتكاثر الأشياء والاتباع ومن قلت صنائعه في الشاكرين
 وأعرض عن تألف النافرين كان فردا مهجورا وتابعا محمورا ولا مروءة لمزوك
 مطرح ولا قدر لمحقور مهتضم وقال عمر بن عبد العزيز ما طاولني الناس على
 شيء أردته من الحق حتى بسطت لهم طرفا من الدنيا وقال بعض الحكماء أقل
 ما يجب للمنعم بحق نعمته أن لا يتوصل بها إلى معصيته وأنشدت لبعض الأعراب
 * من جمع المال ولم يجده به * وترك المال لعام جده *

* هان على الناس هوان كابه *

* وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي *

* يبقى الثناء وتذهب الاموال * ولـكـل دهر دولة ورجل
 * ما نال محمدا الزجال وشكرهم * الا الجواد بماله الفضال
 * لا ترض من رجل حلاوة قوله * حتى يصدق ما يقول فعال
 فان ضاقت به الحال عني الاصطناع بماله فقد عدم من آله المكارم عمادها وفقد
 من شروط المروءة سنادها فلبواس بنفسه مواساة المساعف ولبسها اسعاد
 المؤلف قال المتنبي

* فليسعد النطق ان لم تسعد الحال *

وان كان لا يراها وان اجهدا الاتباع للمفضلين قليلة بين الكثيرين فان
 الناس لا يساوون بين المعطى والمانع ولا يقنعهم القول دون الفعل ولا يرضيهم
 الكلام عن المال ويرونه كالصدي ان رد صوتا لم يجد نفعا كما قال
 الشاعر

* يـجـود بالوعد وـلـكـنه * يـدـهن من قارورة فارغه *

فكل ما خرج عندهم عن المال كان فارغا وكل ما عدا الافضال به كان هينا
 وقد قدمنا من القول في شروط الافضال ما اقع * واما افضال الاستكفاف
 فلان ذا الفضل لا يعدم حاسد نعمة ومعاند فضيلة يعتريه الجهل باظهار عناده
 ويبغضه اللؤم على البذى بسفهه فان غفل عن استكفاف السفهاء واعرض عن
 استدفاع اهل البذاء صار عرضه هدفا للمثالب وحالة عرضة للنوائب واذا
 استكف السفهاء واستدفع البذى صان عرضه وحى نعمته وقد روى عن النبي
 صلى الله عليه وسلم انه قال ما وقي به المرء عرضه فهو صدقة وقالت عائشة
 رضى الله عنها ذبوا باموالكم عن احسابكم وامدح رجل الزهري فاعطاه
 قميصه فقال له رجل اتعطي على كلام الشيطان فقال من ابغى الخير اتقى
 الشر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم من اراد بر الوالدين فليعط الشعراء
 وهذا صحيح لان الشعر ساتر يستتر به ما ضمن من مدح او هجاء ومن اجل ذلك
 قيل لا تواخ شاعرا فانه يمدحك بثن ويهجو بك بمجانا * ولاستكفاف

السفهاء

السفهاء بالافضال شرطان احدهما ان يخفيه حتى لا يتشعر فيه مطامع
السفهاء فيتوصلون الى اجتذابه بسبه والى ماله بثلبه والثاني ان يتطلب له في
المجاملة وجهها ويخفيه في الافضال عليه سببا لانه لا يرى انه على السفه واستدامة
البذاء • واعلم انك ما حيت ملحوظ المحاسن محفوظ المساوى ثم من بعد ذلك
حديث منتشر لا يراقبك صديق ولا يحامي عنك شقيق فكن احسن حديث
ينشر يكن سعيك في الناس مشكورا واجرك عند الله مذكورا فقد روى زياد
ابن الجراح عن عمر بن ميمون انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتني خمسا
قبل خمس شبائك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل
شغلك وحياتك قبل موتك فهذا ما اقتضاه هذا الفصل من شروط المروءة
وان كان كل كتابنا هذا من شروطها وما اتصل بمحقوقها والله سبحانه وتعالى
اعلم ﴿ الفصل الثامن في آداب مشورة ﴾ اعلم ان الآداب مع اختلافها بتقل
الاحوال وتغير العادات لا يمكن استيعابها ولا يقدر على حصرها وانما يذكر كل
انسان ما يلغى الوسع من آداب زمانه واستحسن بالعرف من عادات دهره ولو
امكن ذلك لكان الاول قد اغنى الثاني عنها والتقدم قد كفى المتأخر تكلفها
وانما حظ الاخير ان يتعاني حفظ الشارد وجمع المفرق ثم يعرض ما تقدم على
حكم زمانه وعادات وقته فيثبت ما كان موافقا وينفي ما كان مخالفا ثم يستبد خاطره
في استنباط زيادة واستخراج فائدة فان اسعف بشئ فاز بدره وحظي بفضيلته
ثم يعبر عن ذلك كله بما كان مألوقا من كلام الوقت وعرف اهله فان لاهل كل
وقت في الكلام عادة تؤلف وعبارة تعرف ليكون اوقع في النفوس واسبق الى
الافهام ثم يرتب ذلك على لوازمه ومقدماته ويثبت على اصوله وقواعده حسبا
يقتضيه الجنس فان لكل نوع من العلوم طريقة هي اوضح مسلكا واسهل
مأخذا • فهذه خمسة شروط هي حظ الاخير فيما يعاينه وكذلك القول في كل
تصنيف مستحدث ولولا ذلك لكان تعاطي ما تقدم به الاول غناء ضائعا وتكلفا
مستهجنا ونرجو الله ان يمدنا بالتوفيق لتأدية هذه الشروط وتهضمت المعونة
بتوفيق هذه الحقوق حتى نسلم من ذم التكلف ونبرأ من عيوب التقصير وان
كان اليسير مغفورا والخطائي معذورا فقد قيل من صنف كتابا فقد استهدف

فان احسن فقد استعطف وان اساء فقد استغذف وقد مضت ابواب تضمنت
فصولا رأيت اتباعها بمالم احب الاخلال به فمن ذلك حال الانسبان في مأكله
ومشربه فان الداعى الى ذلك شيان حاجة ماسة وشهوة باعثة فاما الحاجة فتدعو
الى ماسد الجوع وسكن الظم وهذا مندوب اليه عقلا وشرعا لما فيه من حفظ
النفس وحراسة الجسد ولذلك ورد الشرع بالتهى عن الوصال بين صوم
اليومين لانه يضعف الجسد ويميت النفس ويعجز عن العبادة وكل ذلك
يمنع منه الشرع ويدفع عنه العقل وليس لمن منع نفسه قدر الحاجة حظ من بر
ولا نصيب من زهد لان ما حرهما من فعل الطاعات بالجز والضعف اكثر
ثوابا واعظم اجرا اذ ليس في ترك المباح ثواب يقابل فعل الطاعات واثان القرب
ومن اخسر نفسه رجحا موفورا او احرمها اجرا مذخورا كان زهده في
الخير اقوى من رغبته ولم يبق عليه من هذا التكليف الا الشهوة بريئة وسميته
واما الشهوة فتتبع نوعين شهوة في الاكثار والزيادة وشهوة في تناول
الالوان الملمدة فاما النوع الاول وهو شهوة الزيادة على قدر الحاجة والاكثار على
مقدار الكفاية فهو ممنوع منه في العقل والشرع لان تناول ما زاد على
الكفاية نهم معرف وشهره مضروقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اقال
اياكم والبطنة فانها مقسدة للدين مورثة للسقم مكسلة عن العبادة وقال على رضى
الله عنه ان كنت بطنا فعد نفسك زنا وقال بعض البلغاء اقلل طعاما تحمد مناما
وقال بعض الادباء الرعب لؤم والنهم شؤم وقال بعض الحكماء اكبر الدواء تقدير
الغذاء وقال بعض الشعراء

* فكم من لقمة منعت اخاها * بلذة ساعة اكالات دهر *
* وكم من طالسب يسعى لامر * وفيه هلاك لو كان يدرى *

﴿ وقال آخر ﴾

* كم دخلت اكلة حشا شره * فاخرجت روحه من الجسد *
* لا بارك الله في الطعام اذا * كان هلاك النفوس في المعد *

ورب اكلة هاضت آكل واحرمته مأكلا روى ابو يزيد المدني عن عبد الرحمن
ابن الرقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يخلق وعاء ملي

شرا من بطن فان كان لا بد فاعلا فاجعلوا ثلثا للطعام وثلثا للشراب وثلثا للريح • واما النوع الثاني وهو شهوة الاشياء المذة ومنازعة النفوس الى طلب الانواع الشهية فغداه الناس في تـكـين النفس فيها مختلفة فـنـهـم من يرى ان صرف النفس عنها اولى وقهرها عن اتباع شهواتها اخرى لئلا له قيادها ويهون عليه عنادها لان تمكنها وما تهوى بطر يطغى واشهر يردى لان شهواتها غير متناهية فاذا اعطاها المراد من شهوات وقتها تعدتها الى شهوات قد استحدثتها فيصير الانسان اسير شهوات لا تنقضي وعبد هوى لا ينتهى ومن كان بهذه الحال لم يرج له صلاح ولم يوجد فيه فضل وانشدت لابي القح البستي

* يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته * لتطلب الريح مما فيه خسران *
 * اقبل على النفس واستكمل فضائلها * فانت بالنفس لا بالجسم انسان *
 وللحذر من هذه الحال ما حكى ان ابا حزم رحمه الله كان يمر على الفاسكة فيشتهيها فيقول موعذك الجنة وقال آخر تمكن النفس من لذاتها اولى واعطاؤها ما اشتهدت من المباحات اخرى لما فيه من ارتياح النفس بنيل شهواتها ونشاطها بادراك لذاتها فتخسر عنها ذلة المقهور وبلادة المجبور ولا تقصر عن درك ولا تعصى في نهضة ولا تكل عن استعانة وقال آخرون بل توسط الامرين اولى لان في اعطائها كل شهواتها بلادة والنفس البليدة عاجزة وفي منعها عن البعض كف لها عن السلاطة وفي تمكنها من البعض حسم لها عن البلادة وهذا لعمرى اشبه المذاهب بالسلام لان التوسط في الامور اجد واذا قد مضى الكلام في المأكل والمشروب فينبغي ان يتبع بذكر الملبوس • اعلم ان الحاجة وان كانت في المأكل والمشروب ادعى فهي الى الملبوس ماسة وبها اليه فاقة لما في الملبوس من حفظ الجسد ودفع الاذى وستر العورة وحصول الزينة قال الله تعالى يا بني ادم قد انزلنا عليك لباسا يوارى سواككم وريشا ولباس التقوى ذلك خير فمضى قوله انزلنا عليكم لباسا اى خلة لنا لكم ما تلبسون من الثياب يوارى سواككم اى يستر عوراتكم وسميت العورة سوءا لانه يسوء صاحبها انكشافها من جسده وقوله وريشا فيه اربعة تأويلات احدها انه المال وهو

قول مجاهد والثاني انه اللباس والعيش والنعم وهو قول ابن عباس رضي الله
عنهما والثالث انه المعاش وهو قول معبد الجهني والرابع انه الجمال وهو قول
عبد الرحمن بن زيد * وقوله ولباس التقوى فيه ستة تأويلات احدها ان لباس
التقوى هو الايمان وهو قول قتادة والسدي والثاني انه العمل الصالح وهو قول
ابن عباس رضي الله عنهما والثالث انه السميت الحسن وهو قول عثمان بن عفان
رضي الله عنه والرابع هو خشية الله تعالى وهو قول عروة بن الزبير والخامس
انه الحياء وهذا قول معبد الجهني والسادس هو ستر العورة وهذا قول عبد
الرحمن بن زيد * وقوله ذلك خير فيه تأويلان احدهما ان ذلك راجع الى
جميع ما تقدم من قوله قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس
التقوى ثم قال ذلك خير اي ذلك الذي ذكرته خير كله والثاني ان ذلك راجع الى
لباس التقوى ومعنى الكلام وان لباس التقوى خير من الرياش واللباس وهذا
قول قتادة والسدي فلما وصف الله تعالى حال اللباس واخرجه مخرج الامتنان
علم انه معونة منه لشدة الحاجة اليه - واذا كان كذلك ففي اللباس ثلاثة اشياء
احدها دفع الاذى والثاني ستر العورة والثالث الجمال والزينة فاما دفع الاذى
به فواجب بالعقل لان العقل يوجب دفع المضار واجتلاب المنافع - وقد قال الله
تعالى والله جعل لَكُمْ مما خلق ظلالا وجعل لَكُمْ من الجبال اكنانا وجعل
لَكُمْ سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم بأسكم فاخبر بحالها ولم يأمر بها اكتفاء
بما يقتضيه العقل واستغناء بما يفت عليه الطبع ويعنى بالظلال الشجر وبالاكتنا
جمع كن وهو الموضع الذي يستكن فيه ويعنى بقوله سراويل تقيكم الحر ثياب
القطن والكتان والصوف - وبقوله وسراويل تقيكم بأسكم الدروع التي تقي البأس
وهو الحرب فان قيل كيف قل تقيهم الحر ولم يذكر البرد وقال جعل لَكُمْ من الجبال
اكنانا ولم يذكر السهل فمن ذلك جوابان * احدهما * ان القوم كانوا اصحاب
جبال وخيام فذكر لهم الجبال وكانوا اصحاب جردون برد فذكر لهم نعمته عليهم
فيما هو مختص بهم وهذا قول عطاء * والجواب الثاني * انه اكتفاء بذكر
احدهما عن ذكر الآخر ان كان معلوما ان السراويل التي تقي الحر ايضا تقي
البرد ومن اتخذ من الجبال اكنانا اتخذ من السهل وهذا قول الجمهور واما ستر

العورة فقد اختلف الناس فيه هل وجب بالعقل او بالشرع فقالت طائفة وجب سترها بالعقل لما في ظهورها من التبع وما كان قبها فالعقل مانع منه ألا ترى ان آدم وحواء لما أكلتا من الشجرة التي نهيا عنها بدت لهما سواتهما وطافا مخضفاً عليهما من ورق الجنة تذبها لعقولهما في ستر ما رأياه مستجباً من سواتهما لأنهما لم يكونا قد كلفا ستر ما لم يبد لهما ولا كلفاه بعد ان بدت لهما وقبل سترها وقالت طائفة أخرى بل ستر العورة واجب بالشرع لانه بعض الجسد الذي لا يوجب العقل ستر باقيه وانما اختلفت المعورة بحكم شرعي فوجب ان يكون ما يلزم من سترها حكماً شرعياً وقد كانت قريش وأكثر العرب مع ما كانوا عليه من وفور العقل وصحة الالباب يطوفون بالبيت عراة ويحرمون على نفوسهم اللحم والودك ويرون ذلك ابغ في القرية وانما القرب ما استحسنت في العقل حتى انزل الله تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين يعني بقوله خذوا زينتكم الثياب التي تستر عوراتكم وكلوا واشربوا ما حرمتموه على انفسكم من اللحم والودك وفي قوله تعالى ولا تسرفوا تأويلان احدهما لا تسرفوا في التحريم وهذا قول السدي والثاني لا تأكلوا حراماً فانه اسراف وهذا قول ابن زيد فاوجب بهذه الآية ستر العورة بعد ان لم يكن العقل موجبا له فدل ذلك على ان سترها وجب بالشرع دون العقل واما الجمال والزينة فهو مستحسن بالعرف والعادة من غير ان يوجب عقل او شرع وفي هذا النوع قد يقع التجاوز والتقصير والتوسط المطلوب فيه معتبر من وجهين احدهما في صفة الملبوس وكيفية والثاني في جنسه وقيمه فاما صفة فمعتبرة بالعرف من وجهين احدهما عرف البلاد فان لاهل المشرق زيا مألوفاً ولاهل المغرب زيا مألوفاً وكذلك لما بينهما من البلاد المختلفة عادات في اللباس مختلفة والثاني عرف الاجناس فان للاجناس زيا مألوفاً وللتجار زيا مألوفاً وكذلك لمن سواهما من الاجناس المختلفة عادات في اللباس وانما اختلفت عادات الناس في اللباس من هذين الوجهين ليكون اختلافهم سمة يتميزون بها وعلامة لا يخفون معها فان عدل احد عن عرف بلده وجنسه كان ذلك منه خرقاً وجحماً ولذلك قيل العري القادح خير من الزي الفاضح واما جنس الملبوس وقيمه فمعتبر من وجهين

أحدهما بالمكنة من اليسار والاعسار فإن للموسر في الزى قدرا وللمعسر دونه
والثاني بالمنزلة والحال فإن لدى المنزلة الرفيعة في الزى قدرا وللمخفوض عنه
دونه ليتفاضل فيه على حسب تفاضل أحوالهم فيصيروا به متميزين فإن عدل
الموسر إلى زى المعسر كان شحا وبخلا وإن عدل الرفيع إلى زى الدني كان
مهانة وذلا وإن عدل المعسر إلى زى الموسر كان تبذيرا وسرفا وإن عدل الدني
إلى زى الرفيع كان جهلا وتخلفا ولزوم العرف المعهود واعتبار الحد
المقصود أدل على العمل وامنغ من الذم ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله
عنه أياكم لبستين لبسة مشهورة ولبسة مخفورة وقال بعض الحكماء لبس من الثياب
ما لا يزدريك فيه العظماء ولا يعيبوه عليك الحكماء وقال بعض الشعراء

* أن العيون رمتك إذ فاجأتها * وعليك من شهر الثياب لباس *
* أما الطعام فكل لنفسك ما تشاء * واجعل لباسك ما اشتهاه الناس *
واعلم أن المروءة أن يكون الإنسان معتدل الحال في مراعاة لباسه من غير أكثر
ولا أطراح فإن أطراح مراعاتها وترك تفقدها مهانة وذل وكثرة مراعاتها
وصرف الهممة إلى العناية لها دناءة ونقص وربما توهم بعض من خلاه من فضل
وعرى عن تمييز أن ذلك هو المروءة الكاملة والسيرة الفاضلة لما يرى من تميزه
بذلك عن الأكثرين وخروجه عن جملة العوام المسترذلين وحق عليه أنه إذا
تعدى طوره وتجاوز قدره كان أقبح لذكره وأبعث على ذمه فكان كما قال المتنبي

* لا تجبن مضيا حسن برته * وهل يروق دفينا جودة الكفن *
وحكى المبرد أن رجلا من قريش كان إذا اتسع لبس أرث ثيابه وإذا ضاق لبس
أحسنها ف قيل له في ذلك فقال إذا اتسعت تزيت بالخود وإذا ضقت فبالهيئة
وقد أتى ابن الرومي بأبلغ من هذا المعنى في شعره فقال

* وما الحلى إلا زينة لقيصة * يتم من حسن إذا الحسن فصرا *
* فاما إذا كان الجمال موفرا * لحسنك لم يحتج إلى إن يزورا *
ولذلك قالت الحكماء ليست العزة في حسن البرة وقال بعض الشعراء

* وترى سفينة قوم يدنس عرضه * سفها ويسخ نعله وشراكها *
وإذا اشتد كلفه برعاة لباسه قطعه ذلك عن مراعاة نفسه وصار اللبوس

عنده انفس وهو على مراعاته احرص وقد قيل في منشور الحكم البس من الثياب ما يخدمك ولا يستخدمك وقال خالد بن صفوان لا يباس بن معاوية اراك لا تبالي ما لبست فقال البس ثوبا اتي به نفسي احب الي من ثوب اقيه بنفسى فكما انه لا يكون شديد الكلف بها فكذلك لا يكون شديد الاطراح لها فقد حكى عن ابن عائشة ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فطفر اليه رث الهيئة فقال ما مالك قال من كل المال قد اتانى الله فقال ان الله تعالى يحب اذا انعم على امرئ نعمة ان ينظر الى اثرها عليه وقد قيل المروءة الظاهرة في الثياب الطاهرة وهكذا القول في غلمانه وحشمه ان اشتد كلفه بهم صار عليهم قيا ولهم خادما وان اطرحهم قل رشادهم وظهر فسادهم فصاروا سببا لمقتله وطريقا الى ذمه لكن يكفهم عن سيئ الاخلاق ويأخذهم باحسن الآداب ليكونوا كما قال فيهم الشاعر

* سهل الفناء اذا مررت ببابه * طلق اليدين مؤدب الخدام *

وليكن في تفقد احوالهم على ما يحفظ تجمله ويصون مبتذله فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ادهنوا يذهب البؤس عنكم والبسوا تظهر نعمة الله عليكم واحسنوا الى ممالئكم فانه اكبت لعدوكم وليتوسط فيهم ما بين حالتى اللين والخشونة فانه ان لان هان عليهم وان خشن مقتوه وكان على خطر منهم حكى ان المؤبد سمع ضحك الخدام في مجلس انوشروان فقال أما تمتع هؤلاء الغلمان فقال انوشروان اما بهم يهابنا اعداؤنا وقال ابو تمام الطائي

* حشم الصديق عيوبهم بحانة * لصديقه عن صدقه ونفاقه *
* فليظرن المرء من غلمانه * فهم خلائقه على اخلاقه *

واعلم ان للنفس حالتين حالة استراحة ان حرمتها اياها كلت وحالة تصرف ان أرحتها فيها تخلت فالاولى بالانسان تقدير حاله حال نومه ودعته وحال تصرفه ويقظته فان لهما قدرا محدودا وزمانا مخصوصا يضر بالنفس مجاوزة احدهما وتغير زمانهما فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نومة الصبيحة معجزة منفخة مكسلة مورمة مقشلة منساة للحاجة وقال عبد الله بن عباس رضى

الله عنهما النوم ثلاثة نوم خرق وهي الصبحة ونوم خلق وهي القائلة ونوم
 حرق وهو العشي وقد روى محمد بن يزدان عن ميمون بن مهران عن ابن عباس
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نوم الضحى خرق والتيلولة خلق ونوم
 البشي حرق وقيل في منشور الحكم من لزوم الرقاد عدم المراد فاذا اعطى النفس
 حقها من النوم والدعة واستوفى حقه بالتصرف واليقظة خاص بالاستراحة من
 عجزها وكلالها وسلم بالرياضة من بلادتها وفسادها وحكي ان عبد الله بن عمر بن
 عبد العزيز دخل على ابيه فوجده نائما فقال يا ابة أتنام والناس بالباب فقال يا بني
 نفسي مطيق وأكره ان اتعبها فتقوم بي وينبغي ان يقسم حالة تصرفه ويقضته
 على المهم من حاجاته فان حاجة الانسان لازمة والزمان يقصر عن استيعاب
 المهم فكيف به ان تجاوز الى ما ليس بهمهم هل يكون الا

* كثاركة بيضها بالعرأ * وملبسة بيض اخرى جناحا *
 ثم عليه ان يتصفح في ليله ما صدر من افعال نهاره فان الليل اخطر للخطر واجمع
 للفكر فان كان محمودا امضاه واتبعه بما شاكله وضاعاه وان كان مذموما
 استدركه ان امكن وانتهى عن مثله في المستقبل فانه اذا فعل ذلك وجد افعاله
 لا تنفك من اربعة احوال اما ان يكون قد اصاب فيها الغرض المقصود بها
 او يكون قد اخطأ فيها فوضعها في غير موضعها او يكون قصر فيها
 فنقصت عن حدودها او يكون قد زاد فيها حتى تجاوزت محدودها وهذا
 التصفح انما هو استظهار بعد تقديم الفكر قبل الفعل ليعلم به مواقع الاصابة
 وينتبهز به استدراك الخطأ وقد قيل من كثر اعتباره قل عثاره وكما يتصفح
 احوال نفسه فكذا يجب ان يتصفح احوال غيره فربما كان استدراكه الصواب
 منها اسهل بسلامة النفس من شبهة الهوى وخلو الخاطر من حسن الظن فان
 ظفر بصواب وجده من غيره او اعجزه جبل من فعله زين نفسه بالعمل به فان
 السعيد من تصفح افعاله غيره فاقتدى باحسنها وانتهى عن سيئها وقد
 روى زيد بن خالد الجهني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال السعيد من
 وعظ بغيره وقال الشاعر

* ان السعيد له من غيره عظة * وفي التجارب تحكيم ومعتبر *

وانشدني بعض اهل العلم لظاهر بن الحسين

* اذا انجبتك خصال امرئ * فكفه يكن منك ما يعجبك *
 * فليس على المجد والمكرما * ت اذا جئتها حاجب يحجبك *
 فاما ما يرويه من اعماله ويؤثر الاقدام عليه من مطالبه فيجب ان يقدم الفكر
 فيه قبل دخوله فان كان الرجاء فيه اغلب من الالاس منه وجدت العافية فيه
 سلكه من اسهل مطالبه والطف جهاته وبقدر شرفه يكون الاقدام وان
 كان الالاس اغلب عليه من الرجاء مع شدة التقرير ودانة الامر المطلوب فليحذر
 ان يكون له معرضا فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا هممت
 بامر ففكر في عاقبته فان رشدا فأمضه وان كان غيا فانه عنه وقالت
 الحكماء طلب ما لا يدرك يحزن وقال بعض الشعراء

* فاياك والامر الذي ان توسعت * موارد ضاقت عليك المصادر *
 * فما حسن ان يعذر المرء نفسه * و ليس له من سائر الناس عاذر *
 وليعلم ان لكل حين من ايام عمره خلقا وفي كل وقت من اوقات دهره عملا فان
 تخلق في كبره باخلاق الصغر وتعاطى افعال الفكاهة والبطر استصغره من
 هو اصغر وحقره من هو اقل واحقر وكان كالمثل المضروب بقول الشاعر

* وكل باز يمسه هرم * تخرا على رأسه العصافير *
 فكن ايها العاقل مقبلا على شانك راضيا عن زمانك سلما لاهل دهرك جاريا
 على عادة عصرك متقادا لمن قدمه الناس عليك متحتسا على من قدمك الناس
 عليه ولا تباينهم بالعزلة عنهم فيمتنوك ولا تجاهرهم بالمخالفة لهم فيصادوك فانه
 لا عيش امقوت ولا راحة لمعادى وانشد بعض اهل الادب لبعضهم

* اذا اجتمع الناس في واحد * وخالفهم في الرضا واحد *
 * فقد دل اجاعهم دونه * على عقله انه فاسد *

واجعل نفسك غنمية عتاك ولا تداهنها باخفاء عيبك واطهار عذرك فيصير
 عدوك اخطي منك في زجر نفسه بانكارك ومجاهرتك من نفسك التي هي اخص
 بك لا غرائك لها باعذارك ومساءتك فحسبك سوا رجل ينفع عدوه ويضر نفسه

الله عنهما النوم ثلاثة نوم خرق وهى الصبحة ونوم خلق وهى القائلة ونوم
حق وهو العشي وقد روى محمد بن يزدان عن ميمون بن مهران عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نوم الضحى خرق والتيلولة خلق ونوم
العشي حق وقيل فى منشور الحكم من لزم الرقاد عدم المراد فاذا اعطى النفس
حقها من النوم والدعة واستوفى حقه بالتصرف واليتمطة خلص بالاستراحة من
عجزها وكلالها وسلم بالرياضة من بلادتها وفسادها وحكى ان عبد الله بن عمر بن
عبد العزيز دخل على ابيه فوجده نائماً فقال يا ابة أأنام والناس بالباب فقال يا بني
نفسى مطيئ وأكره ان اتعبها فتقوم بى وينبغى ان يقسم حالة تصرفه ويقظته
على المهم من حاجاته فان حاجة الانسان لازمة والزمان يقصر عن استيعاب
المهم فكيف به ان تجاوز الى ما ليس بهمهم هل يكون الا

* كتاركة بيضها بالعرء * وملبسة بيض اخرى جناحاً *
ثم عليه ان يتصفح فى ليله ما صدر من افعال نهاره فان الليل اخطر للخاطر واجع
للفكر فان كان محموداً امضاه واتبعه بما شاكله وضاهاه وان كان مذموماً
استدركه ان امكن وانتهى عن مثله فى المستقبل فانه اذا فعل ذلك وجد افعاله
لا تنفك من اربعة احوال اما ان يكون قد اصاب فيها الغرض المقصود بها
او يكون قد اخطأ فيها فوضعها فى غير موضعها او يكون قصر فيها
فنفقت عن حدودها او يكون قد زاد فيها حتى تجاوزت حدودها وهذا
التصفح انما هو استظهار بعد تقديم الفكر قبل الفعل ليعلم به مواقع الاصابة
وينتهز به استدراك الخطأ وقد قيل من كثر اعتباره قل عثاره وكما يتصفح
احوال نفسه فكذا يجب ان يتصفح احوال غيره فربما كان استدراكه الصواب
منها اسهل بسلامة النفس من شبهة الهوى وخلو الخاطر من حسن الظن فان
ظفر بصواب وجده من غيره او اعجزه جيل من فعله زين نفسه بالعمل به فان
السعيد من تصفح افعال غيره فاقتدى باحسنها وانتهى عن سيئها وقد
روى زيد بن خالد الجهنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال السعيد من
وعظ بغيره وقال الشاعر

* ان السعيد له من غيره عظة * وفى التجارب تحكيم ومعتبر *

وانشدنى

وانشدني بعض اهل العلم لطاهر بن الحسين
 * اذا اجتبتك خصال امرئ * فكفه يكن منك ما يحبك *
 * فليس على المجتد والمكرما * ت اذا جثتها حاجب يحجبك *
 فاما ما يرويه من اعماله ويؤثر الاقدام عليه من مطالبه فيجب ان يقدم الفكر
 فيه قبل دخوله فان كان الرجاء فيه اغلب من الالاس منه، وجدت العافية فيه
 سلكه من اسهل مطالبه، والطفت جهاته وبقدر شرفه يكون الاقدام وان
 كان الالاس اغلب عليه من الرجاء مع شدة التغير ودناءة الامر المطلوب فليحذر
 ان يكون له معرضا فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا هممت
 بامر ففكر في عاقبته فان رشدا فأمضه وان كان غيا فانه عنه وقالت
 الحكماء طلب ما لا يدرك يحزن وقال بعض الشعراء

* فإياك والامر الذي ان توسعت * موارد ضاقت عليك المصادر *
 * فما حسن ان يعذر المرء نفسه * وليس له من سائر الناس عاذر *
 وليعلم ان لكل حين من ايام عمره خلقا وفي كل وقت من اوقات دهره عملا فان
 تخلق في كبره باخلاق الصغر وتماطى افعال الفكاهة والبطر استصغره من
 هو اصغر وحقره من هو اقل واحقر وكان كالمثل المضروب بقول الشاعر

* وكل باز يمسه هرم * تخرا على رأسه العصا فير *
 فكن ايها العاقل مقبلا على شاك راضيا عن زمانك سلما لاهل دهرك جاريا
 على عادة عصرك متقادا لمن قدمه الناس عليك متحتا على من قدمك الناس
 عليه ولا تباينهم بالفضلة عنهم فيمتنوك ولا تجاهرهم بالمخالفة لهم فيصادوك فانه
 لا عيش احموت ولا راحة لمعادي وانشد بعض اهل الادب لبعضهم

* اذا اجتمع الناس في واحد * وخالفهم في الرضا واحد *
 * فقد دل اجماعهم دونه * على عقله انه فار্দ *
 واجعل نصيح نفسك غنمة عتاك ولا تداهنها باخفاء عيبك واطهار عذرك فيصير
 عدوك اخفى منك في زجر نفسه بانكارك ومجهرتك من نفسك التي هي اخص
 بك لا غرائك لها باعذارك ومساءتك فحسبك سوءا رجل ينفع عدوه ويضر نفسه

وقد قال بعض الحكماء اصلح نفسك لنفسك يكن الناس تبعاً لك وقال بعض
البلغاء من اصلح نفسه ارغم انفس اعاديه ومن اعمل جده بلغ كسبه امانيه وقال
بعض الادباء من عرف معابه فلا يلزمه عابه وانشدني ابو ثابت النخعي لبعض
الشعراء

* ومصروفة عيناه عن عيب نفسه * ولو بان عيب من اخيه لا بُصرا *
* ولو كان ذا الانسان ينصف نفسه * لأمسك عن عيب الصديق وقصرا *

فهذب ايها الانسان نفسك بافكار عيوبك وانفعها كنفعك
لعدوك فان من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه
المواعظ اعاننا الله واياك على القول
بالعمل وعلى التصحح بالقبول
وحسبنا الله

وكفى

م م

م



الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أما بعد فإن كتاب
 ادب الدنيا والدين للامام الكبير * العلامة الشهير * الفنى بشهرته عن
 الاطناب فى المدح * الواضح متن فضائله فلا يحتاج لطول الشرح * مولانا
 ابى الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى البصرى كتاب اشتمل من نتائج العقل *
 ومعارج الفضل * واسرار الشرع * ومحاسن الطبع * ما لا يستغنى عنه
 طالب دنيا ولا طالب اخرى * ويستحق به مؤلفه من كل من اطالع عليه
 جدا وشكرا * من آيات بينات * واحاديث محكمات * ونصائح عقلاء *
 ولطائف ادباء * وبدائع بلغاء * ونكت شعراء * وحكم حكماء * اتفق
 على حسنها ذوقوا الالباب * ولم يجتمع مثلها قبله ولا بعده فى كتاب * وقد
 كان مع جلالة قدره وشهرة مؤلفه نادرا جدا * لا يكاد طالبه يظفر به
 ولو سمع بما سمع عدا ونقدا * حتى يسر الله طبعه هذه المرة فى
 مطبعة الجوائب البهية * فى القسطنطينية المحمية * مصححا بالدقة
 والتروى من الفقير يوسف النبهانى على نسختين صحيحتين *
 واصنيف الى الصحة حسن الطبع ففاز بالحسينين * وقد
 تم طبعه * وسيم ان شاء الله نفعه * فى غرة
 شهر شعبان المبارك من شهور سنة ١٢٩٩
 من هجرة سيد الرسل الكرام *
 عليه وعلى آله واصحابه
 افضل الصلاة
 والسلام

م م

م

• •

﴿ فهرسة كتاب ادب الدنيا والدين ﴾

صفحة

باب فضل العقل وشم الهوى	٠٣
باب ادب العلم	١٨
باب ادب الدين	٦٠
باب ادب الدنيا	٩٤
باب ادب النفس	١٧٧

﴿ طبعت برخصة نظارة المعارف الجليلة ﴾

﴿ معارف نظارت جليلة سنك رخصتيله طبع قلمشدر ﴾